

رواية الأدب العالمي للناشئين

# معامرات هڪبریٰ فین مارک توبن





**مغامرات مکالبی فین**



**مغامرات  
مکلبری فین  
ملرک توین**

ترجمة  
**مختار السويفي**



مهرجان القراءة للجميع  
مكتبة الأسرة  
برعاية السيدة سوزان مبارك  
(الأدب العالمي للناشئين)

الجهات المشتركة:	مقامات هيلبرى فิน
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية	مارك توين
وزارة الثقافة	ت: مختار السويفي
وزارة الإعلام	لوحة الغلاف :
وزارة التعليم	للفنان: جمال قطب
وزارة الإدارة المحلية	تصميم الغلاف
المجلس الأعلى للشباب والرياضة	الإشراف الفني:
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب	للفنان محمود الهندي
	المشرف العام
	د. سمير سرحان



## مقدمة

---

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقديم في عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روايات الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكير فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتتضمن إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاث الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولنقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكري والإبداعى والعلمى، وأن مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان و Ubiquity فى الإبداع فى كل زمان.

---

**سوزان مبارك**



---

## على سبيل التقديم . . .

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم  
صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر  
القوة في عالم اليوم ..  
صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا  
الواد وتتشرف مستقبلاً المشرق .

د. سمير سرحان

---



## المؤلف

ولد « مارك توين » فى ولاية ميسوري سنة ١٨٣٥ م ٠٠ وعاش حياة بائسة فى فترة الطفولة ،  
فلم ينل الا حظا متواضعا من التعليم ٠٠

وعندما كان فى الثالثة عشرة من عمره ، اشتغل  
كمعامل طباعة ٠٠ ثم ساعد أخاه الأكبر فى اصدار احدى  
الجرائد المحلية الصغيرة التى كان يكتب فيها بعض  
القصص القصيرة بين حين وآخر ٠٠

وفى سن العشرين هجر الطباعة واشتغل ملاحا  
على الباخر النهرية العاملة جيئة وذهابا فى نهر  
المisisipi ٠٠ وقد قال مارك توين فيما بعد : أن معظم

الشخصيات التي وصفها في قصصه ورواياته ، كانت شخصيات حقيقة صادفها أثناء عمله في بوادر الميسبي .

وفي سنة ١٨٦٢ ، بدأ مارك توين عمله في الصحافة .. وأخذ يكتب بانتظام في بعض الجرائد والمجلات .. وبعد نحو خمس سنوات ، أصدر أول مجموعاته القصصية .. ثم أصدر بعد ذلك مجموعة من الكتب ، تناول فيها وصف انطباعاته والأحداث التي صادفها والشخصيات التي قابلها أثناء سفرياته ورحلاته ..

ومن أهم الكتب والمؤلفات التي أصدرها ، رواية « مغامرات توم سوير » سنة ١٨٧٦ م .. و « الأمير والفقير » سنة ١٨٨٠ م .. و « مغامرات هكلبرى فين » سنة ١٨٨٤ م ..

ويقول معظم نقاد الأدب ، إن رواية « مغامرات هكلبرى فين » تعتبر درة فريدة بين جميع الأعمال

الأدبية التي كتبها مارك توين ، كما تعتبر علامة بارزة في الأدب الأمريكي الكلاسيكي بصفة عامة .

غير أن متعة القارئ ستزداد حتما ، اذا كان قدقرأ أيضا رواية « مغامرات توم سويف » قبل أو بعد هذه الرواية .. ففي كل من هاتين الروايتين سيعيش القارئ في رحاب المغامرات الطريفة التي قام بها هذان الصديقان .. سواء في ذلك المغامرات التي قاما بها معا واشتركا فيها سويا ، أو المغامرات التي قام بها كل منهما على حدة ..

واسم « مارك توين » هو الاسم المستعار لهذا الأديب الأمريكي الشهير .. أما اسمه الحقيقي فهو : صمويل لانجهورن كليمنس .. ولكن قراء الأدب وعشاق الاطلاع على الأعمال الأدبية ، يعرفونه باسم الشهرة الذي عرف به وذاع به صيته في مختلف أنحاء العالم ..

وقد مات مارك توين في سنة ١٩١٠ م .

ومن ي يريد الاستزادة من المعلومات المتعلقة بحياة  
هذا الأديب الكبير .. فنرجوه الرجوع إلى المقدمة  
الخاصة برواية « مغامرات توم سوير » المنشورة ضمن  
هذه السلسلة ..

« المترجم »

## الفصل الأول

### عصابة توم سوير

لن تعرفنى جيدا الا اذا كنت قد قرأت « مغامرات  
توم سوير » .. وعلى أية حال فان هذا لا يسم .. !

أريد أن تعرف فقط أن كتاب « مغامرات توم  
سوير » قد انتهى على النحو التالي :

لقد عثرنا ~ أنا وتوم ~ على كنز من النقود كان  
اللصوص قد خلأوه في الكهف .. وكان نصيب كل منا  
ستة آلاف من الدلاارات الذهبية .. وقد تولى القاضي  
باتشر استئجار هذه النقود لصالحنا .. وكان كل منا

يحصل على دولار واحد - كفائدة يومية - على مدار السنة .

وكانت الأرملة ممزوجة بلاس قد تبنتنى واعتبرتني ابنا لها ، وأعلنت أنها أصبحت مسئولة عن تربيتى وتهذيبى .

ولكن الحياة فى بيت محترم طول الوقت كانت صعبة بالنسبة لي .. خصوصا اذا وضعنا فى الاعتبار النظام الدقيق الصارم الذى كانت تفرضه الأرملة كأسلوب للحياة .. لهذا فلم أطق استمرار الاقامة فى هذا البيت وقررت الفرار ..

وقد اتصل بي توم سوير وخبرنى أنه ينوى تكوين عصابة من المخصوص .. وانه لن يشركنى فى عصابته تلك الا اذا عدت للحياة فى بيت الأرملة مرة أخرى .. وعلى هذا فقد قررت العودة ..

وكانت الأرملة تأسف على حالى . وتدعونى دائمًا بالحمل الضال المسكين .. وألبستنى مرة أخرى

ثيابا جديدة نظيفة .. و أنا لا أحب مثل هذه الثياب لأنها تجعلنى أقصب عرقا ولا أشعر فيها بالراحة ..

وهكذا عدت مرة أخرى الى الالتزام بالنظام المقرر فى هذا البيت .. فاذا دقت الأرملة جرس الدعوة الى تناول الطعام ، فان عليك أن تكون جالسا الى المائدة فى الوقت المحدد تماما .. واذا جلست الى مائدة الطعام فلا يمكنك أن تبدأ فى تناوله .. وعليك ان تنتظر قليلا حتى تميل الأرملة رأسها وتقول بعض شكاواها عن الطعام ، حتى ولو لم يكن هناك أى سبب للشكوى ..

وقد جاءت اختها مسز واطسون لتعيش معنا فى البيت .. وهى عذراء عجوز تلبس نظارة طبية .. وكانت تعبرنى هي الأخرى على العمل الشاق فى حفظ الكلمات المكتوبة فى كتاب الهجاء لمدة تقرب من ساعة كل يوم ..

لقد مللت كثرة التنبيهات والتوجيهات التى كانت تقولها مسز واطسون بصفة مستمرة : هكلىبرى

٠٠ لا تضيع قدمك على هذا الشيء ٠٠ هكلبرى  
لاتنحني على هذا النحو وقف معتدلاً ٠٠ هكلبرى  
لاتنشاب وتفتح فمك عن آخره على مثل هذا النحو ٠٠  
لماذا لاتحاول أن تصبح مهذباً ؟ ٠٠

وفي المساء كانت الأرملة تستندى الخدم  
الذين يعملون في بيتها ، حيث يؤدي الجميع صلواتهم  
قبل أن يتوجهوا إلى النوم ٠٠

صعدت إلى غرفة نومي ٠٠ ولم تكن لدى أية رغبة  
في النوم ٠٠ فجلست بجوار النافذة ٠٠ وشعرت  
بالوحدة ٠٠ وسمعت صيحة أطلقها طائر الليل كعلامة  
على أن شخصاً ما قد مات ٠٠ كما سمعت نباح كلب  
يأتي من بعيد كعلامة على أن شخصاً آخر على وشك الموت  
٠٠ وهكذا أحست بالبؤس والخوف ، وتنينت لو  
أن لي شريكاً أو صديقاً يواسيني في أحزاني ٠٠ !

وبعد فترة طويلة ٠٠ سمعت دقات ساعة المدينة :  
بوم ٠٠ بوم ٠٠ اثنتي عشرة دقة ٠٠ وبعد  
انتهاء الدقات عاد السكون ثقيراً أكثر من ذي قبل ٠٠

وفجأة .. سمعت فرع شجرة ينكسر .. ورأيت  
بين الأشجار شيئاً يتحرك في الظلام الدامس .. ثم  
سمعت مواء قطة .. وهذا شيء عظيم ، فمواء القطة  
هو النداء السري بيني وبين توم .. وعلى الفور ردت  
مواءه بمواء من عندي .. وأطفأت نور الحجرة ، وقفزت  
من النافذة على السطح المنحدر ، ومنه قفزت إلى الأرض  
.. وأنا على يقين بأن توم سوير يتذكرني .. !

وعلى الفور أخذنا طريقنا هابطين إلى سفح  
التل .. [ لأن البيت الذي أعيش فيه يقع باعلى  
التل ] .. وهناك قابلنا جو هاربر و بن روجرز  
و ولدين أو ثلاثة أولاد آخرين .. وذهبنا جميعا نحو  
شاطئ النهر ..

وقدمنا بفک رباط أحد القوارب .. وركبناه  
وأخذنا نجده في النهر لمسافة ميلين ونصف ميل  
إلى أن وصلنا إلى نقطة معينة على جانب التل ، وهناك  
رسونا ..

وتسللنا خلال بعض الأعشاب والشجيرات ..

وأرشدنا توم الى فتحة صغيرة في جانب التل . . . وقمنا باشعال شموعنا وببدأنا نزحف الى داخل تلك الفتحة ، حيث وجدنا أنفسنا في مكان يشبه الغرفة ، ولكنه كان رطبا باردا . . . وهناك توقفنا . . .

وقال توم :

- والآن . . . سيبدأ عمل عصابة اللصوص التي كونها . . . وعلى كل من يريد أن ينضم إلى تلك العصابة أن يقسم على أنه سيلتزم بنظام العصابة وقواعدها . . . وأن يكتب اسمه ويوقع امضاءه بالدم !

وأخرج توم من جيشه ورقة كان قد كتب فيها قواعد ونظام العصابة وأخذ يقرأها . . . تم أقسام كل واحد منها بأنه سيخلص للعصابة ولن يسمح أبدا بأسرارها . . . وأنه اذا تعرض اي فرد من أفراد العصابة للأذى من اي شخص آخر ، فان على اي فرد من أفراد العصابة ان يقوم بقتل هذا الشخص وقتل عائلته . . . أيضا !

وقد أعجب كل فرد بهذا القسم ، واعتبروه  
 شيئاً بدinya .. وتساءل بن دوجر :  
ـ والآن .. ما هو العمل الرئيسي لهذه  
العصابة ..؟!

فقال توم بلا تردد :

ـ سنقوم بقطع الطريق على العربات المسافرة  
ونحن نرتدي أقنعة تغطي وجوهنا .. ونقوم بقتل  
الناس والاستيلاء على ساعاتهم وأموالهم .. كما نقوم  
بخطف بعض الناس والاحتفاظ بهم كرهائن في هذا  
الكهف إلى أن نحصل على الفدية .. !

ـ فدية .. ما معنى فدية ..؟!

ـ لا أدرى بالضبط .. ولكن هذا ما تفعله بعض  
العصابات الأخرى .. وقد قرأت عن ذلك في الكتب ..  
وعلى أية حال فهذا واجبنا وعليينا أن نفعله ..

ـ ولكن كيف تفعله .. كيف تفعل شيئاً لا نعرف  
معناه ..

- ما هذا .. ان علينا أن نفعله معناعها أن علينا  
أن نفعله .. هل تريده أن تخالف ما جاء في الكتب  
وتفسد علينا كل شيء !

- ولكن يا توم سوير .. كيف سيفتدى هؤلاء  
الناس .. مادمنا لا نعرف ماذا سنصنع بهم ..  
وما رأيك أنت في تلك المشكلة .. !

- لا أعرف .. ولكن ربما أن الاحتفاظ بهم  
كرهائن حتى يفتدوا ، معناه أن نحتفظ بهم حتى  
يموتوا !

- ان هذا سيؤدي إلى متاعب ومشاكل كثيرة ..  
اذ يجب أن نقدم اليهم الطعام .. كما أنهم  
سيبذلون محاولات كثيرة للهرب منا ..

- ما هذا الذي تقوله يا بن روجرز .. كيف  
يهربون منا ونحن نقيم عليهم حراسة مشددة .. ان  
عليينا أن نطلق عليهم النار اذا تحرك أي واحد منهم  
ولو قيد أدنله !

- حراسة ! .. معنى ذلك أننا سنبقى في

حراستهم طول الليل دون أن ننام .. وأعتقد أن هذا تصرف غبي .. لماذا لا يقوم واحد منا باحضار عصا غليظة و يفتدى ، هؤلاء الناس ب مجرد وصولهم الى هذا الكهف ١٩ ٠٠

- لا نستطيع أن نفعل ذلك لأنه غير مذكور بالكتب .. هذا هو السبب !

- موافق .. ولكن لدى سؤال آخر : هل سقوم بقتل النساء أيضا ١٩ ٠٠

- بن روجرز .. لو كنت غبيا مثلك لاكتفيت بغلق فسي حتى لا أتكلم .. هل سنقوم بقتل النساء .. هـ .. ان هذا لم يرد بالكتب .. انك ستقوم باحضار النساء الى هذا الكهف .. عليك أن تتصرف معهن بمنتهى الأدب واللطف .. وبعد فترة ستقنع النساء في حبك .. ولن تقبل أية واحدة منها أن تعود الى بيتها مرة أخرى ..

- معنى ذلك أن الكهف سيصبح مزدحما بالنساء .. وبالرهاق الذين سنحتفظ بهم حتى

يفتقدوا .. ولن يكون هناك مكان لنا نحن المصووص  
أفراد العصابة .. وعلى أية حال استمر .. فلم يعد  
لدي شيء أقوله .. !

ومكذا انتخبنا توم سوير رئيسا للعصابة ..  
وانتبينا جو هاربر نائبا للرئيس .. وعدنا بعد  
ذلك الى بيتنا .. فتسقط السطح المائل حتى وصلت  
إلى نافذة غرفة نومي ، قبل أن يطلع ضوء النهار ..  
وكانت ملابسي الجديدة ملوثة بشحم الشموع وبالأوحال  
.. وكانت مرهقا للغاية .. !

وفي الصباح نلت بعض التوجيه من مسر  
واطسون بسبب قذارة ملابسي .. أما الأرملة مسر  
دوجلس فلم توبخني ، وإنما قامت بتنظيف ملابسي  
مما علق بها من شحم وأوحال ونظرت إلى نظرة ملؤها  
الأسف والحزن . للدرجة التي فكرت أن أتصرف تصرفا  
مهنديا ، ولو للحظة بسيطة ، إن كنت قادرا على  
ذلك ..

أما بالنسبة لأبي .. فقد مر أكثر من عام دون

أن أراه .. و كنت مسروراً لذلك ، لأنه كان يضربني  
ريؤذيني دائماً .. وفي خلال تلك الفترة سمعت أنه  
قد غرق في النهر ، اذ عشر الناس على رجل غريق على  
بعد نحو اثنى عشر ميلاً من المدينة ، واعتقد الناس  
أن هذا الغريق كان أبي .. لأن حجم جسمه كان مماثلاً  
لحجم جسم أبي ، كما كان يرتدي مثله ملابس رثة  
مزقة ، وله شعر طويل مماثل لشعر أبي ..

وقد واصلنا لعبة المصووص لمدة شهر .. ثم  
استقال جميع الأولاد من العصابة .. لم نسرق شيئاً  
.. ولا قتلنا أحداً .. وإنما كنا نتظاهر بفعل ذلك  
فقط .. كنا نتظاهر بالهجوم على رعاه الخنازير وعلى  
النساء اللواتي يحملن الحضراوات على عربات صغيرة  
يتوجهن بها نحو السوق ..

وقد أطلق توم سوير على الخنازير اسم «سبائك  
الذهب» .. وعلى الحضراوات اسم «المجوهرات» ! ..  
وكنا نعود إلى الكهف للتخيل أحساء ما استولينا  
عليه من الذهب والمجوهرات .. .. ونحصي أيضاً عدد  
ما قتلناه من الناس ..

وفي مرة أرسلت توم أحد أفراد العصابة ليتجول في الشوارع وهو يحمل احدى المشاعل المشتعلة .. [ وهذه الاشارة معناها أن على جميع أفراد العصابة أن يتجمعوا فورا ] .

وعندما اجتمعنا ، أخبرنا توم بأن لديه معلومات سرية عن فرقة كاملة من التجار الأسبان وأثرياء العرب ستتوجه في اليوم التالي لتعسّر في « كهف هولو » .. ومعها مائتان من الأفيال وستمائة حصان وأكثر من ألف حمار .. وكل هذه الحيوانات محملة بالМАس .. ومع هذه الفرقة حراسة لا تزيد عن أربعين جندي .. ولذلك فعلينا أن نترصد في انتظار هذه الفرقة وتوجه عليهم في الوقت المناسب ، ونقتل بعضا منهم ، ثم نستولي على الماس !

وأخبرنا توم في نهاية الاجتماع أن علينا جميعا أن ننطف ببنادقنا وسيوفنا وأن نبقى مستعدين يقطفين للحظة الحاسمة .. وكانت مهمة تنظيف الأسلحة مهمة شاقة لأن ببنادقنا وسيوفنا كانت كلها مصنوعة

من الخشب ، ولا يؤدي تنظيفها الى اى تحسين  
يذكر ! ٠٠

لم أصدق أننا سنستطيع أن نهزم كل هؤلا،  
الاسبان والعرب ٠٠ ولكنني كنت أريد أن أرى الخيال  
والأفياض ٠٠ ولذلك فقد تجمعت مع أفراد العصابة  
في اليوم التالي ٠٠ وترbusنا في مخبأ على أحد جوانب  
التل ٠٠

وعندما تلقينا اشارة البدء خرجنا مندفعين من  
بين الأشجار وبدائنا الهجوم ٠٠ لم يكن هناك اسبان  
ولا عرب ولا خيول ولا أفياض ٠٠ بل كانت هناك رحلة  
مدرسية تتكون من مجموعة من الأطفال ٠٠ فحاصرناهم  
واستولينا منهم على بعض قطع الكعك ٠٠ ولكن عندما  
ظهر المدرس المشرف على الرحلة ألقينا الكعك ولذنا  
باتفار ٠٠

وعندما أخبرت توم سوير بأنى لم أر آية قطعة  
من الماس ٠٠ اندهش وأخبرنى بأنه كانت هناك أحمال  
ثقيلة من الماس ٠٠ وكثير من العرب والاسبان ٠٠ !

وسأله لماذا لم تستطع أن ترى هذه الأشياء  
التي رأها . . فقال لي أنتي إذا قرأت كتاباً يسمى  
« دون كيشوت » فأنك سأعرف السر في ذلك وأصبح  
في غنى عن السؤال . .

وأخبرني توم أن كل ذلك كان نتيجة لفعل  
السحر . . وأنهمني بأن لنا أعداء يسيرون السحرة . .  
وأنهم قاموا بتحويل كل قافلة العرب والأسنان إلى  
محدب أطفال يقومون برحلة مدرسية ، وذلك لمصايبتنا  
وازعاجنا . . وهما قلت له إن من الواجب علينا اذن أن  
نهجم على هؤلاء السحرة . .

فقال توم على الفور :

- إن هذا يدل على العبط . . هل تعرف  
لماذا . . لأن هؤلاء السحرة يستطيعون استحضار بعض  
الشياطين الذين سيمزقونك أرباً قبل أن تنطق بكلمة  
. . شياطين ضخمة طويلة مثل الأشجار وعربيضة  
مثل بناءة الكنيسة . .

## فقلت بلا تردد :

- اذن علينا ان نقوم نحن أيضا باستحضار بعض الشياطين لمساعدتنا .. وبذلك نتمكن من الهجوم على القافلة ! ..

- ولكن كيف سنقوم باستحضار الشياطين ؟ ..

- لا أدرى .. ولكن كيف يتمكن الآخرون

من استحضارهم ! ..

- آه .. انهم يبحكون مصباحا قدি�ما أو خاتما مصنوعا من الحسديد .. وفي لمح البصر ، تحضر الشياطين مندفعه وسط البرق والرعد وسحب الدخان .. وهؤلاء الشياطين مسخرون لخدمة أي شخص يبح المصاحف أو الخاتم .. وإذا طلبت منهم أن يبنوا لك قلعة طولها أربعين ميلا ، ويملأونها لك بالحلويات أو بما تستهيه نفسك .. أو طلبت منهم أن يحضروا إليك ابنة ملك الصين لتتزوجها .. فان هؤلاء الشياطين سيتحققون طلبك قبل أن تشرق الشمس في صباح اليوم التالي ..

وصممت على أن أقوم بهذه التجربة .. وكان  
لدى مصباح قديم مصنوع من الصفيح ، وخاتم مصنوع  
من الحديد ، وأخذت أحکهما بكل ما أوتيت من قوة  
حتى تعبت وتصبب مني العرق .. فقد كنت بالفعل  
أريد أن تبني لي الشياطين قلعة كبيرة لكي أبيعها ..  
وقد باءت جهودي بالفشل ، ولم يحضر ولا شيطان  
واحد ..

وهكذا اقتنعت أخيرا بأن توم سوير كان يتخيّل  
كل هذا الموضوع برمته ..

## الفصل الثاني

### هك يعيش مع أبيه

ومن نحو ثلاثة أو أربعة شهور .. وحل فصل الشتاء .. وقد انتظمت في المدرسة معظم الوقت ، وأصبحت أستطيع أن أتهجى بعض الكلمات ، وبدأت أقرأ وأكتب ..

في البداية كنت أكره الذهاب إلى المدرسة .. ولكن بمرور الوقت اعتدت على ذلك .. كما اعتدت أيضا على تحمل النظام وتقاليد وعادات الأرملة مسر دوجلاس التي أكدت لي بأنني أتحسن بطريقة مرضية

.. وأنها أصبحت راضية عنى .. ولم أعد أتسبب فى  
حدوث أية مشاكل ..

وفي صباح أحد الأيام .. وبينما كنت أتناول  
أفطارى .. مدلت يدى بسرعة إلى الملاحة الموضوعة  
على المائدة ، وأخذت بعض الملح ، ورميته خلف كتفى  
الأيسر كطريقة لابعاد سوء الحظ .. وعندما لاحظت  
مسر واطسون صاحت قائلة :

- ابعد يدك يا هكلىرى .. يالك من ولد  
جبان ..

وعندما خرجت من البيت في ذلك الصباح كنت  
مكفرها وأشعر بالغصب .. لقد اسرعت إلى حديقة  
البيت وتسلقت سورها وقفزت إلى الشارع .. وكانت  
الأرض مقطأة بالثلج .. ولاحظت وجود آثار لأقدام  
مطبوعة على صفحة الجليد فأخذت أتأملها .. ولاحظت  
أن الكعب الأيسر للحذاء الذى كانت تلبسه هذه  
الأقدام التي تركت آثارها على صفحة الجليد ، كان

على شكل صليب ، وكانت تلك طريقة متبعة لطرد  
الشياطين ..

وهي بعثت من أعلى النسل إلى سفحة ، وتوجهت  
فوراً إلى بيت القاضي تاتشر الذي قال لي بمجرد أن  
رأني :

- مالي أراك تلميذ يابني وأنفاسك متقطعة ..  
هل جئت لتحصل على فوائد أسوالك !؟ ..

### فاجبت بسرعة :

- لا يا سيدي .. لقد جئت لأعطيك كل هذه  
الأموال .. كل الآلاف السبعة من الدولارات الذهبية  
.. أرجوك أن تأخذها جميعاً دون أن تسألي عن شيء  
.. حتى لا أضطر إلى قول الأكاذيب !! ..

فهم القاضي تاتشر هذا الموضوع .. فقام  
وأحضر ورقة وكتب عليها بعض الكلمات ..

## وقسمها لي وهو يقول :

- وقع بامضائك هنا .. فهذه الورقة تثبت أنى  
اشترىت ثروتك منك .. وأنك قبضت ثمنها .. !

ووقيعت على الورقة .. وغادرت البيت بسرعة ..

وفي تلك الليلة .. عندما صعدت إلى غرفة  
نومي .. وبمجرد أن أغلقت الباب واستدرت متوجهاً  
إلى السرير .. فوجئت بأبي جالساً على مقعد بالغرفة ..  
ومع ذلك لم أخف منه ..

لقد كان في حوالي الخمسين من عمره .. وله  
شعر دهنٍ طويل لا يسرجه بمشط .. ويتدلى حول  
رأسه ووجهه ، ومع ذلك فان في استطاعتك أن تلحظ  
بسهولة بريق عينيه ينفذ بين خصلات الشعر الأسود  
.. وكانت له سوالف كثيفة تطفى خديه ..  
ولا تستطيع أن تتبعين اللون الحقيقي لوجهه .. أما عن  
ملابسـه فهى عبارة عن أسمال بالية ..

وعندما لاحظت أن نافذة الغرفة كانت مفتوحة ،

فهمت على الفور أنه تسلل إلى الغرفة من خلالها ،  
بعد أن تسلق السطح المنحدر .. وطل أبي ينظر إلى  
صامتا إلى أن قال في النهاية :

- هاه .. أراك ترتدي ملابس عظيمة ..  
ولعلك تظن أنك أصبحت شخصا هاما .. أليس  
كذلك .. اذن .. دعني أسمعك وأنت تقرأ  
القراءة والكتابة .. ولعلك تظن أنك أصبحت أحسن  
وأفضل من أبيك الذي لا يقرأ ولا يكتب .. أليس  
كذلك .. اذن .. دعني أسمعك وأنت تقرأ  
 شيئا ! ..

وأخذت أحد الكتب .. وبذلت أقرأ شيئا عن  
جورج واشنطن وال الحرب .. وبعد أن قرأت لمدة دقيقة ،  
شرب أبي الكتاب والقام على الأرض .. وقال  
بغضب :

- لقد أصبحت تستطيع القراءة فعلا ..  
اسمعنى الآن جيدا .. اذا شاهدتكم مرة في تلك  
المدرسة ، فسوف اسلح جلدك .. فاهم !

وأخذ يتمتم ويغمغم بكلمات لم أسمعها جيدا ..  
ثم قال في حقد ظاهر وواضح :

- لقد أصبحت مدللاً يفوح منك العطر ..  
لديك سرير .. وملابس للنوم .. ونظارة .. وأرض  
غرفتك مفروشة بالسجاد .. بينما أبوك ينام في  
الشارع بلا مأوى .. لقد أخبروني بأنك أصبحت غنياً  
لديك أموال طائلة .. لقد جئت إلى المدينة منه يومين  
.. وطول الوقت وأنا أسمع الناس يتتحدثون عن  
ثروتك .. لقد وصلت سيرتك إلى مناطق كثيرة على  
طول شواطئ النهر .. ولهذا جئت إليك .. لأخذ  
جميع أموالك .. وعليك بتسليمها إلى غداً فأننا  
أريدها .. !!

فقلت له بهدوء :

- لم يعد لدى أي مال .. ويمكنك أن تتأكد من  
ذلك إذا سألت القاضي تاتشر .. !

- طبعاً سأسئل .. والآن أخبرني .. كم تحمل  
من النقود في جيبك .. ؟!

- ليس معى سوى دولار واحد .. وانى  
أريده لكن ..

- اعطنى اياه فورا !

وأخذ الدولار وأخبرنى أنه ذاذهب الى المدينة  
ليشتري بعض ال威يسكي ..

وفى اليوم资料 ، ذهب أبي وهو سكران الى  
القاضى تاتشر وطالبه بالنقود ورفض القاضى أن يعطيه  
 شيئا .. وأقسم أبي بأنه سيحصل على هذه النقود  
بقوة القانون ..

وقد لما القاضى تاتشر ومعه الأرمدة الى القانون  
أيضا .. وذهبا الى المحكمة .. وطالبا القاضى بأن  
يحكم بابعاد هذا الأب الفاسد عن ابنه .. وأن يوافق  
القاضى على أن يتولى أحدهما رعاية هذا الابن والحرس  
على مصالحة ..

ولكن قاضى المحكمة كان جديدا .. ولم يكن  
يعرف شيئا عن سمعة أبي ، لذلك فقد حكم بأنه

لا يوافق على ابعاد الابن عن أبيه .. وقد سر أبي  
بهذا الحكم كثيرا ..

وهدى أبي بالضرب اذا لم أعطه فورا بعض  
النقود .. فاقترضت ثلاثة دولارات من القاضى  
تاتشر ، فخطفهم من يدي وذهب ليسكر ، وبعد أن  
تمل تمامًا ، أخذ يتتجول في الشوارع محدثا ضجة  
وصخببا شديدا ، وظل يصرخ ويلعن كل شيء؛ ويختلط  
على كفة ميزان مصنوعة من الصفيح ، حتى منتصف  
الليل .. وعند ذلك أمسوا به ووضعوه في السجن  
.. وفي صباح اليوم التالي قدموه إلى المحكمة فحكم  
عليه بالسجن لمدة أسبوع ..

وبمجرد اطلاق سراحه .. ذهب فورا إلى القاضى  
تاتشر وطالبه بالنقود من جديد .. كما قام بالبحث  
عنى ليمعنى من الذهاب إلى المدرسة .. كما بدأ  
يتردد كثيرا على بيت الأرملة ، إلى أن هددته بأنه اذا  
لم يبتعد عن بيتهما فانهما ستسبب له الكثير من

المتاعب .. فأصابه الجنون وصرخ في وجهها بأنه  
سيريها من هو ولـى الأمر الحقيقي لهذا الولد ..  
وهكذا خطقنى أبي فى أحد أيام الربيع .. وابتعد  
بى لمسافة ثلاثة أمتار ، ووضعنى فى كوخ قديم مبني  
بفروع الشجر يقع فى الغابة المجاورة لشاطئ  
النهر ..

ولم تتعلى أية فرصة للهرب .. فقد كان يغلق  
باب الكوخ بالفتح ، ويحتفظ بالفتح تحت رأسه  
طوال الليل .. وكانت لديه بندقية ..

وكان نعيش على ما يصطاده من الأسماك ، أو  
ما يصطاده هو من حيوانات الغابة باستعمال البندقية  
.. وبين حين وآخر كان يغلق على باب الكوخ بالفتح.  
ويذهب إلى أقرب محل ليتبادل بعض الأسماك أو  
الحيوانات ببعض ال威سكي .. وبعد أن يشرب ويحمل  
يبدأ فى ضربى .. !

ومر شهراً وأنا فى هذه الحالة البائسة ..  
وأصبحت ملابسى مجرد أسمال ممزقة تعسلوها  
القدارة ..

وأخيراً يداً أبي في استعمال العصا باستمرار ..  
وكان يضربني بقسوة شديدة لدرجة أنى لم أعد  
أتحمل استمرار الحياة على هذا النحو .. وقررت  
التخلص من هذا العذاب بأية طريقة .. فحاولت  
الهرب من الكوخ عندما يكون أبي نائماً أو عندما يكون  
بالخارج .. ولكن نم يكن هناك أى منفذ .. ولا توجد  
ولو نافذة صغيرة تتسع لمرور أى كلب من خلالها ..  
أما ماسورة المدخنة فهى ضيقة ولا تصلح طريقاً للهرب ..  
أما الباب الخشبي فقد كان قوياً ومحكماً ..

وفي النهاية جاء الفرج .. وعثرت على منشار  
صدىٌ كان مخفياً بين الألواح التي يتكون منها  
السقف .. فقمت بتنظيف المنشار .. وبدأت على  
 الفور في قطع الخشب بالجدار السفلي للكوخ وكان  
يتكون من جذع شجرة كبيرة ..

كان عملاً شاقاً مضنياً .. وما أن أوشكنا على  
الانتهاء منه حتى سمعت طلقة من بنادقية أبي تتردد  
في الغابة في مكان قريب من الكوخ ، وعلى الفور تخلصت  
من آثار عملي وأخفيت المنشار ..



كان أبي يضربني بقسوة شديدة ..

وأمرني أبي بالذهاب الى القارب لاحضار الاشياء  
التي جلبها معه .. وكانت عبارة عن جوال به نحو  
خمسين رطلا من الدقيق .. ولم .. وطلقات للبنديقية  
.. وأربعة جالونات من الويستي وبعض اشياء  
آخرى ..

ووضعت جميع هذه الاشياء بداخل الكوخ ..  
وبعد قليل حل الظلام .. وبعد أن تناولنا طعام  
العشاء بدأ أبي في الشراب .. وضمنت أنه سيصبح  
ثملًا في خلال ساعة على الأكثر ، وعندئذ سأتمكن  
من سرقة المفتاح ، أو اتمام نشر الفتحة التي صنعتها  
في خشب الجدار السفلي ..

وأخذ أبي يشرب ويشرب الى أن تهوى ساقطا  
على البطانية المفروشة على الأرض .. ولكنه لم يتم وظل  
مستيقظا وهو يتنفس ويغمغم بأصوات غريبة ويتقلب من  
ناحية الى أخرى .. وظل على هذه الحال لفترة طويلة  
الي أن غلبتني النعاس وأصبحت غير قادر على الاحتفاظ  
بعيني مفتوحتين .. واستسلمت للنوم مستغرقا  
فيه ..

فضحك ساخراً وقال :

ـ يا هك فين ! .. هل سمعت من قبل أن سجيننا  
كان لديه جاروف وعتلة من الحديد .. وهل هذا  
معقول .. ان مثل هذا السجين قد يكون لديه أيضاً  
مفتاح السجن .. هل هذا معقول ؟ !

ـ طيب .. لنفرض أننا لن نستخدم الجاروف  
والعتلة الحديدية .. كيف سنحفر النفق .. !

ـ سنستخدم السكاكيں ! .. اننا في حاجة الى  
سكنين .. !

ـ هذه فكرة غبية جداً يا توم .. هل سنحفر  
النفق بالسكاكيں .. ؟ !

ـ لا يهم اذا كانت هذه الفكرة غبية او ذكية ..  
فجميع المساجين قد استخدمو السكاكيں في حفر  
أنفاقهم .. كانوا يحفرون بالسكاكيں ليس في التربة  
الترابية الهشة فقط ، بل وفي الصخور الصلدة . أيضاً  
.. وكان هذا العمل يستغرق في العادة فترات طويلة  
جداً .. هناك مثلاً ذلك السجين الذي كان محبوساً في

الكتوخ .. وكان يحصل في يده سكيناً ويقول أني ملاك الموت وأنه سقتلنى ليتخلص عنى إلى الأبد ..

وعندما كنت أحاول أن أفهمه أني هكذا بري ابني ولست ملاك الموت ، كان يضحك ضحكة مخيفة .. ويواصل مطاردته في وهو يلعنى .. وبينما كنت أحاول الالفات عنه . استطاع أن يمسك ظهرى معطفى .. واعتقدت أن نبأيتى قد أصبحت وشيكه .. لولا أني استطعت أن أخنع معطفى فى سرعة البرق وأنقذت حياتى ..

وعندئذ كان قد بدأ يشعر بالتعب ، فاستند بظهره على الباب .. وقال انه يود أن يستريح لمدة دقيقة وبعد ذلك يقتلنى .. ثم قال بعد ذلك أنه سينام قليلاً ليستعيد قسواه .. وعندما يستيقظ سيرى من السيد هنا ..

وما أن بدأ في النعاس .. حتى أسرعت بالامساك بالبنديبة وصوبتها نحوه . وجلست أنتظر أي هياج متوقع .. وأخذ الوقت يمر تقيلاً .. وببطء .. !!

### الفصل الثالث

هك يتمكن من الهرب ..

- استيقظ !! ..

وفتحت عيني بسرعة ، ونظرت حولي لا عرف  
أين أنا .. وكان ضوء الشمس قد ملا أرجاء الكوخ  
أثناء نومي العميق .. ورأيت أبي واقفا بوجهه  
الغاضب وتبدو عليه أعراض المرض .. وسألته  
بعدة :

- ماذا كنت تصنع بهذه البندقية !! ..

فأجبت :

ـ كان هناك شخص ما يحاول المخول الى الكوخ .. فجلست مستعدا في انتظاره ..

ـ ولماذا لم توقظني .. ؟

ـ حاولت أن أوقظك فلم أفلح ..

ـ طيب .. هيا اخرج الآن لترى ما اذا كانت السنانير التي تركناها مدلاة في الماء قد اصطادت لنا أسماكاً تصلح لافطارنا ..

وفتح لي باب الكوخ بالمفتاح .. وتوجهت مباشرة نحو الشاطئ .. فرأيت بعض فروع الاشجار طافية فوق سطح النهر .. وعرفت أن النهر قد بدأ موسم فيضانه وارتفع ماؤه ..

وفجأة رأيت قارباً جميلاً طافياً فوق سطح الماء

بعد أن جرفه التيار من مكان ما .. كان قاربا سليما تماما ويبلغ طوله نحو أربعة عشر قدما .. وفي لمح البصر قفزت إلى مجرى النهر وأنا في كامل ملابسي ، واندفعت سابعا نحو القارب ، واعتنقته ، واستخدمت مجاديفه لتوجيهه نحو الشاطئ ..

كنت فرحا بعثورى على هذه اللقى .. وصممت على أن أخفي هذا القارب في مكان لا يعلمه أحد غيري .. وقلت لنفسي : سأستخدمه عندما تناح لي فرصة الهرب .. وبدلا من اختفائى في الغابة بعد الهرب كما كنت قد خططت من قبل .. يمكننى الآن ركوب القارب والسفر به إلى مكان يبعد خمسين ميلا .. لأقيم فيه بعيدا عن أبي .

وفي اللحظة التي بدأت فيها تجميع الأسماك التي اصطادتها السنانير ، ظهر أبي الذي جاء يستعجلنى .. وأخذ يسبنى ويلعننى لأنى تأخرت في هذا العمل .. وحمل معه خمس أسماك توجه بها نحو الكوخ ..

وبعد أن تناولنا طعام الافطار .. جلسنا  
لښتريج . وكان كل منا يبدو تعبا منهوك القوى ..  
وببدأت أفكير في خطة الهرب الجديدة .. على أحد  
طريقة ذكية لتضليل أبي وتضليل الأرملة ومنعهما من  
بدء أية محاولة للبحث عنى .. وذلك أفضل بكثير من  
الاعتماد على الحظ ..

وأفرغ أبي في جوفه كمية ضخمة من الماء ،  
وقال لي محنا :

- هذا الرجل الذي كان يحاول الدخول إلى  
الكون .. لا بد أنه كان ينوي شرا .. ولا بد أن  
أقتلته .. فإذا جاء مرة أخرى فعليك أن توقظني على  
الفور .. سامع .. !؟

وكان هذا الكلام الذي قاله أبي الآن .. هو  
الذي أوحى إلى بالفكرة التي أبحث عنها .. وقلت  
لنفسى : الآن .. يمكننى أن أهرب وأنا مطمئن تماما  
من أن أحدا لن يتعقبنى ..

وفي حوالي الثانية عشرة ظهرا ، كنا نسير بجوار الشاطئ ، وشاهدنا كثيرا من فروع وجذوع الأشجار وقطع الأخشاب طافية فوق سطح النهر . . ثم شاهدنا « طوفا » يتكون من نسعة جذوع مربوطة الى بعضها فسحبناه الى الشاطئ . . ثم جلسنا لتناول غدائنا . .

وكان الطوف بجذوعه التسعة كافيا لدفع أبي الى التفكير في التوجه الى المدينة لبيع أخشابه . . لذلك فقد سحبني أبي وأدخلني الى الكوخ وأغلق على بابه المفتاح . . وذهب نحو النهر .

وعلى الفور تناولت المشار . . وأكملت نشر الجزء المتبقى من الفتاحة التي أنوي الهرب من خلالها . . وقبل أن يصل أبي الى الشاطئ الآخر من النهر ، كنت قد خرجت من الفتاحة . . ورأيته هو وطوفه كنقطة بعيدة فوق سطح الماء قرب الشاطئ الآخر . .

وحملت جوال الدقيق الى المكان الذى خبأت فيه  
القارب .. ثم بدأت انقل الى القارب كل شىء ..  
اللحم ، والويسيكى ، والبن والسكر ، والبارود  
والطلقات ، والدلو ، والمنشار القديم ، وبطانيتين ،  
المقلة ، وأبريق القهوة ، وكل شىء آخر له قيمة ..

وكنت أحتاج أيضا الى فأس .. ولكن لم يكن  
بالكون سوى فأس واحد .. وكنت قد قررت أن أتركه  
لأحقق به غرباً أضمره .. وأحضرت البندقية وانتهيت  
من شحن القارب بكل هذه الأشياء ..

وكنت قد تركت آثاراً وعلامات كثيرة على الأرض  
من أثر زحفي خلال الفتحة وقيامي بنقل وجر الأشياء  
التي شحنتها بالقارب .. وقررت أن أخفي جميع هذه  
الآثار والعلامات .. فأخذت أغطيتها بالتراب كما  
تخلصت من نشارة الخشب المختلفة من عملية النشر

التي قمت بها . . . كما غطيت فتحة الهرب بنفس قطعة  
الخشب التي نشرتها . . . وثبتها في مكانها ببعض  
الأحجار . . .

وبعد أن تأكّدت من أنني لم أترك أثراً يدل على  
 فعلتني ، قمت بتقطيعية منقولات القارب ببعض المسائش  
 حتى أخفيتها تماماً . . . ثم أخذت البندقية وتوجهت نحو  
 الغابة لاصطياد بعض الطيور التي أتمنى أن استخدمها  
 كجزء من الخطة . . . ولكنني رأيت خنزيراً بريباً يقف  
 جوار أحد الأشجار فاطلقته عليه النار ، فُقتل على  
 الفور ، وسحبته إلى الكوخ . . .

وعندما وصلت إلى الكوخ ، تناولت الفأس وقمت  
 بتحطيم الباب . . . ثم أدخلت الخنزير إلى داخل  
 الكوخ ، وهو يت بالفأس على رقبته وتركته ينزف كل  
 دمائه على الأرض . . . وزرعت بعض خصلات من شعرى  
 ولصقتها على سن الفأس الملوثة بدماء الخنزير . . .  
 والقيت الفأس في أحد أركان الكوخ . . .

وأحضرت حقيبة قديمة ملأتها بالأحجار الثقيلة وجررتها على الأرض بحيث ترك أثراً ظاهراً يدل على أن جسني قد سحبته إلى النهر وقدفت فيه .. والقيت الحقيبة والخنزير إلى ماء النهر ..

نم طرأ في ذهني فكرة أخرى ، فذهبت إلى المكان الذي خبأت فيه القارب ، وحملت جوال الدقيق وأعدته إلى نفس المكان الذي كان موضوعاً فيه بداخل الكوخ ، ثم أحدثت بالجوال ثقباً لكي تساقط منه ذرات الدقيق .. وحملت الجوال مرة أخرى واتجهت به نحو بحيرة ضحلة مجاورة كان لها مجرى مائى لا يتصل بالنهر .. وبطبيعة الحال فقد ترك الدقيق المتتساقط من الجوال خطأ أبيض يصل ما بين الكوخ وشاطئ البحيرة .. وبعد ذلك أغلقت الثقب الذي أحدثته في جوال الدقيق ، وأعدت بقية الجوال إلى القارب ..

الآن .. اكتملت خطتي .. وقلت لنفسي :  
لا شك أنهم سيتبعون الأثر الذي تركه جر الحقيقة  
إلى شاطئ النهر ، وسيعتقدون أن جثتي قد سُجِّلت إلى  
النهر وألقيت فيه .. كما أنهم سيتبعون الأثر الذي  
تركه الدقيق المتتساقط حتى شاطئ البحيرة وسيعتقدون  
أن هذا هو الطريق الذي سلكه المتصوّص الذين قتلوني  
وسرقوا محتويات الكوخ ..

وهكذا أصبحت مطمئناً إلى أنهم لن يبحثوا في  
النهر إلا عن جثتي فقط .. وأنهم سيتوقفون عن البحث  
بعد أن يأسوا من العثور عليها ..

وهأنذا أخيراً قد استعدت حريتي .. ويمكّنني  
أن أذهب إلى أي مكان أريد .. وقررت أن أذهب إلى  
جزيرة جاكسون .. فهي جزيرة منعزلة غير مأهولة  
ولا يسكنها أحد ولا يذهب إليها أحد .. فضلاً عن  
أنني أعرف كل شبر فيها معرفة جيدة .. وأخذت  
أجده في ظلام الليل حتى وصلت الجزيرة قبل مطلع  
الفجر ..

واخترت جزءاً من الشاطئ تخفيفه أعشاب طويلة  
كثيفة وخبائط فيه القارب .. وتأكدت من أن أحداً لن  
يستطيع أن يرى القارب المخبأ من أية جهة كانت ..  
وكان ضوء الفجر قد أوشك على الظهور بينما  
كنت آخذ طريقى متوجهاً إلى الغابة التى تقع بوسط  
المجيرة .. ولكنى توقفت عند طرف الغابة وقلت  
لنفسى : لأحصل على قسط من الراحة والنوم قبل أن  
أتناول افطارى .. !

## الفصل الرابع

### فى جزيرة جاكسون ..

!! .. يوم !!

استيقظت على هذا الصوت الذى يشبه انفجار  
قنبلة .. ففزعـت واقفا ، وأفسحت لرأسي مطلا بين  
الأعشاب الكثيفة لاتبـين الأمر ..

ورأيت المعدية وهـى تسـير فوق سـطح النـهر ،  
وتطـلق بعض المـتفجرات فـى المـاء .. وفهمـت أنـهم  
يفعلـون ذلك ليـساعدـوا جـشـتـى الغـرـيقـة لـكـى تـطـفو فـوق  
السـطـح ..

واقتربت المعدية كثيرا من شاطئ الجزيرة ..  
وقد رأيت على سطحها مجموعة كبيرة من الناس :  
أبي ، والقاضي تاتشر ، وبيري تاتشر ، وجو هاربر ،  
وتوم سوير ومعه خالته العجوز بوللي وأخوه سيد وابنة  
عمه ماري ، ومجموعة من الناس لا أعرفهم ..

وانطلق صوت قبطان المعدية : اضرب ! ..  
فانطلقت على الفور قذيفة انفجرت في مكان قريب مني  
لدرجة أن أذني كادت أن تصاب بالصمم من شدة  
صوت الانفجار ، كما كادت عيني أن تصاب بالعمى من  
كتافة دخان البارود .. وبعد ذلك استدارت المعدية  
لتواصل بحثها عن جثتي في الناحية الأخرى من  
الجزيرة .

وهكذا نجحت خطتي ، حيث جعلتهم يعتقدون  
أنني قتلت ومت وانتهي أمري .. ولن يخرج أحد بعد  
الآن للبحث عني .. وذهبت إلى القارب ، ونقلت كل  
ما كان فيه من حاجياته إلى المكان الذي اختerte لاقامة  
معسكرى بين الأشجار الكثيفة المتشابكة .. واستخدمت

البطاطين فـي اقامة خيمة تحجب عنـى مـياه المـطر حتى  
لا تـبلـلـنـى أو تـبـلـلـحـاجـيـاتـى ..

وـقـرـبـ مـعـيـبـ الشـمـسـ ، اـسـطـدـتـ سـمـكـةـ ، وـأـشـعـلتـ  
نـارـ مـعـسـكـرـىـ . وـتـنـاـولـتـ عـشـائـىـ .. وـبـعـدـ أـنـ حـلـ  
الـظـلـامـ تـمـاماـ ، جـلـسـتـ جـوـارـ النـارـ أـدـخـنـ غـلـيـونـىـ وـأـنـاـ  
أشـعـرـ بـكـثـيرـ مـنـ الرـضاـ .. وـلـكـنـىـ كـنـتـ أـشـعـرـ بـالـوـحـدـةـ  
فـىـ الـوقـتـ نـفـسـهـ .. وـلـمـ أـجـدـ شـيـئـاـ آخـرـ أـفـعـلـهـ ، سـوـىـ  
أـنـ أـنـاـ حـتـىـ صـبـاحـ الـيـوـمـ التـالـىـ ..

وـمـرـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ وـثـلـاثـ لـيـالـ وـأـنـاـ عـلـىـ تـلـكـ الـحـالـ  
دـوـنـ أـنـ يـجـدـ جـدـيدـ .. وـفـىـ الـيـوـمـ الـرـابـعـ ذـهـبـتـ  
لـأـسـتـكـشـفـ الـمـسـاطـقـ الـأـخـرـىـ بـالـجـزـيـرـةـ .. وـدـخـلـتـ إـلـىـ  
عـمـقـ الـغـابـةـ ، وـلـشـدـةـ دـهـشـتـ رـأـيـاـ نـارـ مـازـالـ  
الـدـخـانـ يـتـصـاعـدـ مـنـهـاـ .. !

وـشـعـرـتـ كـأـنـ قـلـبـىـ سـيـقـفـزـ مـنـ صـدـرـىـ وـيـخـرـجـ مـنـ  
حـلـقـىـ .. وـأـخـذـتـ أـجـرـىـ بـكـلـ مـاـ أـسـتـطـيـعـ مـنـ قـوـةـ ..  
وـبـيـنـ حـيـنـ وـآخـرـ كـنـتـ أـتـوـقـنـتـ عـنـ الـجـرـىـ لـأـنـصـتـ ، وـلـكـنـىـ  
لـمـ أـسـمـعـ شـيـئـاـ سـوـىـ صـوتـ أـنـفـاسـ الـلـاهـثـةـ ..

وبمجرد ان وصلت الى معسكري .. قمت  
بتجميع كل حاجياتي ووضعتها في القارب ، وغادرت  
الجزيرة ، واختبأت في غابة تقع على الشاطئ الآخر من  
النهر .. وهنالك تناولت عشاءي .. ونممت نوما  
متقطعا .. كنت أستيقظ كل مرة وأنا أتصور أن  
شخصا ما يمس肯ني من رقبتي .. ولكنني قلت لنفسي :  
اما ان أذهب الى الجزيرة لاعرف من هناك ، او أقبل  
ان أموت بغيظى ! ..

وقد ارتحت فعلا لهذا القرار .. وركبت قاربى  
وتجهت تجاه الجزيرة .. ورسوت على شاطئها ، ثم  
تسليلت الى الغابة وأنا أمسك ببنديقيني في يدي ..  
وكان ضوء الفجر قد بدأ يظهر فوق قمم الاشجار العالية  
.. وعندما اقتربت من المكان الذي رأيت فيه النار  
المشتعلة ، بدأت أزحف حذرا على يدي وركبتي ..  
وفوجئت بوجود نار مشتعلة .. ويرقد رجل بجانبها  
ممددا على الأرض .. لقد كان هذا الرجل هو جيم  
خادم مسز واطسون .. وقد فرحت فعلا برؤيته ..!

**قفزت نحوه وأنا أصبح متھلاً :**

- هالو .. جيم !!

ولكنه هب مذعوراً ورکح على قدميه وقد عقد يديه  
على صدره ، وقال متواصلاً :

- لاتؤذيني .. أرجوك لاتؤذيني .. فانا لم أفعل  
أى شئ في حيّاتي يفضي شبعا .. عد الى النهر  
ولا تفعل شيئاً يؤذى جيم العجوز .. لقد كنت  
صديفك دائمًا !!

وأفهمته بصعوبة بأنني لست شبعا .. وأنني  
مازلت حياً لم أمت .. وقلت له :

- هيا .. دعنا نتناول افطارنا .. وزود هذه  
النار ببعض الحطب ..

**فقال يائساً :**

- لن تفيينا النار بشيء .. فليس عندي  
 سوى بعض ثمار التوت .. وهي طعام لا يطهى !!

## فقلت على الفور :

ـ توت؟! .. هل كنت تعيش على ثمار التوت  
فقط .. معنى هذا أنك جائع جداً ..

وأمرته باعداد النار .. وذهبت من فوري الى  
القارب .. وأحضرت الدقيق والملح والبن وابريق  
القهوة ومقلة السمك والسكر والا��واب المصنوعة من  
الصفيح .. وكان جيم يظن أنى قد أحضرت كل هذه  
الأشياء باستخدام السحر .. خصوصاً عندما أحضرت  
سمكة كبيرة كنت قد اصطادتها وقام جيم بتنظيفها  
وفليها ..

وتناولنا افطاراً سهياً ساخناً .. وكان جيم من  
شدة جوعه يتناول طعامه وكأنه ذئب مفترس .. وبعد  
أن فرغنا من الافطار ، جلسنا لنستريح ونتجاذب  
أطراف الحديث .. وقال جيم مستفسراً :

ـ والآن ياهك .. اذا كنت لم تقتل ومازالت حيا  
.. فمن ذا الذي قتل في الكوخ ..؟!

وأخبرته بكل التفاصيل ، فهناكى وقال انه  
كانت خطة ذكية .. وسألته بدورى :

- ولكن ما الذى جاء بك الى هنا يا جيم ؟
- سأخبرك .. ولكن هل تدعنى بأن تحفظ  
بهذا السر ولا تخبر به أحدا ؟
- لن أفعل ذلك أبدا يا جيم ..
- « اذن سأخبرك .. لقد لاحظت مؤخرا أن أحد  
تجار العبيد كان يحوم حول البيت .. وفي احدى  
الليالي سمعت مسر واطسون تقول لاختها الأرملة انها  
تنوى أن تبيعنى .. فعارضتها الأرملة فى ذلك  
ونصحتها بالاحتفاظ بي .. ولكن مسر واطسون قالت  
انها تستطيع الحصول على ثمانمائة دولار ثمنا لي ..  
زحاولت الأرملة أن تثنىها عن فعل ذلك .. ولكنى  
لم أستمر في الانصات لاسمع بقية الحديث بين  
الأخرين .. لقد خرجت على الفور من البيت ولذلت  
بالفرار ..

واختبات طول الليل وطول النهار التالي ..  
وأخذت أفكرا فيما عساي أن أفعل .. فهناك ناس  
كثيرون يعرفوننى .. وإذا اخترت أن أوصل طريق  
الهرب مشيا على أقدامى ، فسوف يرسلون الكلاب  
ورائى لتعقب أثرى بسهولة .. وإذا سرقت قاربا  
لأعبر به إلى الضفة الأخرى من النهر ، فسوف يتبعونى  
إلى سرقة القارب ويمكنهم أن يتبعوا أثرى ويمسكونى  
.. لذلك فقد قلت لنفسي أن أفضل طريق للهرب هو  
أن أركب أي طوف يكون مسافرا فوق سطح النهر ..  
ان الطوف لا يترك أثرا !

وتربصت في الظلام قرب شاطئ النهر ، إلى  
أن رأيت طوفا كبيرا يأتى قادما عند منحنى النهر  
وفوقه مصباح يشع نوره الضئيل فوق سطح الماء ..  
فسبحت إلى أن وصلت إلى منتصف المجرى .. وانتظرت  
حتى وصل الطوف ، فتعلقت به من الخلف .. وكان  
الطفوف كبيرا ، يحمل على ظهره مجموعة من الرجال  
يتجمعون حول المصباح المضيء .. وقلت لنفسي : اذا

بقيت متعلقاً بهذا الطوف حتى الساعة الرابعة صباحاً ،  
فسوف أكون عندئذ على بعد نحو خمسة وعشرين ميلاً  
من المدينة ، وهناك سأختفي في الغابات ولن يكتشف  
أحد مخيالي ٠٠

ولكن لسوء حظي ٠٠ تنبه إلى وجودي أحد ركاب  
الطوف ، فتقدم نحوه وهو يحمل المصباح في يده ٠٠  
ولذلك فقد تركت الطوف على الفور وسبحت نحو  
شاطئ الجزيرة ! ٠٠

وبعد أن انتهى جيم من قصة هربه ٠٠ أخبرته  
بأنني كنت أريد أن استكشف الأماكن التي توجد في  
وسط الجزيرة ٠٠ فذهبنا معاً ٠٠

وكانت الجزيرة مستطيلة الشكل طولها نحو  
ثلاثة أميال ، وعرضها لايزيد عن نصف ميل ٠٠ وفي  
وسطها تل صغير له سطح منحدر ٠٠ فتسقطناه حتى  
بلغنا قمته ٠٠ وهناك اكتشفنا وجود كهف يقع بالقرب  
من تلك القمة ٠٠

وعلى الفور ، ذهبنا الى موقع القارب ، وأخذنا  
نجده حتى وصلنا الى مكان بالشاطئ ، قرب من موقع  
التل ، وبدأنا ننقل الى الكهف كل الحاجيات التي كنا  
نخشى ابتلاعها عند سقوط المطر .. ثم خيأنا القارب  
بين الاعشاب قرب الشاطئ .. وأخذنا معنا الأسماك  
التي اصطادتها السنانير المعلقة ، وأعددنا السنانير  
لمزيد من الصيد .

وأشعلنا نارا خارج الكهف ، وطهروا الأسماك  
وتناولنا عشاءنا ونحن جالسين على البطاطين التي  
افترشناها على أرض الكهف .. وعندما حل ظلام  
الليل ، بدأت السماء تبرق وترعد ، وانهمر سيل  
المطر وبدأت الرياح تعصف في عنف .. فقلت  
لجميع :

- ان هذا الكهف مكان رائع .. وليس هناك  
مكان آخر أفضل منه .. هيا .. اعطني قطعة أخرى  
من السمك وبعضا من الخبز الساخن .. !

وعلى مدى الائتني عشر يوما التالية ، بدأت مياه النهر في الازدياد والارتفاع حتى فاضت على الشطآن .. وأصبح عمق الماء نحو ثلاثة أو أربعة أقدام في بعض الأماكن المنخفضة في الجزيرة ..

وفي خلال فترات النهار كنا نجده بقاربنا وندور به حول شطآن الجزيرة ، أو ندخل الى عمق الغابة حيث يصعب الجو باردا ورطبا تحت ظلال الاشجار ، مهما كانت الشمس ساطعة وحامية ..

وكانت هناك العديد من الأشياء طافية فوق سطح النهر بعد أن جرفها التيار من أماكن أخرى .. وفي احدى الليالي عثرنا على طوف كبير مصنوع من ألواح متساوية من الخشب السميك ، يبلغ طوله نحو ستة عشر قدما ، وعرضه نحو اثنى عشر قدما ، وسمكه نحو سبع بوصات .. كان طوفا رائعا في حقيقة الأمر ..

وفي ليلة أخرى قبيل الفجر ، شاهدنا منزلا  
خشبيا محظما يطفو عائما فوق سطح النهر بعد أن  
جرفه التيار .. فركبنا القارب وجدنا نحوه ،  
وسلقنا بعض جوانبه .. فشاهدنا سريرا ومضادة  
ومقعدتين قديمتين وأشياء كثيرة مبعثرة على الأرض ..  
وفي أحد الأركان شاهدنا شيئا يشبه الرجل ..

وعندئذ قال جيم :

- انه قتيل .. أطلقت عليه النار من وراء  
ظهره .. تعال هنا يا هك .. ولا تنظر الى وجهه ! ..

والقى جيم قطعة قديمة من القماش غطى بها وجه  
القتيل .. ولم يكن بحاجة الى فعل ذلك ، لأنى لم  
أجسر على النظر الى وجه الرجل الميت ..

وشاهدنا بعض أوراق اللعب متناثرة على الأرض ،  
وبعض زجاجات الويستي .. ومجموعة من ملابس  
الرجال وملابس النساء معلقة على الجدران الخشبية ..

وقد استنتجنا أن سكان هذا البيت قد غادروه بسرعة  
وبطريقة مفاجئة ..

أما بقية الأشياء التي عثرنا عليها في هذا البيت  
العامئ ، فكانت عبارة عن مصباح مصنوع من الصفيح ،  
وسكين ، ومجموعة كبيرة من الشموع ، وفأس ، وبعض  
السامير ، وسنانة كبيرة في سمك اصبعي ، وبعض  
الخطاطيف ، وحدوة حسان ، ورداء كلب مصنوع من  
الجلد ، وبعض زجاجات الأدوية التي لا توجد عليها  
أية بطاقة تدل على نوع الدواء ..

و قبل أن نغادر البيت إلى القارب ، عثر جيم على  
ساقي خشبية نزعنا منها الأربطة التي ثبّتها .. وكانت  
الساقي مصنوعة بطريقة جيدة رغم أنها كانت كبيرة  
بالنسبة لي ، ومناسبة لطول ساق جيم .. وحاولنا  
العثور على الفردة الأخرى فلم نجدها .. رغم أننا بحثنا  
عنها في أعلى البيت وأسفله ..

وبعد أن عدنا إلى الكوخ ، أخذنا نفتش في الملابس التي أحضرناها .. وعشنا على ثمانية دولارات فضية كانت مخبأة بأحكام في ثنية أحد المعاطف ..

### وقلت لجيم ساخرا :

- عندما أحضرت جلد الشعبان الذي عثرت عليه عند جانب التل .. قلت لي ان أسموا شيء في هذه الدنيا أن يمس الإنسان جلد شعبان بيده .. لأن ذلك سيجلب الحظ السييء .. وما نحن قد عشنا على كل هذه الأشياء بالإضافة إلى الدولارات الثمانية .. فليت حظنا يصبح سينا على هذا النحو كل يوم ..

### فقال جيم :

- كل هذا لا يهم .. فالحظ السييء سيأتي حتى مادمت قد مسست جلد الشعبان بيده .. !



الحية ذات الجرس تعض جيم !

كان حديثنا هذا في يوم الثلاثاء .. وبعد ظهر  
يوم الجمعة شاهدت حية ذات جرس .. وهي حية  
خطيرة قتلتها على الفور .. وطرأت في ذهني فكرة  
المزاح مع جيم ومعاكساته .. فوضعت الحية القتيلة  
تحت بطانيته حتى يفاجأ بها عندما يبدأ في النوم ..  
وعندما بدأ جيم في سحب طرف البطانية فوجئت  
به يهب صارخا .. فأشعلت شمعة ، وإذا بي أرى حية  
أخرى .. هي في الغالب رفيقة الحية القتيلة وقد جاءت  
لتنقم .. فلدغت جيم .. وأسرعت أيضا بقتل الحية  
الأخرى باستعمال العصي ..

وواصل جيم صرائحة من شدة الألم .. وأخذ  
يعب من وعاء الويسيكي الذي أخذته من أبي .. وأخذ  
يشرب ويشرب حتى فقد وعيه ولكنه لم يسكت عن  
الأنين والتأوه .. لقد لدغته الحية في كعب قدمه ..  
وسرعان ما تورمت القدم بدرجة كبيرة ..

وظل جيم يرقد مريضا أربعة أيام متتالية حتى

اختفى الورم بالتدرج وزال الألم وأصبح قادرًا على أن يدوس على قدمه مرة أخرى ..

وقررت أن أتبسل متخفياً إلى المدينة ، لأرى ما يحدث هناك ولأعرف الأخبار .. ونصحتني جيم بأن أتخفي وأرتدي ثياباً نسائية حتى لا يتعرف على أحد من الأهالي .. وكانت هذه فكرة طريفة طيبة ..

وقدمنا بتقصير أحد الفساتين حتى يتناسب مع طول جسمى .. كما قمت بشنی أطراف بنطلونى إلى ما فوق ركبتي وارتديت الفستان ووضعت على رأسى قبعة نسائية عريضة .. وبدأت أتمرن على الحركات والتصرفات النسائية .. ولكن جيم أخبرنى بأنى لا أجيد مشية الفتيات .. ونبهنى إلى الكف عن رفع أطراف الفستان لاضع يدى في جيب بنطلونى ..

وعندما حل ظلام الليل .. أخذت القارب وجذفت تجاه شاطئ المدينة الصغيرة .. وربطت القارب بعد أن أرسيته ، وأخذت أمشي على الشاطئ إلى أن اقتربت من أطراف المدينة ..

وشاهدت نورا ينبعث من نافذة بيت قديم لم يكن يسكنه أحد منذ فترة طويلة .. فنظرت من خلال النافذة ، فرأيت امرأة في حوالي الأربعين من عمرها .. جالسة تخيط بعض الثياب في ضوء شمعة . كانت سيدة غريبة لم أشهدها من قبل .. وقلت لنفسي حتى ولو كانت قد سكنت في هذا البيت القديم منذ يومين فقط ، فسوف يكون لديها بعض الأخبار التي تهمني وتهمنهم جميعا .. وهكذا بدأت في طرق الباب .. وأنا أذكر نفسي بأنني الآن فتاة .. ولست ولدا !

## الفصل الخامس

استيغظ ياجيم ٠٠ انهم يبحثون  
عننا !

قالت لي السيدة وهي تنظر الى بعينيها الصغيرتين  
اللامعتين :

— أدخلني ٠٠ واجلسني ٠٠ !

ثم سألتني :  
— ما اسمك ٠٠ ؟

فقلت على الفور :

— ساره ولبيامز ٠٠ !  
— وأين تعيشين ٠٠ ؟

- أعيش فى هوكرزفيل ياسيدتى .. وهى تبعد  
عن هنا بنحو سبعة أميال .. وأمى مريضة .. وليس  
لدينا نقود كافية .. وقد جئت الى هنا لأقابل خالى  
آبنر مور الذى يعيش فى الجانب الآخر من هذه المدينة  
.. هل تعرفينه .. ؟

- لا .. فقد جئت لأعيش هنا منذ أسبوعين فقط  
.. ولكن الجانب الآخر من المدينة يبعد عن هنا كثيرا  
.. لذلك فمن الأفضل أن تبقى معنا هذه الليلة ..  
هيا اخلعى قبعتك !

### فقلت بسرعة :

- لا .. انى أريد أن أستريح قليلا ثم أواصل  
بعد ذلك سيرى الى بيت خالى ..  
وأخبرتني السيدة أن زوجها سيحضر بعد قليل  
وسوف تطلب منه أن يصحبنى فى هذا المشوار .. ثم

بدأت تتحدث عن روجها وعن جميع أقاربها .. وبعد  
فترة بدأت تتحدث عن أبي وعن جريمة القتل التي  
حدثت ..

### ففاطعتها متسائلاً :

- هل تعرفين من ذا الذي ارتكب هذه الجريمة  
.. لقد سمعنا عنها كثيراً في هوكرزفيل .. ولكننا لم  
نعرف بعد من قتل هكلبرى فين .. !

- بعض الناس يظنون أن فين الكبير هو الذي  
قتل ابنه .. ولكن في نفس الليلة ظن آخرون أن القاتل  
هو عبد هارب اسمه جيم .. فقد هرب هذا العبد  
في نفس الليلة التي حدث فيها القتل .. ولهذا فقد  
أعلموا عن جائزة قدرها ثلاثةمائة دولار لمن يستطيع  
القبض عليه .. كما أعلموا عن جائزة أخرى قدرها  
مائتي دولار لمن يستطيع القبض على فين الكبير ..  
لأنهم يشكون في أمره .. فقد جاء في صباح

اليوم التالي لحدوث الجريمة وأبلغ عنها .. ثم ركب المعدية مع بعض الناس للبحث عن الجثة .. وبعد ذلك اختفى .. وكان بعض الناس يريدون أن يشنقوه ولكنه فر هاربا .. وفي صباح اليوم التالي عرف الناس أن العبد جيم قد هرب : وأنه اختفى في الساعة العاشرة من نفس الليلة التي وقعت فيها جريمة القتل .. لذلك فان الناس يتهمونه بارتكابها ..

- ولكن .. هل مازالوا يبحثون عن جيم حتى الآن !! ..

- طبعا .. فان الدولارات الثلاثمائة مبلغ لا يتوفّر للإنسان في كل وقت .. وهو جائزة طيبة تشجع البعض للبحث عنه .. وبعض الناس - وأنا منهم - يعتقدون أن العبد الهاوب مازال في مكان قريب من هنا .. وقد شاهدت بنفسي منذ أيام دخانا يتصاعد من مكان في جزيرة جاكسون .. وقلت لنفسي : ربما يكون العبد الهاوب قد اختبا هناك .. وقد أقنعت زوجي

بذلك فقرر أن يذهب في صحبة زميل له ليبحثا  
 عنه ..

وهنا بدأ القلق ينتابني .. وبدأت أشعر بأنني  
غير قادر على البقاء ويجب أن أخرج فورا .. وأردت أن  
أخفي اضطراب أعصابي بفعل أي شيء .. فاللتقطت إبرة  
وحاولت أن أقسم فيها خيطا .. وكانت يداي ترتعشان  
.. ونظرت إلى السيدة وهي مندهشة .. ثم ابتسمت  
قليلا .. وقلت متراجدة :

- إن مبلغ الثلاثمائة دولار ليس بالمبلغ لهين ..  
أتمنى أن تحصل أمي على مبلغ مثله .. ولكن أخبريني  
.. هل سيدذهب زوجك للبحث عن العبد الهاوب هذه  
الليلة !؟ ..

- نعم .. فقد ذهب مع زميله للبحث عن قارب  
ولا قراص بن دقية أخرى .. وسوف يذهبان إلى الجزيرة  
بعد منتصف الليل ..

وظلت السيدة تحملق في بدهشة وكأنها تخمن شيئاً .. فسألتني مرة ثانية :

- ما هو اسمك يا حبيبتي .. ذكرينى به !!

- ما !! ما !! ماري وليامز !

- ولكنك قلت أن اسمك سارة وليس ماري كما تقولين الآن !!

- آه !! نعم يا سيدة تى !! إن اسمى سارة ماري وليامز !! ساره هو اسمى الأول !! بعض الناس يطلقون على اسم سارة !! وبعضهم يطلقون على اسم ماري !!

ثم بدأت السيدة تتحدث عن الفتران التي تتتجول في حرية في جميع أنحاء البيت ، والتي تبدو كما لو كانت الأصحاب الحقيقيين للبيت وكل ما فيه !! وكانت السيدة صادقة في هذا الوصف ، ففي كل لحظة

كان هناك فأر يطل بأنفه من أحد الجحور المدورة التي  
تملا الجدران ..

وأحضرت لي السيدة كرة ثقيلة مصنوعة من معدن  
الرصاص ، وقالت لي إنها تستعملها في اصابة الفتران  
.. وطلبت مني أن أجرب حظى وأقذف بها أحد الفتران  
.. فامسكت كرة الرصاص في يدي ووجهتها بقوة نحو  
أول فأر أطل بأنفه من أحد الجحور .. ولكن لو كان  
هذا الفأر قد ظل في مكانه لأصيب اصابة بالغة تجعله  
يتوجع من الألم لمدة طويلة ..

وقامت السيدة وأحضرت كرة الرصاص بعد أن  
حابت الرمية .. وأحضرت شسلة من خيوط الصوف  
وطلبت مني أن أساعدها .. فمسدت يدي الاثنين  
ووضعت السيدة شسلة الصوف حولهما ..  
وواصلت حديثها عن الفتران وقالت لي :

- راقبى الفتران جيدا .. واجعل كرة الرصاص  
في متناول يدك .. وكونى مستعدة !

وفجأة أسقطت السيدة كرة الرصاص في حجري  
وجعلتني هذه الحركة الفجائية أضم ركبتي الى  
بعضهما .. وعندئذ صاحت بي السيدة :

- تعالى هنا .. انك لست فتاة كما تقولين ..  
فما هو اسمك الحقيقي .. هل هو بيل أم توم أم بوب ..  
أخبرنى بما اسمك الحقيقي يا ولد .. !

وأخذت أرتعش كورقة الشجر .. ولكنني تماسكت

وقلت متوسلا :

- أرجوك يا سيدتي .. لا تسخرى بفتاة مسكينة  
مثلي .. لقد كنت ذاهنة الى خالي .. ولكن ..

فقالت السيدة لكى تطمئننى :

- اجلس يا بنى .. اجلس وكمن مطمئنا ..  
سوف أساعدك .. سأطلب من زوجي أن يساعدك

أيضاً .. يبدو أنك قد عوملت بطريقة سيئة دفعتك  
إلى الهرب .. أخبرنى بحكياتك فانت ولد طيب ..

وبذات أحکى .. قلت لها إن أبي قد مات وأمى  
قد ماتت أيضاً .. وانى أصبحت بحكم القانون تابعاً  
لزارع عجوز كان يعاملنى بقسوة شديدة ، فلم أطق  
الحياة معه وقررت الهرب .. وسرقت بعض ملابس ابنته  
وارتديتها لكي أتخفي .. وانى على يقين بأن خالي آبنز  
مور سيرعانى ..

وعندئذ قالت السيدة :

- طيب .. والآن ما هو اسمك الحقيقي .. !؟

فقلت على الفور :

- اسمى جورج بيترز يا سيدتى .. !!

فقالت وهي تبتسم :

- اذن تذكر أن اسمك جورج هذه المرة ولا تنساه  
عندما أسألك عن اسمك مرة أخرى فتقول انه الكسندر

٠٠ ثم تقول بعد ذلك أنه جورج ألكسندر عندما اكتشف  
عدم صدقك ٠٠

لم أدر بماذا أجيب ٠٠ **وواصلت السيدة الطيبة**  
**حديثها فقالت :**

— لقد اكتشفت أنك ولد لأنك لم تلعب دور الفتاة  
بطريقة جيدة ٠٠ فعندما كنت تقوم بلفضم الخيط في  
الإبرة ٠٠ لاحظت أنك لم تقم بهذه العملية طبقاً  
لأصولها ٠٠ فقد أمسكت بطرف الخيط وبدأت توجه  
ثقب الإبرة إليه ٠٠ والمفروض أن آية فتاة تعلم تماماً  
أنها يجب أن تفعل العكس ٠٠ فتمسك بالإبرة وتوجه  
اليها طرف الخيط ٠٠ وعندئذ بدأت أشك في أمرك  
فاخترعت بعض الأشياء لأعرف حقيقتك ٠٠ وعندما  
طلبت منك أن تستخدم كرة الرصاص لقتل الفتران  
٠٠ أمسكت بالكرة وقدفت بها بطريقة الأولاد وليس  
بطريقة البنات ٠٠ فالبنت التي تقوم بمثل هذا العمل  
تبعد مترددة وخائفة وتقذف بالكرة بطريقة عشوائية  
إلى مكان آخر يبعد عن الفار بنحو ستة أو سبعة أقدام

٠٠ كذلك عندما اسقطت كرة الرصاص في حجرك  
فإنك قمت بضم ركبتيك الى بعضهما وهذا ما يفعله  
الأولاد الصبيان أما البنات فأنهن يبعدن ركبتيهن عن  
بعضها في مثل هذا الموقف ٠٠ والآن ٠٠ فلتذهب الى  
خالك يا سارة ماري وليامز جورج الكسندر بيترز ٠٠  
وإذا تعرضت الى متاعب فتعال الى مسر جوديث لوفتوس  
فهذا هو اسمى ٠٠ وسوف أقوم بمساعدتك في التغلب  
على مثل هذه المتاعب ٠٠ !!

وأسرعت الى قاربي ٠٠ وعبرت النهر باقصى  
سرعة ٠٠ وبعد أن وصلت الى شاطئ الجزيرة قمت على  
الفور باشعال النار في معسكرى القديم كاجراء لتضليل  
الرجال الذين سيقومون بالبحث ٠٠

ثم قفزت الى القارب مرة أخرى ٠٠ وأخذت اجدف  
بهمة حتى وصلت الى المكان القريب من التسل الذي  
يوجد في أعلى الكهف الذي نعيش فيه أنا وجيم ٠٠  
وكان جيم مستغرقا في النوم فأخذت أهزه بقوة حتى  
أيقظته وقلت له :

ـ استيقظ يا جيم .. انهم يبحثون عنا !

و كانت الطريقة التي عمل بها جيم في نصف  
الساعة التالى تدل على مدى الذعر الذى أصابه .. ومع  
ذلك ففى نهاية الأمر .. كنا قد نقلنا كل حاجياتنا  
و وضعناها فوق الطوف الكبير الذى عثروا عليه ..

وفي ظلام الليل تسللنا بالطوف الى وسط مجرى  
النهر .. ولكن بدون أن نتبادل ولو كلمة واحدة ..

## الفصل السادس

### كيف ضعكت عليهم ياهك ؟

كانت الساعة تقارب الواحدة بعد منتصف الليل  
حين بدأ الطوف يأخذ طريقه زاحفا فوق سطح النهر  
مغادرا شاطئ الجزيرة ..

وقرب الفجر رسونا على رمال الشاطئ، في منطقة  
تنمو فيها الأعشاب والشجيرات الكثيفة حيث أخفينا  
الطوف وغطيته بي بعض فروع الشجر .. وقضينا النهار  
كله على ذلك الشاطئ ..

وقام جيم باستخدام بعض الألواح الخشبية في

صنع ساتر علوى ثبتناه فوق سطح الطوف ليقينا  
حرارة الشمس ويحمينا من ماء المطر كما يحمى  
جاجياتنا أيضا من البلل .. كذلك فقد صنع جيم رفا  
خشبيا يعلو سطح الطوف بنحو قدم ، لنضع عليه  
البطاطين وبعض الحاجيات الأخرى لئيمها من الابتلاع  
بماء النهر حين تمر بجانبنا احدى الباخر وتحدث  
أمواجا عالية .

وفي منتصف المساحة المحمية بهذا الساتر هيأنا  
مكانا صغيرا أحطنه باطار من الطين الجاف لنسخدمه  
كموقد نشعـل فيه النار دون أن تخـشى انتفـاعـها في الجو  
الرطب أو حين يـسـقط المـطـر .. كما صنـعـنا دـفـةـ خـشـبـيةـ  
احتـيـاطـيـةـ لاستـخدـامـها فورـاـ اذا تـعرـضـتـ دـفـةـ الطـوـفـ  
لـلكـسـرـ اوـ التـلـفـ .. كما أـقـمـناـ عمـودـاـ نـعـلـقـ عـلـيـهـ المصـبـاحـ  
حين تـقـرـبـ مـنـ اـحـدـ الـبـاـخـرـ المسـافـرـةـ فـيـ النـهـرـ أـثـنـاءـ  
الـلـيـلـ وـذـكـ حـتـىـ نـتـقـىـ الـاصـطـدامـ بـهـاـ ..

وعندما حل ظلام الليل عاودنا الاقلاع مرة أخرى  
.. وكان الجو بدـيـعاـ للـغاـيـةـ فـاسـتـلـقـيـناـ عـلـىـ ظـهـورـنـاـ وأـخـذـناـ

نراقب النجوم المتلائمة على صفحة السماء الصافية ..  
واستمر حالنا على هذا النحو في الليلة التالية والليلة  
الثالثة دون أن يحدث شيء غير عادي ..

وفي خلال كل ليلة ، كنا نمر على بعض المدن  
الواقعة على شاطئ النهر ، والتي كانت تبدو لنا  
كرقعة فسيحة تتلاها فيها الانوار الساطعة ..

وفي الساعة العاشرة من الليلة الخامسة اقتربنا  
من شواطئ مدينة سان لويس ، وقررت أن أنزل إلى  
الشاطئ لشراء بعض الطعام بعشرة أو خمسة عشر  
ستة ..

وكان في تقديرنا أننا سنصل في خلال ثلاثة أيام  
أخرى إلى مدينة كايرو (القاهرة) التي تقع في ولاية  
اللينوا والتي يخترقها نهر أوهايو .. وهناك سوق  
نقوم ببيع الطوف ، ونشتري تذكرة على أحدى  
البواخر العاملة على نهر أوهايو ، حتى نصل إلى أية  
ولاية من الولايات الحرة التي منعت نظام العبودي وبذلك  
يتحرر جيم من مخاوفه ..

وفي الليلة التالية هبط علينا ضباب كثيف جعل الرؤية صعبة للغاية .. حتى أصبحنا نخشى أن نمر على مدينة كايرو دون أن نتمكن من رؤية أنوارها .. ولم يعد لدينا شاغل يشغلنا سوى أن نتطلع لرؤية هذه الأنوار من خلال الضباب .. وبين حين وآخر كان جيم يصبح قائلاً : ها هي ها هي ..

ولكن أملنا كان يخيب حين نتبين أن الأنوار التي شاهدناها لم تكن سوى أنوار عابرة .. فنعود إلى مراقبة الأنوار من جديد .. وبعد فترة طويلة صاح جيم متھلاً :

ـ حمداً لله .. لقد أصبحنا في أمان ياهك .. هامى مدينة كايرو في آخر الأمر .. !

فقلت له :

ـ سأخذ القارب .. لأذهب وأرى وأتأكد .. !  
وبينما كنت أتأهب للتتجديف .. سمعت جيم يقول :  
ـ حمداً لله .. لقد اقتربت لحظة الحرية ..

شكرا لك يا هك .. ان جيم لن ينساك أبدا يا هك ..  
فأنت خير صديق لجيم .. أنت الصديق الوحيدة لجيم  
في هذا العالم .. !

وأخذت أجدف نحو الشاطئ .. ولكن فجأة  
ظهر قارب عليه اثنان من الرجال ، اعتربا طريقى  
فتوقفت عن التجديف .. وقال أحد الرجال :

- هل هذا الطوف مملوك لك .. ؟ ..

- نعم يا سيدي .. !

- هل هناك أحد من الرجال على ظهر الطوف .. ؟ ..

- نعم يا سيدي .. هناك شخص واحد ..

- لقد هرب خمسة من العبيد هذه الليلة .. هل  
الرجل الموجود على ظهر الطوف أبيض أم زنجي .. ؟

وبدأت اشعر بالقلق والاضطراب ولكنني قلت :

- نحن من البيض يا سيدي !

- سنذهب لنتأكد من ذلك بأنفسنا ..

- ليتك تفعل ذلك يا سيدي .. فان أبي مريض وكذلك أمي وماري آن .. !

- سنذهب لنرى .. هيا جدف نحو الطوف ..

وقلت بعد أن جدفنا لمسافة قصيرة :

- سيشكرك أبي على ذلك .. لأن الجميع كانوا يفرون عندما يعلمون بحقيقة مرضه .. وكانوا يمنعوننا من الرسو على الشاطئ بطوفنا .. !

**قال أحد الرجلين :**

- ما هي حقيقة الأمر بالنسبة لوالدك ؟ ..

- لا شيء يا سيدي .. انه .. انه .. انه .. !

وهنا توقف الرجالان عن التجذيف ، وكان قاربهما قد أصبح قريبا من الطوف .. **وقال أحدهما :**

- لا تكذب يا غلام .. واحبّرنا بحقيقة مرض والدك .. قل الحقيقة ولا تكذب ..

- نعم يا سيدى .. سأقول الحقيقة بكل صدق .. ولكن أرجو مساعدتكم .. ويمكنكما أن تظلا بعيدين عن الطوف .. !

### وهنا قال أحد الرجلين :

- هيا بنا نرجع يا جون .. وابتعد عنا أيها الغلام .. ان أباك مريض بمرض معد .. وأنت تعرف ذلك وتحاول أن تخفيه علينا .. هل ت يريد أن تنشر المرض في هذه المنطقة .. ؟!

### وأخيرا قلت وأنا أتنفس الصعداء، وأبكي في نفس الوقت :

- سيدى .. عندما كنت أقول الحقيقة .. كان الناس يفرون منا ولا يقدمون علينا أية مساعدة .. !

- مسكين .. والآن اسمعني جيدا .. وعليك أن تفعل ما سوف أقوله لك .. عليك أن تساور بالطوف لمسافة عشرين ميلا وعندئذ ستصل إلى مدينة .. وأخبر الناس هناك بأن معك مرضى يعانون من الحمى والبرد

.. وسأضع لك في قاربك عشرين دولارا ذهبيا .. على  
سبيل المساعدة ..

وهنا قال الرجل الآخر :

- انتظر يا باركر .. فسوف أعطيه مبلغا آخر  
مساعدة مني في محنته ..  
وبعد أن وضع الرجل الثاني مبلغا آخر ..

التفت إلى وقال :

- وداعا يا غلام .. وعليك أن تنفذ ما قاله لك  
مستر باركر .. وأتمنى لك حظاً أفضل ..!  
وابتعد الرجلان بقاربهما .. وجدفت بقاربى نحو  
الطوف واعتلقت ظهره .. ولكن لم أجده جسم .. لقد  
اختفى ! .. وصحت مناديا :

- جيم !!

فرد على جيم هامسا :

- هأنذا يا هك .. هل ذهب الرجال ..؟!

كان جيم قد اختفى فى ماء النهر خلف الدفة ..  
لقد غاص فى الماء تماماً وأبقى أنفه خارج الماء، لكي  
يتنفس .. وبعد أن صعد جيم الى ظهر الطوف .. قال  
مبتهجاً :

- كيف ضحكتم عليهم يا هك !! .. يالله من  
وله ذكرى .. لقد أنقذت جيم مرة أخرى .. ان جيم لن  
ينسى لك هذا الفضل اطلاقاً ..

وتحادثنا فيما سوف نعمله بهذه النقود .. وقال  
جيم ان فى استطاعتنا الآن أن نركب الباخرة لنسافر  
إلى الولايات المتحدة ومعنا نقود كافية ..

وقرب الفجر رسونا على الشاطئ .. وقضى جيم  
النهار كله وهو يقوم بربط حاجياتنا في شكل ربطات  
يمكن حملها بسهولة استعداداً لمغادرة الطوف والسفر  
بالباخرة .. وعندما بدأ الظلام أقلعنا بالطوف مرة  
أخرى .. وفي نحو الساعة العاشرة مساء شاهدنا  
أضواء احدى المدن القرية .. فأخذت القارب وجذفت

نحو الشاطئ لاستطلاع الأمر .. ورأيت أحد الصيادين  
فسألته :

— سيدى .. هل هذه مدينة كايرو ؟ ..

فقال الصياد مندهشاً :

— كايرو .. لا بد أنك مجنون !

— أذن .. ما هو اسم هذه المدينة ..

— اذا كنت ت يريد أن تعرف فعليك بالذهاب إلى  
هناك لتعرف اسمها ..

وتجدفت نحو الطوف .. وببدأ جيم يشعر باليأس  
والاحباط .. ولكنني طمأنته قائلاً :

— لا داعي للقلق .. ولا بأس .. وقد نكسون  
كايرو هي المدينة التالية ..

ولكنني مع هذا بدأت أشك في الأمر .. وكذلك  
بدأ الشك أيضاً يبدو واضحاً في ملامح جيم .. فقلت  
يايساً :

- أخشى أن تكون قد هررنا على مدينة كايرو في تلك الليلة التي كانت تغطيها الشبورة الكثيفة ..

فقال جيم وقد يأس تماماً :

- أرجو ألا نتحدث في هذا الموضوع يا هك ..  
فأنا على يقين من أن سوء الحظ سيحدث حتماً .. لقد  
قلت لك أن لمس جلد الشعبان يؤدى دائمًا إلى سوء  
الحظ ..

وعندما أشرق النهار .. رأينا بوضوح أنها قد  
تجاوزنا بالفعل مدينة كايرو .. وتشاورنا فيما يجب  
أن نعمله لمواجهة تلك المشكلة .. إننا لا نستطيع أن  
نعود إلى كايرو سيراً على الأقدام .. كذلك فمن المستحيل  
أن نعود إليها بالطوف .. لأن الطوف لا يسير أبداً ضد  
التيار .. والشيء الوحيد الذي يمكن أن يساعدنا هو  
أن نترك الطوف ونركب القارب .. وأن نجذب ضد  
التيار عدة ليال حتى نصل إلى مدينة كايرو ..

كان هذا هو الحل الوحيد .. لذلك فقد نمنا

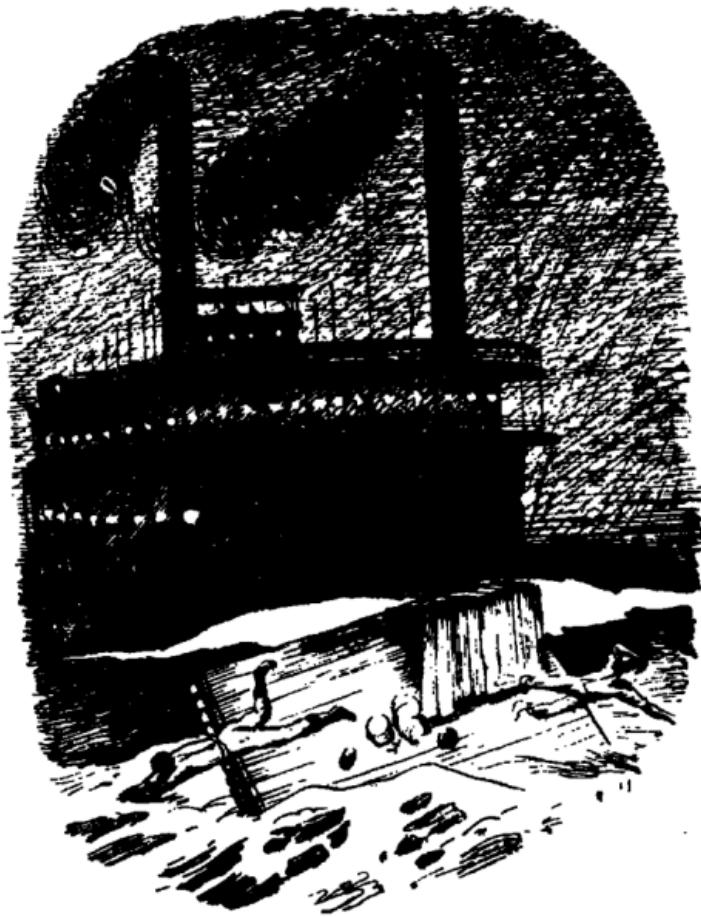
مختبئين بين الاعشاب طول النهار .. وفى الليل ذهبنا  
إلى حيث خبانا الطوف .. ففوجئنا بأن القارب قد  
اختفى !!

ولم ينطق أحدنا بكلمة .. إن هذا هو سوء الحظ  
الحقيقة الذى جلبه علينا لمس جلد الشعبان .. فماذا  
عسانا أن نصنع ..

ولم يعد أمامنا سوى أن نقلع بالطوف إلى مكان  
يمكنا فيه أن نبيعه أو نتخلص منه ثم نشتري قاربا  
نجدف به ضد التيار حتى نصل إلى كairo .. وهكذا  
أقلعنا بالطوف مرة أخرى بعد أن حل ظلام الليل ..

ولكنها كانت ليلة موحشة دامسة الظلام .. وفي  
خلال ساعات قليلة هبطت شبورة كثيفة جداً جعلتنا  
لا نرى شيئاً على الإطلاق .. لا مجرى النهر ولا الشاطئ  
ولا الأنوار ولا أى شيء آخر ..

وفجأة سمعنا أصوات آلات أحدى السفن البخارية  
وهي تقترب في اتجاهنا .. فأسرعنا باشعال المصباح  
حتى ترانا السفينة فلا تصطدم بنا .. ولكن ضسوء،



د همتنا الباغرة وانقلب الطوف ..

الصبح كان خابيا جدا وسط الصباب .. واقتربت  
منا الباخرة التي كانت تبدو لنا كسحابة سوداء داكنة  
.. وفي لمح البصر اصطدمت بنا بعنف ..

وكانت هناك صرخة .. أعقبها صوت جرس  
الباخرة لايقاف آلاتها .. ثم بعض المعنات والشتائم ..  
وصوت الصفاراة البخارية .. وبطبيعة الحال فقد قفز  
جيم من أحد جوانب الطوف .. وقفزت أنا من الجانب  
الآخر ..

وغضت في ماء النهر محاولا الوصول إلى القاع  
بأقصى سرعة حتى أتجنب عجلات المجاديف الآلية  
للباخرة .. وهي عجلات هائلة يتجاوز قطرها الثلاثين  
قدما .. وكنت على وشك الموت غرقا عندما ارتفعت  
مرة أخرى إلى سطح النهر ..

ورغم الضباب فقد شاهدت الباخرة وقد ابتعدت  
بعد أن عادت آلاتها إلى العمل مرة أخرى .. فمثل هذه  
السفن لا تعبأ بالأطوااف ولا بمن يركبونها !!

وناديت على جيم .. ولكنني لم اسمع له صوتا ..  
فعاودت النداء مرات ومرات دون جدوى .. وبذلت  
أسبع متجها نحو الشاطئ ..

وكانت أرض الشاطئ وعرة جدا .. ومع ذلك  
فقد اضطررت للسير عليها لمسافة نحو ربع ميل .. إلى  
أن وصلت إلى مشارف بيت من البيوت العريقة ذات  
الطراز القديم .. وفجأة .. قفزت نحوى مجموعة من  
الكلاب الضخمة أحاطت بي من كل جانب .. وكان على  
أن أتوقف دون أن أجسر على التحرك ولو خطوة واحدة ..



## الفصل السابع

### الثأر !٠٠

وبعد حوالى نصف دقيقة ، فتحت احدى النوافذ  
وليم يطل منا أحد .. وسمعت صوتا يأتى من خلالها :

— من هناك .. !٩

فقلت :

- أنا .. جورج جاكسون .. !
- وماذا تريدى فى مثل هذه الساعة من الليل ٤٠٠
- لا أريد شيئا يا سيدى .. لقد سقطت فى النهر من الباخرة التى عبرت منذ قليل .. !

- هل سقطت من الباحرة حقاً .. اذن فلا تخف  
فلن يؤذيك أحد .. ولكن ابق كما أنت ولا تحاول أن  
تتحرك .. هيا يا بوب وانت يا توم .. احضرنا  
بنادقكما .. وانت يا جورج جاكسون هل معك أحد  
آخر !! ..

- لا يا سيدي .. فأنا وحدي !  
- جورج جاكسون .. هل تعرف عائلة  
شبردسون !! ..

- لا يا سيدي .. لم أسمع عنها اطلاقاً !! ..  
- طيب .. عليك الآن أن تتحرك ببطء شديد ..  
وإذا كان معك أحد فدعه يتحرك خلفك والا فسوف  
نطلق عليه النار فوراً .. وعليك أن تتقدم نحو الباب  
.. وتفتحه فتحة صغيرة تكفي لمرورك الى الداخل ..  
سامع !

وبدأت تتحرك خطوة خطوة .. وصعدت الدرجات  
الثلاث المؤدية الى الباب .. وسمعت صوت فتح الملاج

والمتاريس .. ودفعت الباب قليلاً قليلاً إلى أن سمعت صوتاً يقول :

ـ يكفي هذا .. أدخل رأسك من فتحة الباب ..!  
فأدخلت رأسي وأنا أشـك في أنهـم سـوف يقطـعـونـها ..!

ولكن على ضوء أحـدى الشـمـوع بالـداخـل شـاهـدـتهم وـشـاهـدـونـي .. وـفـى خـلال رـبـع دـقـيقـة رـأـيـتـهـم جـمـيعـا .. رـأـيـتـ رـجـلـاً ذـا شـعـر رـمـادي وـعـمرـه نـحـو سـتـين عـامـا .. وـرـجـلـينـ آخـرـينـ فـي حـوـالـي الثـلـاثـينـ .. كـمـا رـأـيـتـ سـيـدةـ جـمـيلـةـ ذاتـ شـعـر رـمـادي .. تـقـفـ خـلـفـهـا فـتـاتـانـ جـمـيلـتـانـ فـي سنـ الشـبـابـ .. وـكـانـوا جـمـيعـا يـرـتـدونـ مـلـابـسـ فـاـخـرـةـ .. وـكـانـ الرـجـالـ يـصـوـبـونـ بـنـادـقـهـمـ نـحـوـ ..!

وقـالـ الرـجـلـ العـجـوزـ :

ـ لا بـأـسـ .. لا بـأـسـ .. أـدـخلـ !  
وبـمـجرـدـ أـنـ دـخـلتـ قـامـ بـاغـلاقـ الـبـابـ بـالـمـزـلاـجـ  
وـالمـتـارـيسـ مـرـةـ آخـرـى .. وـأـدـخـلـونـيـ إـلـىـ حـجـرـةـ الـجـلوـسـ

وأخذوا يتفحصونى بدقة .. و قالوا جميعاً إننى لست  
من عائلة شبردسون .. وعندئذ قال لي الجنتلمن  
العجز أن اعتبر نفسي كما لو كنت في بيتي .. وطلب  
مني أن أخبرهم بقصتي ..

**وهنا قالت السيدة الجميلة ذات الشعر  
الرمادي :**

- ولم العجلة يا ساؤل .. ان الغلام المسكين مبتل  
عن آخره .. وربما كان جائعاً .. !  
- حقاً ياراشيل .. لقد نسيت ..

**فقالت السيدة :**

- فلتذهب احدى البنات لايقاظ بوك ولتخبره  
بأن .. ولكن .. أوه .. ما هو بوك بنفسه قد حضر  
.. من فضلك يا بوك .. خذ هذا الفريب الصغير وأعطيه  
بعضاً من ثيابك !

وكان بوك هذا غلاماً في مثل عمري .. في نحو

الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة ٠٠ وقد جاء يتائب  
ويدعك عينيه بيده ، ويجر بندقيته بيده الأخرى ٠٠

### وتساءل بوك قائلا :

— أليس هناك أحد من عائلة شبردسون ٠٠  
فهز الرجل العجوز رأسه ٠٠ وصعدت مع بوك  
إلى حجرته بالدور العلوى حيث أعطاني بعضًا من  
ملابسها فارتديتها بعد أن خلعت ملابسي المبتلة ٠٠  
وسألنى بوك :

— كم من الوقت تنوى البقاء معنا ٠٠ أرجو أن  
تبقى معنا بصفة مستديمة ٠٠ فسوف تقضي معاً أوقاتاً  
حلوة طيبة ٠٠ فنحن الآن في الإجازة المدرسية ٠٠ هل  
أنت موافق على ذلك ٠٠ اذن تعال ٠٠

وعندما هبطنا إلى الدور السفلي ٠٠ قدموا إلى  
طعاماً لم أذق مثله في حياتي ٠٠ قدموا خبزاً مصنوعاً  
من القمح ٠٠ وقطعة كبيرة من اللحم البقرى ٠٠ وزبدًا

٠٠ وسلطنة لبن ٠٠ وأخذوا جميعاً يوجهون إلى أسللة  
كثيرة فاختبرت لهم قصة ٠٠ وقالوا لي أن في امكانى  
ان أبقى معهم لأى مدة أراها ٠٠

ولأن الوقت قد أصبح متأخرا وأوشك النهار أن يطلع فقد توجهوا جميعا إلى غرف نومهم .. وشاركت بوك في غرفة نومه ..

ولكن عندما استيقظت في الصباح ، فوجئت بأنى قد نسيت اسمى الذى ادعيته بالأمس .. وعندما استيقظ يوم قلت له :

- هل تستطيع أن تهجم الكلمات بطريقة  
صحيحة ! ..

فقال علي الفور :

\_ طبع

- أراهن أنك لا تستطيع أن تتجهي أسمى ..

- آراهنک ... اني استطیع ... فهیاء اسمک هو:

ج. و. ر. ج. ج. ۱۰۰ ک. س. و. ن. ها ما رأيك ؟

وهكذا كتبت هجاءه اسمى على ورقة .. حتى لا  
اسأله بعد ذلك .. وحتى أستطيع هجاءه اذا طلب أحد  
مني أن أفعل ذلك .

كانت العائلة طيبة جداً وراقية .. وكان البيت  
الذى يعيشون فيه بيتاً عظيماً له يد من النحاس اللامع  
مثبتة على بابه الخارجى .. أما غرفة الجلوس فكانت  
رحبة واسعة تتصدرها مدفأة ضخمة تسع جذع شجرة  
بأكمله .. وفوق جدار المدفأة وضعت ساعة جميلة ذات  
دقائق جميلة عندما تعمل .. وفي بعض الاحيان عندما  
يقوم بتنظيفها أحد الساعاتية الذين يتجلولون في شوارع  
المدن ليصلحوا الساعات ، فان الساعة كانت تدق عندئذ  
مائة وخمسين دقة قبل أن تتوقف !

وكانت هناك بعض اللوحات الجميلة معلقة على  
جدران غرفة الجلوس .. وقالوا لي ان هذه اللوحات  
جميعها من رسم احدى بنات الأسرة التي ماتت منذ  
فتره وكان عمرها لا يتجاوز خمسة عشر عاماً ..  
وقد لفتت نظرى احدى اللوحات الكبيرة ..

وقد قالوا لي ان الفتاة قد ماتت قبل أن تنتهي من رسماها .. وكانت اللوحة عبارة عن فتاة شابة ترتدي ملابس بيضاء ، تقف على سور أحد الكبارى متأهبة لالقاء نفسها فى النهر .. وكان شعرها يتطاير خلف ظهرها .. وكانت تنظر بوجهها نحو القمر الساطع بينما الدموع تترقرق فى عينيها ..

ـ الذى لفت نظرى فى تلك اللوحة ، أن الفتاة كان لها ذراعان مضمومتان الى صدرها .. وذراعان آخريان مفرودتان عن آخرها .. وذراعان تمتلان نحو القمر .. وكانت الفنانة تنوى اختيار أحد هذه الأوضاع على أن تقوم بمحسو الأوضاع الأخرى للذراعين .. ولكن الفنانة قد ماتت قبل أن تقوم بهذا الاختيار .. والحقيقة أن الفتاة المرسومة فى اللوحة كانت ذات وجه صبور جميل .. ولكن أذرعها الكثيرة جعلتها تبدو مثل العنکبوت .. !

ـ أما الكولونيل جرانجر فورد رب هذه الأسرة ، فقد كان « جنتلمن » بكل معانى الكلمة .. كان يبدو طويلا

ونحيفا ، وله وجه شاحب لوحته الشمس وحليق الذقن ،  
وله شفتان رقيقتان فى غاية الرقة ، كما تتدلى سوالفه  
الرقيقة على خديه .. وله أنف دقيق يرتفع الى أعلى ،  
وحاجبان كثيفا الشعر ، وعيان سوداوان عميقتان  
تبدواان كما لو كانتا تطلان من كهف عميق غائر .. أما  
شعر رأسه فقد كان مسترسلا حتى كتفيه .. وكانت  
يداه طويلتين نحيفتين ..

وفي كل يوم كان الكولونيل يحرص على ارتداء  
قميص نظيف وحلة نظيفة بيضاء يكاد بياضها الشاهق  
يؤذى العينين .. وفي أيام الآحاد كان يرتدى حلة زرقاء  
يتخلل معطفها بازرار نحاسية صفراء .. ويمسك فى يده  
دائما عصا أنيقة ذات مقبض من الفضة الخالصة .. وعلى  
وجه العموم فقد كان الكولونيل من ذلك النوع من  
الرجال الذى يخيل اليك أنك تعرفه ، وتشق فيه ..

اما الابن الأكبر بوب ، والابن الذى يليله توم ،  
فقد كانا شابين متشابهين الى حد كبير .. كانوا طويلين  
ولهما آكتاف عريضة ، ووجهان أسمران وشعر طويل

أسود وعيون سوداء .. وكانا يرتديان حسلاً بيضاء  
ناصعة البياض مثل أبيهما .. ويلبسان دائمًا قبعات  
عريضة من النوع المعروف باسم قبعات بناما ..

أما الابنة الكبرى الآنسة شارلوت فقد كانت في  
حوالي الخامسة والعشرين ، وتبدو جميلة طويلة ، فخورة  
بنفسها ونديها احساس جارف بالعظمية ، وإذا غضبت  
من شيء فانها تطلق من عينيها نظرات ثاقبة يمكن أن  
تجمدك في مكانك إذا وجهتها اليك ..

أما اختها الصغرى الآنسة صوفيا فكانت في حوالي  
العشرين ، وجميلة مثل اختها .. ولكن جمالها كان من  
النوع اللطيف الرقيق الذي يفيض حلاوة وعدوبه ..

وكان للاسرة أبناء ثلاثة آخرون ، ولكنهم قتلوا  
جميعا واحدا بعد الآخر .. كما كانت هناك أيضا الابنة  
أميلين التي توفيت ..

وكانت الاسرة تمتلك مزارع واسعة ولديها أكثر  
من مائة خادم .. وفي كثير من الأحيان كان بعض أقارب

الأسرة يحضرون على ظهور الخيل ، قادمين من المناطق المجاورة التي لا تبعد أكثر من عشرة أميال أو خمسة عشر ميلاً ..

وكان هؤلاء الأقارب يقيمون ندى الأسرة نحو خمسة أو ستة أيام .. يعقدون خلالها حفلات مرحة قرب شاطئ النهر ، أو يتناولون الغداء في الغابات القرية ، ويقيمون حفلات الرقص في البيت في كل مساء .. وقد لاحظت أن جميع الرجال كانوا يحملون بنادقهم في جميع الأحوال .. حقاً لقد كانت أسرة عظيمة !

وكانت هناك نحو خمس أو ست أسرات من الطبقة العليا تعيش في المناطق المجاورة .. وكانت أهمها أسرة شبردسون ، وهي أسرة عظيمة واسعة الشراء مثل أسرة جرانجرفورد .. وقد شاهدت بعض أفراد من تلك الأسرة وهم يركبون الباخر مع أفراد آخرين من أسرة جرانجرفورد ..

وفي أحد الأيام ، بينما كنا أنا وبوك نقوم بالصيد

في احدى الغابات القرية .. سمعنا وقع حوافر أحد  
الخيول قرب الطريق .. وهنا قال بوك بسرعة :

ـ هيا .. فلنختبئ في الغابة فورا .. !

واختبأنا .. وأخذنا نراقب الطريق بحذر ..  
وشاهدنا فتى أنيقا يمتطي ظهر حصانه وكان يحمل  
بندقية .. وأخبرني بوك أن هذا الفتى هو هارنى  
شبردسون .. وبعد فترة قصيرة أطلق بوك بندقيته  
فطارت قبعة هارنى وسقطت على الأرض دون أن يصبه  
أذى ..

وعلى الفور انطلق هارنى نحو المكان الذى اختبأنا  
فيه .. ولكننا أسرعنا بالفرار .. ولأن الغابة لم تكن  
كثيفة ، وحتى أتعاشى الاصابة ، كنت أنظر خلفي بين  
حين وآخر ، وشاهدت هارنى وهو يطلق الرصاص مرتين  
نحو بوك .. ثم استدار أخيرا وانصرف ، ولكننا مع  
ذلك واصلنا الجري ولم نتوقف الا بعد أن وصلنا إلى  
البيت ..

وبعد أن قام بوك بأخبار الأسرة بقصة اطلاق  
الرصاص على هارنى شبردسون ، ظهرت بعض ملامح  
الشروع على وجه الأب .. ولكنه قال بهذه :

— أنا لا أحب اطلاق الرصاص من وراء الظهر ..  
لماذا لم تقدم إليه وتواجهه وجهاً لوجه ؟

فقال بوك :

— إن عائلة شبردسون تطلق النار من وراء  
ظهورنا يا أبي .. وهم بذلك يحصلون على أفضل  
فرصة .

وكانَتِ الآنسة شارلوت تسمع هذه الحكاية وقد  
رفعت رأسها إلى أعلى وتبعد مثل الملكة .. أما الابناء  
الكبيران فلم يقولا شيئاً .. وقد لاحظت أن وجه  
الآنسة صوفيا قد أصبح شاحباً وهي تسمع هذه القصة  
.. ولكن وجهها عاد إلى لونه الطبيعي بعد أن علمت أن  
هارنى شبردسون لم يصب بسوء !

وعندما أصبحنا وحدنا .. أنا وبوك .. سأله :

ـ هل كنت ت يريد أن تقتله حقاً يا بوك ..

ـ طبعاً .. !

ـ ولماذا كنت ت يريد أن تقتله .. هل فعل ضدك شيئاً أغضبك .. ؟

ـ هو ؟ .. انه لم يفعل شيئاً ..

ـ اذن .. لماذا تقتله .. ؟

ـ بسبب الثأر !

ـ الثأر ؟ .. ما هو الثأر ؟

ـ آه .. نفرض أن هناك رجلاً تشاجر مع رجل آخر وقتله .. فيقوم أخو القتيل بقتل القاتل .. ثم يبدأ الاخوة وأبناء العمومة من كلا الطرفين في قتل بعضهم بعضاً .. واحداً وراء الآخر .. وهكذا يظل الثأر بينهم حتى يقتل الجميع .. وعندئذ يتهدى الثأر .. ولكن ذلك يستغرق وقتاً طويلاً .. !

- ومتى بدأ الثأر بينكم وبين عائلة شبردسوون  
يا بوك ؟ ٠٠

- بدأ منذ مدة طويلة ٠٠ منذ نحو ثلاثة عاما ٠٠  
كانت هناك مشكلة تتعلق بشيء ما ٠٠ ورفعت بشأن  
تلك المشكلة دعوى قضائية أمام المحكمة ٠٠ وبطبيعة  
الحال فقد حكمت المحكمة لصالح أحد الطرفين  
المتخاصمين ٠٠ فقام الطرف الذي خسر القضية بقتل  
الطرف الذي كسبها ٠٠ وهذا أمر طبيعي ٠٠ وهكذا  
بدأ الثأر بين الطرفين ٠٠

- ولكن من هو الطرف الذي بدأ القتل ٠٠ هل  
هو من عائلتكم أم من عائلة شبردسوون ١٩ ٠٠

- لا أدرى ٠٠ ولكنني أظن أن أبي يعرف ذلك ٠٠  
كما يعرفه بعض كبار الأسرتين ٠٠ ولسكنهم جميعا  
لا يعرفون ما هو أصل المشكلة التي حدثت في  
البداية ٠٠ !

- وهل قتل رجال كثيرون ٠٠ ؟

- نعم ٠٠ ولكن البعض كانوا يقتلون من القتل

٠٠ فقد أصيب أبي بعده طلقات ٠٠ كما طعن بوب  
بسكين ٠٠ كذلك فقد أصيب توم مرة أو مرتين ٠٠  
ـ وهل حدث قتل في هذه السنة ٠٠ ؟  
ـ نعم ٠٠ قتل واحد من عندنا ٠٠ وواحد من  
عندهم !

وفي صباح يوم الأحد التالي ٠٠ ذهبنا جميعا إلى  
الكنيسة التي تبعد نحو ثلاثة أميال عن البيت ٠٠ وكنا  
جميعا نمتطي ظهور الخيول ٠٠ وعندما جلسنا بقاعة  
الكنيسة كان الرجال يضعون بنادقهم بين أرجلهم أو  
يسندونها على العائط بجانبهم ٠٠ وكذلك فعل جميع  
الرجال الآخرين من عائلة شبردسون ٠٠

وعندما عدنا إلى البيت تناولنا القداء ٠٠ وبعد  
نحو ساعة بدأ الجميع ين逡ون ويرغبون في النوم ٠٠  
واستلقى بوك على أعشاب الحديقة وببدأ ينام بجوار  
الكلب الذي كان مستلقيا هو الآخر على العشب .  
وصعدت إلى الغرفة المعلوقة لاستريح قليلا ٠٠

وهناك فوجئت بوجود الآنسة صوفيا التي سالتني  
خامسة اذا كنت استطيع ان اتسلل بهدوء ودون ان  
أخبر أحدا ، وأذهب الى الكنيسة لاحضر كتاب الصلاة  
الخاص بها ، والذى نسيته على المبعد الذى كانت تجلس  
عليه .. فاجبتها بأنى استطيع ذلك بالطبع .. وذهبت  
الى الكنيسة ..

والحقيقة أنى بدأت أشك فى الأمر ، وقلت لنفسي  
انه ليس من الطبيعي أن تهتم احدى الفتيات بكتاب  
صلواتها على مثل هذا النحو .. وعندما عثرت على  
الكتاب تصفحته بسرعة ، فوجدت بين صفحاته ورقة  
صغيرة كتب عليها بالقلم الرصاص : « الساعة الثانية  
والنصف » .. ولم أستطع أن أستنتاج شيئا ..  
فوضعت الورقة فى مكانها بين صفحات الكتاب ..

وفور عودتى الى البيت ، صعدت الى الحجرة  
العلوية ، فوجدت الآنسة صوفيا فى انتظارى .. وأخذت  
الكتاب وقرأت الورقة فلمعت عيناه بسرور ، وقالت

لـ انى أحسن ولـ فى هذا العالم .. وـ اـن على أن  
احتفظ بهذا السر ولا أـخبر به أحدا ..

وبـعـد ذلك غادرت الـبيـت وأـخـذـت أـتمـشـى عـلـى  
شـاطـئـ النـهـر وـأـنـا أـقـلـبـ هـذـا المـوـضـوعـ الغـرـيـبـ فـى  
ذـهـنـى .. وـلـكـنـى لـاحـظـتـ أـنـ جـاكـ الخـادـمـ الزـنـجـىـ الخـاصـ  
بـبـوكـ كـانـ يـتـبعـنـى .. وـعـنـدـمـا اـبـتـعـدـتـ عـنـ الـبـيـتـ كـثـيرـاـ  
لـاحـظـتـ أـنـ جـاكـ قـدـ بـدـأـ يـجـرـىـ نـحـوىـ ، وـقـالـ بـأـنـفـاسـ  
لاـهـةـ :

ـ سـيـدـى مـسـتـرـ جـورـجـ .. اـذـا جـنتـ مـعـى ..  
سـارـيـكـ مـكـانـاـ تـكـثـرـ بـهـ ثـعـابـينـ السـمـكـ ! ..

وـسـرـتـ مـعـهـ نـحـوـ مـيـلـ أوـ أـكـثـرـ فـىـ مـنـطـقـةـ تـكـثـرـ  
فيـهاـ الـخـفـرـ الـعـمـيقـةـ الـمـلـوـءـ بـالـطـيـنـ .. إـلـىـ أـنـ وـصـلـنـاـ إـلـىـ  
رـقـعـةـ مـسـطـحـةـ مـنـ الـأـرـضـ الـجـافـةـ مـلـوـءـ بـأـشـجارـ وـشـجـيرـاتـ  
وـأـعـشـابـ كـثـيـفـةـ .. وـهـنـاـ قـالـ جـاكـ :

ـ مـسـتـرـ جـورـجـ .. اـذـا دـخـلـتـ بـيـنـ هـذـهـ الـأـعـشـابـ  
فـسـوـفـ تـجـدـ مـاـ أـخـبـرـتـكـ بـهـ ! ..

وانصرف جاك عائدا الى البيت .. ودخلت على الفور بين تلك الأعشاب .. وعلى مسافة قريبة رأيت مساحة صغيرة مستوية من الأرض ورجلان نائمان .. وفوجئت بأن هذا الرجل النائم هو جيم العجوز بنفسه !!

وأيقظته وأنا على اعتقاد بأن رؤيته لي سبب له ذهمة كبيرة .. ولكنه صاح فرحا واستقبلنى بسرور عظيم .. ولكنه لم يندهش .. بل بدا وكأنه كان ينتظر حضوري !!

### ثم بدأ يحكي الحكاية :

— لقد سبحت خلفك في تلك الليلة .. وسمعتك وأنت تنادى على عدة مرات .. ولكن لم أستطع أن أجيب حتى لا يقبض على أحد .. ولقد أصبحت اصابة بسيطة ولكنها جعلتني أسبع ببطء .. واعتقدت أننى

سأستطيع اللحاق بك عند الشاطئ .. وتبعتك ..  
ورأيتك تدخل الى البيت .. فاختبأت في الغابة القريبة  
حتى الصباح .. وانتظرتك .. ودلتني بعض العمال  
الزراعيين على هذا المكان الذي أختبئ فيه الآن ..  
وكانوا يحضرون الى الطعام كل ليلة .. وكانوا  
يخبرونني بأحوالك بصفة مستمرة .. !

وهنا سالته مندهشا :

- ولكن لماذا لم تطلب من جاك أن أحضر إليك  
فورا ؟ ..

فقال بهدوء :

- كنت لا أريد أن أعكر صفوك .. كما كان من  
الضروري أن يمر وقت كاف لنصبح مستعدين تماماً ..  
والآن أصبحنا مستعدين .. فقد اشتريت بعض الطعام  
وأوعية ومقلة .. كما أصلحت الطوف الذي ..

- طوف .. آى طوف يا جيم !؟

- طوفنا القديم .. !

- طوفنا ؟! هل تقصد أنه لم يتحطم وما زال سليماً !؟

- نعم .. لقد حدثت بعض التلفيات البسيطة في مؤخرته فأصلحتها .. رغم أننا قد فقدنا جميع حاجياتنا في هذا الحادث ..

- ولكن كيف عثرت على الطوف مرة أخرى ؟ ..

- لقد عثر عليه بعض الزنوج وخباؤه في مكان بالنهر تكثر به الأعشاب بالقرب من الشاطئ ..

لا أريد أن أطيل الحديث عما حدث في اليوم التالي .. ولكن عندما استيقظت في الصباح .. لاحظت أن بوك قد سبقني في الاستيقاظ وخرج .. وعندما هبطت إلى الدور السفلي لاحظت أن البيت كان ساكنا تماماً ولم أر أحداً .. لقد اخترق الجميع !

وقرب كومة من الأخشاب في الفناء الخارجي  
رأيت جاك واقفاً فسألته :

ـ ماذا جرى يا جاك .. ؟

فقال جاك في اهتمام :

ـ لقد هربت الآنسة صوفيا يا مسiter جورج ..  
هربت لتتزوج من الشاب هارنى شبرادسون .. وقد  
اكتشفت الأسرة هربها منذ نصف ساعة فقط .. فركب  
الجميع خيولهم وأخذوا بنادقهم وانطلقوا .. وذهبت  
السيدات لتحرير أقارب الأسرة .. أما مسيدى  
الكولونيل فقد ذهب ومعه ابناء الى شاطئ النهر  
ليتبعقوها هارنى شبرادسون ويقتلونه قبل أن يعبر النهر ..  
ومعه الآنسة صوفيا ..

وأسرعت بالذهاب الى شاطئ النهر .. وهناك  
سمعت طلقات الرصاص .. فاعتليت كومة كبيرة من  
جذوع الأشجار المقطوعة كانت موجودة في مكان قريب  
من مرسى الباخر وأخذت أراقب ما يحدث ..

كانت هناك مجموعة من نحو أربعة أو خمسة رجال يركبون الخيول ويريدون الهجوم على شابين صغيرين كانوا يختفيان وراء كومة من الاخشاب مواجهة لمarsi البواخر . . وكان الشابان جالسين على الأرض ظهرا لظهر ليربما الطريق من ناحيته . .

وتوقف راكبو الخيول لحظة ، ثم استداروا ليهجموا على كومة الاخشاب من الجهة الخلفية ولكن أحد الشابين نهض واقفا وصوب بندقيته نحو الرجال وأطلقها ، فسقط أحد الرجال المهاجمين من فوق حصانه . . ونزل الرجال الآخرون من فوق ظهور خيولهم وحملوا الرجل المصابة إلى مكان ما خلف أحد المخازن .

وفي هذه اللحظة انطلق الشابان وأخذا يجريان نحو كومة الحشائش التي أعلوها . . واحتبا خلفها . . ومن هذا المكان أصبح الشابان في وضع أفضل من قبل . . وكان أحدهما هو بوك . . أما الشاب الآخر فقد كان في حوالي التاسعة عشرة من عمره . .

وانطلق الرجال المهاجمون بخيولهم الى أن اختفوا  
عن نظري .. وعندئذ ناديت على بوك الذى انهى  
كثيرا لسماع صوتي من أعلى الكومة ثم طلب منى أن  
أرقب الطريق من مكانى المرتفع ، وأن انبهه اذا عاد  
الرجال مرة أخرى ..

فى حقيقة الأمر كنت أريد أن أنزل من فوق كومة  
جذوع الاشجار ، وأذهب الى أي مكان آخر ، ولكننى  
لم أعد الآن أستطيع ذلك .. وسألت بوك عما جرى  
لهارنى والأنسة صوفيا .. فأخبرنى بأنهما أفلتا وعبرا  
آمنين الى الشاطئ الآخر .. وقد فرحت لسماع هذا  
النبا .. ولكن بوك أخذ يلعن اليوم الذى تمكן فيه  
من اطلاق النار على هارنى ولم يصبه ..

وفجأة .. بوم بوم ! ..

انطلقت ثلاث أو أربع بنادق .. وظهر الرجال وهم  
يمشون على أقدامهم بدون خيول قادمين من ناحية  
الفاية .. لقد أصبعوا في مواجهة الشابين تماما ..  
وهنا اندفع الشابان وقفزا الى النهر ، فانطلق نحوهما

الرجال المهاجمون وهم يطلقون الرصاص ويصيرون :  
اقتلوهما .. اقتلوهما ..

وقد أصابتني تلك المفاجأة بالدوخة .. حتى كدت  
أسقط من فوق الكومة .. ولكنني تماسكت بعصوبية  
.. وبقيت في موقعى هذا خائفا دون حركة حتى حل  
ظلام الليل .. وكنت أفكر في أنى الملوم في كل  
ما حدث .. وأصبحت بحالة من البؤس .. وقررت لا  
أعود مرة أخرى إلى بيت هذه الأسرة .. وأخذت ألموم  
نفسى .. ألم يكن من الواجب أن أخبر الأب بأمر تلك  
الورقة التي وضعـت بين صفحات كتاب الصلاة ..  
ويأمر هذا الطلب الغريب الذي طلبتـه مني ابنته ..  
انه كان على الأقل سيصبح قادرـا على أن يغلق عليهاـ  
الباب ويمنعـها من الفرار .. ويمنعـ بالتالي حدوث  
تلك المصيبة وكل تلك المتاعب ..؟!

وعندما هبطـت في الطلام من فسوق الكومة ..  
أخذـت أزحف بحذر نحو الشاطئ .. ورأـيت جنـتي  
الشابـين منبطـعين في المياه الضـحلة قرب الشاطـئ ..

فسحبتهما الى الأرض حتى لا يجرفهما التيار ..  
وبكيت عندما كنت أغطى وجه بوك .. لقد كان فتى  
طيباً وعاملنى بكل لطف ..

ووسط الظلام الحالك .. أخذت طريقى الى المكان  
الذى يختبئ فيه جيم .. ولكنى لم أتعثر له على اثر  
.. فاسرعت الى المكان الذى خبانا فيه الطوف وأنا  
مشتاق تماماً الى أن ألقى بنفسي فوق ظهره وأغادر هذا  
المكان الغظيع بلا رجعة .. ولكنى فوجئت بأن الطوف  
قد اختفى .. وعندئذ انتابنى الخوف والفزع وكدت  
أبكي ..

ولكنى سمعت صوتاً يقول :

ـ حمداً لله .. هانت ذا يا صديقى مرة أخرى ..  
لقد كان صوت جيم .. يأتي من الماء قرب  
شاطئ النهر .. فاندفعت نحو الشاطئ بسرعة ،  
والقيت بنفسي فوق ظهر الطوف .. وأخذنى جيم بين  
أحضانه وهو يربت على ظهرى ويقول :

- باركك الله يابني .. لقد كنت أظن أنك  
قتلت مرة أخرى .. وكدت أقلع بالطوف منذ لحظة ..  
متوجهها صوب مصب النهر .. وكانت عمل استعداد  
لللقاء بمجرد وصول جاك ليوكد لي انه قد قتلت  
فعلا .. ولكن حمدا لله .. كم أنا مسror بعودتك  
سالما يا صديقى العزيز ..

ومع ذلك فلم أشعر بالاطمئنان الا بعد أن أصبحنا  
في وسط النهر وعلى بعد نحو ميلين من ذلك المكان  
الفظيع .. !

وعلقنا مصباحنا المضيء فوق عمود الطوف ..  
وانطلقنا مع التيار ونحن نشعر بأننا قد استعدنا  
حريتنا مرة أخرى وأصبحنا أكثر أمنا ..

ولم أكن قد تناولت أى طعام منذ الامس ..  
فقام جيم وأعد لنا عشاء طيبا .. وكم أصبحت  
مسرورا بتخلصي نهاييا من مشاكل الشأر .. وتخليص

جيم أيضا من الاختباء فى الطين .. وأخذنا نقول  
لأنفسنا : ليس هناك مكان فى العالم .. أفضل من  
ركوب الطوف .. حيث نشعر بالحرية والبساطة  
والراحة !!

## الفصل الثامن

### اثنان من الأوغاد !

ومرت ليتان أو ثلاثة ليال .. وكان الوقت يمر  
لطيفا كمر السحاب .. كله هدوء ولطف وسعادة ..  
وكان مجرا النهر يتسع في بعض المناطق حتى يبلغ  
نحو الميل ونصف الميل في الاتساع ..

كنا نقلع بالطوف بمجرد أن يبدأ الظلام ..  
وقبل طلوع الفجر بقليل ، كنا نرسو بالطوف في أية  
منطقة رملية قرب الشاطئ .. ثم نخفيه عن الانظار  
بعض الاعشاب وفروع الشجر .. وبعد ذلك ننصب

الستانير لاصطياد الأسماك ، ونتركها تؤدى دورها  
دون أن نبذل من جانبنا أى تعب أو عناء ..

ونبدأ بعدها في السباحة لنرور عن أنفسنا  
ونغسل متابعينا في ماء النهر . ولنراقب قرص  
الشمس وهو يشرق في الأفق .. ونتمتع بالنسيم  
الذى يهب بلطف ونعومة .. والهواء النقى البديع  
الذى يحمل الى أنوفنا رائحة الزهور وأشجار  
الغابات ..

ثم نشعل نارا صغيرة لا تلفت النظر ، نطهو  
عليها بعض الأسماك التي اصطادتها الستانير ،  
ونتناول افطارا شهيا ساخنا .. ثم نجلس لنتأمل في  
صمت النهر ووحدته .. وفي المساحات الشاسعة  
المترامية على مدى البصر .. الى أن يتسلل الى عيوننا  
النعاس فننام .. ثم نستيقظ فترة ونواصل بعدها  
النوم من جديد ..

وعندما يحل ظلام الليل .. نشرع في الاقلاع  
بالطوف مرة أخرى .. وعندما يصبح الطوف في  
منتصف النهر تماما نتركه يسبح في حرية مع التيار  
.. ونبدا في التدخين ونحن ندل أرجلنا في ماء  
النهر ، ونتحدث طويلا في جميع أنواع الموضوعات  
وعن جميع أنواع الأشياء .. وأحيانا كنا نتخيل أن  
النهر قد أصبح ملائكة لزمن طويل قادم .. وأحيانا  
أخرى كنا نشاهد باخرة أو باخرتين تمخرا في عباب  
النهر قربنا ..

وفي صباح أحد الأيام ، عثرت على قارب فركبته  
وأخذت أجده نحو مكان آخر من الشاطئ، آملا في  
العثور على بعض أشجار التوت لأجمع منها بعض  
الثمار ..

وفجأة رأيت رجلين يجريان نحوى وقد تقطعت  
أنفاسهما من شدة التعب . وتوسل إلى الرجلان لكي  
أنقذ حياتهما .. وأخبراني أن الناس والكلاب

قادمون خلفهـما ويتغبون أثـرـهـما .. فـأـركـبـتـهـمـا  
بالقارب ، وجدفت نحو الطوف ..

كان الرجل الأول عجوزا في نحو السبعين من عمره ، له سوالف كثيفة من الشعر الأشيب .. بينما كان رأسه خاليا من الشعر على الاطلاق .. أما الرجل الثاني فقد كان شابا في نحو الثلاثين .. وكان كل منهما يحمل معه حقائب كبيرة ..

وسمعت حدثا غريبا دار بين الرجلين .. فقد قال العجوز ذو السوالف البيضاء لزميله :

- ما هي قصتك .. وما هو سبب متاعبك ؟!

### فاجاب الشاب :

- كنت أبيع مادة أدعى أنها تنظف القذارة المتراكمة على الأسنان و تمنع تسوسها .. ولكن هذه المادة وان كانت تنظف صدأ الأسنان فعلا ، الا أنها كانت تمحو السطح الخارجي للأسنان أيضا وتسبب

بعض الآلم .. ويظهر أننى قد بقىت فى ذلك المكان  
أكثر من الوقت المناسب .. وعندما اكتشفوا أمر تلك  
المادة بدأوا يطاردوننى ، فجريت إلى أن صادفتك عند  
الناصية وأنت تجرى أيضا .. وأخبرتني أنهم قادمون  
من تلك الناحية وقلت لنفسي لنجرى معا .. هذه هي  
قصتي .. والآن .. ما هي قصتك أنت .. !؟

### فقال العجوز ذو السوالف البيضاء :

- لقد جئت إلى ذلك المكان منذ حوالي أسبوع ..  
وفى كل ليلة كنت أعقد للناس محاضرة ضد التمر  
والمسكرات وأبين للناس مضارها وآثارها السيئة ..  
ونظير ذلك كنت أحصل على ستة دولارات فى كل  
محاضرة .. ثم انتشر بين هؤلاء الناس خبر يؤكد لهم  
أننى أشرب التمر سرا .. وفى صباح هذا اليوم ،  
أيقظنى أحد الزوجين وأخبرنى أن الناس سوف  
يقبضون على ويجرسوننى .. وسوف يدهنون جسمى  
بالزفت ويفطوننى بريش الطيور ليسخروا منى فى

جميع أنحاء القرية .. لذلك فقد شرعت في الهرب  
والفرار فورا ، دون أن أنتظر حتى لتناول افطاري ..  
رغم أنني كنت ومازلت حائلا حتى الآن .. !

وهنا قال الشاب :

- أيها الرجل العجوز .. لا بد أن نضم قواتنا  
ونعمل سويا .. !

فتسائل ذو السوالف :

- ولكن ما هو عملك الأساسي .. ؟  
- مطبعجي .. وأحياناً أعمل كطبيب يداوى  
الجروح والأمراض .. أو مثل ، أو أقوم بتدريس  
الفناء والجغرافيا .. وللتغيير كنت أقوم في بعض  
الأحيان بالقاء الخطب والأحاديث في أي موضوع من  
الموضوعات وبمقابل معقول .. وأنت .. ما هو عملك  
الأساسي .. ؟

## فقال العجوز :

— آه .. أحياناً كنت أعمل كطبيب لمداواة جميع أنواع الأمراض .. وأستطيع أن أتنبأ بالبخت وأرى الطالع اذا وجدت شخصاً يعمل معى في هذا المجال ليزودنى سراً بالمعلومات التي يمكنه تجميعها .. وفي أحيان كثيرة كنت أعمل في القاء الخطب والمواعظ !

وبعد فترة قصيرة ساد فيها الصمت .. تنهى الشاب بعمق وقال :

— خلاص .. لقد ضاع كل شيء .. !

## فتساءل الرجل العجوز :

— لماذا .. وما هذا الشيء الذي ضاع منك .. ؟

فقال الشاب وهو يمسح طرف احدى عينيه بخرقة بالية :

— اني افكر فيما آلت اليه أحوالى .. وهذه الحياة البائسة التي كتب على أن أحياتها .. لقد أخذت

منى الدنيا كل شئ .. أخذت أحبابي .. أخذت  
ممتلكاتي .. أخذت كل شئ .. كل شئ .. ولكنها  
لن تستطيع أن تأخذ مني قبرى .. ففى يوم ما سارقد  
في هذا القبر ومعى قلبي المحطم المسكين .. ولكنى  
سامسح من كل هذه المتاعب .. !

فقال الرجل العجوز بغضب :

- ولماذا تلقى علينا بهمومك هذه .. اتنا لم  
نصنع لك شيئاً يسيئك .. !

- نعم أعرف أنكم لم تصنعوا شيئاً ضدى ..  
وأننى السبب فى كل المتاعب التى جررتها على نفسى  
.. انكم لن تصدقوا ما سوف أقول .. اذا أخبرتكم  
بسر عراقة مولدى .. !

- سر عراقة مولدك .. ما هو هذا السر .. ?

فقال الشاب بوقار شديد لا يخلو من الاحساس  
بالعظمة :

- أيها السادة .. سأخبركم بحقيقة أمري ..  
فأنا أحمل لقب دوق بحكم القانون .. !

وكدنا نسقط أنا وجيئ على سطح الطوف من  
شدة الدهشة .. وواصل الشباب حديثه قائلاً :

- نعم .. أيها السادة .. نعم .. فان جدى  
الاكبر كان الابن البكر الاكبر لدوق بريديج ووتر ..  
ولقد جاء جدى الى هذه البلاد فى اواخر القرن الماضى  
يتتنفس نسميم الحرية .. وتزوج هنا .. وأنجب ابنا  
.. ثم مات .. وفي الوقت نفسه مات أبوه الدوق فى  
انجلترا .. ولكن الابن الأصغر لهذا الدوق استولى  
بطريقة غير شرعية على لقب الدوق وعلى جميع ممتلكاته  
.. دون أن يضع أحد فى الاعتبار أى حقوق لابن  
جدى الاكبر الذى يعتبر بحكم القانون صاحب الحق  
الأول فى ميراث الممتلكات واللقب .. وأنا ايها  
السادة .. الابن الاكبر لهذا الابن .. ومن حقى  
شرعاً أن أحمل لقب دوق بريديج ووتر .. ومع هذا  
كله .. فهأندا امامكم الآن وقد سلب منى الحق فى

حمل هذا اللقب الرفيع .. وأعيش حياة لا تتناسب  
مع مقامي .. حيث يطاردنى الناس ويلعنونى ..  
أرتدى أسمالا ممزقة .. كسير القلب .. مضطرا إلى  
مصاحبة بعض المجرمين على هذا الطوف الحقير ..!  
وأخذنا أنا وجيم نحاول تهدئته وتطييب خاطره  
ونعلن أننا على استعداد لتقديم أية مساعدة له في  
محنته .. ولكنه قال لنا :

ـ وما فائدة هذا كله .. ومع ذلك اذا أردتم أن  
تطييبوا خاطرى فعلا .. فيجب ان تعترفوا بي كدوقد  
شرعى .. واذا خاطبني احدكم ، فليقل لي يا سعادة  
اللورد .. او يا صاحب السعادة .. وأن ينصحنى  
امامى باحترام .. وأن يكون أحدكم فى خدمتى حين  
أتناول طعامى .. وينفذ ما أطلبه منه من طلبات  
بسimplicity ..

وقد رأينا أن كل هذه الطلبات سهلة ، فوافقنا  
عليها وبدأنا نعامله على هذا الأساس .. ولكن يبدو  
أن الرجل العجوز لم يكن مستريحا إلى هذا المركز

الرفيع الذى حصل عليه زميله الشاب .. فجعلمن يفكر  
فى الأمر ، ولكنها ظل صامتا ..

وبعد الظهر أقترب العجوز من الشاب وقال له  
بهدوء :

— لقد أسفت لحالك يا دوق برييدج ووتر ..  
ومع ذلك فانت لست الشخص الوحيد الذى سلبته  
منه ممتلكاته وحقوقه وألقابه الرفيعة ..

وبدا الرجل العجوز فى البكاء وسائل الدموع  
من عينيه .. ومع ذلك فقد واصل حديثه وهو يتنهى  
ويثن بصوت خفيض :

— دوق برييدج ووتر .. هل يمكننى أن أثق  
فيك .. !؟

فقال الدوق :

— بلا شك .. بلا شك !

- إذن . . . دوق بريديج ووتر . . . أني اعترف  
لك بأنى المرحوم « دوفين » (١) . . . !

وأخذنا أنا وجيم نحملق في الرجل العجوز  
بهشة شديدة . . . وانتفض المدوق متساقلاً :

- أنت . . . من ؟!

وقال الرجل العجوز وهو يفكك دموع عينيه :

- نعم يا صديقى العزيز . . . انك ترى الآن أمامك  
« دوفين » الابن الأكبر للouis السادس عشر ومارى  
انطوانيت والذى قيل انه اختفى . . . أنا لويس السابع  
عشر ملك فرنسا . . . شرعاً وقانوناً . . . !

ولم ندر أنا وجيم ماذا نصنع أمام هذا الملك  
الجديد . . . ولكننا أخذنا نطيب خاطره ونبدى له بعض  
الحزن على حاله . . . واستعدادنا لعاونته . . . فقال

---

(١) دوفين : هو اللقب الرسمي الذى يمنحك للأبن البكر لملك  
فرنسا .

بتواضع شديد انه سيستریح لو عاملناه طبقا لحقوقه  
الملكية الشرعية .. وأن علينا أن نركع أمامه عندما  
نحدثه .. وأن نناديه بلقب « صاحب الجلالة » ..  
وأن نبقى في خدمته لتلبية طلباته أثناء تناوله  
للطعام .. وألا يجلس أحدنا في حضوره الا اذا سمح  
لنا بالجلوس ..

وهكذا قبلنا أناوجيم أن نعامل الملك بهذه  
الطريقة .. وقد لاحظت أن الدوق قد بدأ يشعر  
بالمرارة لحصول الرجل العجوز على مركز أعلى من  
مركزه ، وتفوقه عليه بهذا الشكل الساحق ..

**وبعد لحظات ، قال الملك المدوق :**

- دوق بريديج ووتر .. فلتتمد يدك لانتصاف  
ولنبيأ صداقـة مخلصة !

وفرحتنا أنا وجيم بأن السلام قد بدأ يرفـف على  
الطفـف ومن فيه ..

وبطبيعة الحال لم يمض وقت طويل حتى تبين  
لي أن هذين الكذابين ليسا من الملوك ولا الدوقيات ..  
وما هما إلا اثنين من النصابيين الأوغاد .. ومع ذلك فلم  
 أقل شيئاً لعدم أهمية هذا الموضوع .. فإذا كان  
هذا الوغدان يريدان أن نعاملهما معاملة الملوك  
والدوقيات ، فلا مانع لدينا في ذلك .. مادامت هذه  
المعاملة مستحقة السلام والوثام بيننا جميعاً .. !

## الفصل التاسع

### الوغدان .. على المسرح !

وببدأ الملك والدووق يوجهان اليها الكثير من الاستئلة .. لماذا تقلع في ظلام الليل ونخفى الطوف أثناء النهار ؟ .. وهل جيم عبد هارب ؟ .. ولكنهما مع ذلك لم ييديا اهتماماً كبيراً بالإجابات .. وبعد أن تناولنا طعام الافطار قال الدووق للملك :

— هل قمت بالتمثيل يوماً في المسرح الملكي ؟ ..

فقال الملك :

— لا .. أبداً ..

- اذن .. فسوف تشتراك معن في التمثيل ..  
وعندما نصل الى أول مدينة صغيرة قادمة .. سنقوم  
باستئجار احدى القاعات لنقدم على مسرحها مشهد  
المبارزة بالسيوف من مسرحية ريتشارد الثالث ،  
ومشهد المناجاة في البلكونة من مسرحية روميو  
وجولييت لشيكسبير ..

- انى لا اعرف اي شيء عن فن التمثيل يا دوق  
بريدج ووتر .. فهل يمكنك ان تقوم بتعليمي  
وتدربي .. !؟ ..

- طبعا .. وبكل سهولة ..

- اذن .. فلنبدأ الآن .. فأنا جاهز !

وهنا قال الدوق انه سيمثل دور روميو ..  
 وسيقوم الملك العجوز بتمثل دور جولييت ! .. فقال  
الملك متربدا :

- ولكن يا سعادة الدوق .. ان جولييت كانت  
شابة صغيرة .. وأنا عجوز أصلع بلا شعر في رأسي

٠٠ وسوالفى الكبيرة من الشعر الأبيض الشائب تغطى  
خدى ٠٠ ألن يبدو ذلك غريباً وأنا أقسم بدور  
جولييت ١٩ ٠٠

### فقال الدوق بلا تردد :

— هذا لا يهم على الاطلاق ٠٠ فهو لاء الفلاحون  
البسطاء لا يفكرون في شيء من ذلك ٠٠ بالإضافة إلى  
أنك سترتدى ملابس أخرى وستضع على وجهك بعض  
المكياج والألوان والمساحيق ٠٠ كل ذلك سيجعلك من  
عالم مختلف ٠٠ !

وأخرج الدوق من حقيبته بعض ملابس التمثيل  
والأدوات المسرحية التي قال عنها أنها الدروع التي  
سيستخدمها ريتشارد الثالث وزميله في المبارزة ٠٠  
كما أخرج فستاننا للسهرة مصنوعاً من قماش قطني  
 أبيض ٠٠ وقبعة سهرة مناسبة لهذا الفستان ٠٠

واقتنع الملك بكل ذلك ٠٠ وهنا أخرج الدوق  
كتاباً ٠٠ وبدأ يقرأ منه نص المشاهد المطلوبة ٠٠

واندمع في التمثيل . . فأخذ يقفز ويتحرك من مكان إلى آخر . . وينحنى ويعتدل ليبين الطريقة الصحيحة التي يلقى بها الحوار بكثير من العظمة والبالغة . .  
وبعد أن فرغ من ذلك . . أعطى الكتاب للملك ،  
وطلب منه أن يقرأ أجزاء الحوار الخاصة به وأن  
يحفظها عن ظهر قلب . .

ومررنا على أحدى المدن الصغيرة ، فطلب منا  
الدوق أن نتوقف وننتظره حتى ينتهي من أداء بعض  
الأعمال العاجلة . .

وعندما عاد الدوق إلى الطوف مرة أخرى . . عرض  
 علينا إعلانا مطبوعا كان معلقا على أحد جدران المدينة  
 . . وتبين في إعلانه صورة لعبد هارب . . وكتبت  
 تحتها أوصاف تفصيلية تنطبق تماما على أوصاف جيم  
 . . العبد الهاوب من مزرعة بمدينة سلان جاك بمنطقة  
 نيو أورلينز . . ومكافأة قدرها ( ٢٠٠ ) دولار  
 بالإضافة إلى المصاريفات لمن يقبض عليه ويقوم  
 بتسلیمه . .

## وقال الدوق :

— اعتبارا من الآن .. نسنطيع أن نقلع بالطوف  
أثناء النهار أيضا .. وإذا تعرض لنا أى أحد فسوف  
نريه الإعلان المطبوع .. ونخبره بأننا قبضنا على العبد  
الهارب وذاهبون لتسليميه واستلام المكافأة ..

وأقلعنا في تلك الليلة في حوالي العاشرة مساء  
.. ولم نتوقف عن القلاع عندما أشرقت الشمس في  
صباح اليوم التالي .. وظل الطوف يشق طريقه على  
سطح النهر أثناء النهار ..

وبعد أن تناولنا الافطار .. جلس الملك  
يستذكر دوره ويحفظ نصوص الحوار عن ظهر قلب ..  
وبعد ذلك أخرج الدوق من حقيبته سيفين مصنوعين  
من الخشب .. وببدأ يتدرّب مع الملك على مشهد المبارزة  
بالسيوف من مسرحية ريتشارد الثالث ..

وقام الدوق بدور ريتشارد الثالث ، بينما قام  
الملك بدور المبارز الآخر .. وكانت الطريقة التي تبارزا  
بها على سطح الطوف مبهرة لنا ومسلية .. كانوا يقفزان

من مكان الى آخر ويبارزان بالسيوف الخشبية كما  
لو كانوا في معركة حقيقة .. وفجأة تزحلق الملك  
وسقط على سطح الطوف ، فتوقفت المبارزة ، وجلسا  
يستريحان من عناء التدريب .. وأخذوا يقصسان على  
بعضهما بعض التوارد والمسكيات عن مغامراتهما  
السابقة ..

وكان الدوق قد أعد بعض الاعلانات المطبوعة ..  
ولم يحدث أى شىء في اليومين أو الأيام الثلاثة التالية  
سوى استمرار المبارزة بالسيوف ، وحفظ الحوار ،  
والتدريب على القائه بطريقة تمثيلية ..

وفي صباح أحد الأيام ، اقتربنا من احدى المدن  
الصغيرة ، فرسونا بالطوف على بعد نحو ثلاثة أرباع  
الميل من تلك المدينة .. وذهبنا جميعا - فيما عدا جيم  
الذى ظل بالطوف - الى ساحة المدينة لنرى ان كانت  
هناك فرصة لتقديم العرض المسرحي المرتقب ..

ولحسن الحظ فان المدينة كانت تتأهب لأحد  
الاحتفالات الزراعية .. وكان الفلاحون قد بدأوا يغدون



التدریب على المبارزة .. كان فرحة مدهشة !

من المناطق المجاورة لحضور هذا الاحتفال الذى علمنا  
بأنه سوف ينتهى قبل المغرب . . . وكانت هذه المناسبة  
فرصة ملائمة لاقامة عرضنا المسرحي . . . فقام الدوق  
باستئجار احدى القاعات . . . وقمنا بتعليق اعلاناتنا  
المطبوعة فى مختلف أنحاء تلك المدينة الصغيرة . . .  
وكانَت هذه الاعلانات تحمل العبارات التالية :

شيكسبير !!!

عرض مسرحى رائع !  
لليلة واحدة فقط !  
ديفيد جاريك الصغير  
الممثل بمسرح دورى لين ، بلندن  
وادموند كين الكبير  
الممثل بمسرح هاي ماركت الملكى ، بهوايت شاپيل  
بودنج لين ، بيکاديللى ، لندن

# مشهد المناجاة في البلكونة بين روميو وجولييت

رومیو : ۰۰۰ ۰۰۰ مستر چارپیک

جولیت : ۰۰۰ مسٹر کین

ويشتراك معهما جميع أعضاء الفرقة !

ملاسٌ جديدة .. مناظرٌ جديدة !

وأيضاً ..

( بناء على طلب خاص )

## **مشهد المبارزة من مسرحية ريتشارد الثالث!!**

وپتشارد الثالث : ۰۰۰ مسٹر چاریک

ویتشموند: ۰۰۰ هسته کن

الدخول للوحال ٢٥ سنتاً

وللأطفال والخدم ١٠ سنوات .

وبعد انتهاء الحفل الزراعي ، قدمنا العرض المسرحي .. ولكن لم يحضره سوى اثنى عشر متفرجا فقط ، دفعوا مبلغا يكاد أن يكفى لتفطية مصاريف العرض بصعوبة .. وقد ظل المتفرجون يضحكون ويسخرون بالتمثيل وبالممثلين .. لدرجة ان الدوق قد أوشك أن يجن من شدة الغيظ والاحباط .. وقال ان هؤلاء الفلاحين الجهلاء لا يفهمون شيكسبير .. ولا يعجبهم سوى المسرحيات والعروض الهاابطة ..

وفي صباح اليوم التالي ، قام الدوق بطبعاعة اعلانات جديدة ، علقناها في جميع أنحاء المدينة الصغيرة .. وكانت الاعلانات تقول هذه المرة :

في البلاط الملكي

ملة ثلاثة ليال فقط

أشهر ممثلين في العالم

ديفيد جاريوك الصغير

- ٩ -

ادموند كين الكبير  
في هذا العرض المسرحي العظيم

تحفة ملكية لانظير لها !!!

الدخول ٥٠ سنتا

ملحوظة : للكبار فقط  
ولا يسمح بدخول النساء ولا الأطفال

وبعد ذلك قال الدوق :

- هكذا .. و اذا لم تجذبهم هذه الاعلانات .  
فليكن معنى ذلك انى لا افهم عقليّة هؤلاء الفلاحين  
الجهلاء .. وسترون بأنفسكم ما سوف يحدث  
الليلة !!

و قضى الدوق والملك النهار كله فى تجهيز المسرح  
والاستعداد لهذا العرض المسرحي . . . وفي الليل  
كانت قاعة العرض ممتلئة عن آخرها بالمتفرجين حتى  
لم يعد هناك أى موطئ لقدم . . .

وعندما بدأ العرض ، وقف الدوق على خشبة  
المسرح ، وأخذ يتغافر ويتباهى بنفسه وبالعرض  
المسرحي وبالممثل ادموند كين الكبير الذى أشار اليه  
بأنه سيؤدى الجزء الأكبر من عرض الليلة . . .

وأخيرا رفع الدوق ستار المسرح . . . ودخل الملك  
على الفور زاحفا على أربع وأخذ يرقص ويؤدى حركات  
تشير الضحك ، وكان جسمه كله مقطى بجميع ألوان  
قوس قزح ومنقوشا بنقط وخطوط ودوائر وأشكال  
مختلفة . . .

واستغرق جميع المتفرجين فى الضحك . . . بل  
وكاد بعضهم أن يموت من شدة الضحك . . . والحقيقة  
أن منظر الملك وحركاته ورقصاته كان مثار سخرية

وكانت الطريقة التي يؤدى بها هذا العرض الغبى قادرة على أن تضحك أية قطة لو جاءت لتشاهد هذا المنظر ..

وبعد ذلك أنزل الدوق السستار .. وقال للمتفرجين إن الفرقة ستؤدى عرضها هذا فى الليلتين القادمتين فقط ، لأنها مرتبطة بموعد هام فى لندن ..

وهنا صاح عشرون متفرجا :

- ما هذا .. هل انتهى العرض .. هل هذا كل شيء ..

فأفهمهم الدوق أن العرض قد انتهى فعلا .. وحدث هياج وزمرة .. ولكن رجلاً أنيقاً قام من بين المتفرجين وصاح فيهم :

- انتظروا أيها الناس والزموا الصمت وأسمعوانى جيدا .. لقد خدعنا .. وضحك علينا هؤلاء الممثلون .. وسوف نصبح مثار سخرية لأهل المدينة كلهم .. ولهذا فلا بد أن ندعى أن هذا العرض المسرحي جيد وجدير بالمشاهدة .. حتى يحضر أهل المدينة كلهم

ويشاهدو العرض بأنفسهم .. وبهذا نصبح جميعا  
في نفس المركب .. ولن يستطيع أحد أن يسخر منا ..  
ما رأيكم .. هل توافقونى على ذلك ؟ ..

### فصاح المتفرجون :

- موافقون .. موافقون .. لابد أن يبلغ أهل  
المدينة هذه الخدعة مثلنا .. !

### وهنا قال الرجل الأنبيق :

- إذن .. فلتندع إلى المدينة وننصح كل من  
نعرفهم بأن يحضروا ليشاهدوا هذا العرض بأنفسهم !  
وطوال نهار اليوم التالي ، لم يكن لأهال هذه  
المدينة الصغيرة حديث سوى ذلك العرض المسرحي  
العظيم .. والتحفة الملكية المنقطعة النظير !

وفي الليل أقبل الناس من كل صوب ..  
وامتلأت قاعة العرض بالمتفرجين !

وفي الليلة الثالثة امتلأت القاعة بالمتفرجين مثل

ال்கيلتين السابقتين .. ولكنني لاحظت أن معظم المتفرجين الذين حضروا العرضين السابقين قد حضروا أيضاً هذه الليلة ، وكانتوا جميعاً يخفون أشياء في جيوبهم وداخل معاطفهم .. وتسللت إلى أنفي رائحة البيض الفاسد والخضراوات العطنة والأشياء المائلة الأخرى التي أحضرها الناس معهم .

وبعد أن امتلأت القاعة عن آخرها ، ولم تعد تسع أي متفرجين آخرين .. كنت أنا والدوقي واقفين عند باب القاعة الخارجي .. وظاهرة الدوقي بأنه سيدور حول مبني القاعة وأشار إلى خفية أن أتبعه .. وعندهما وصلنا إلى منطقة مظلمة خلف القاعة ..

### قال لي الدوقي :

هيا أجر إلى الطوف بأقصى سرعة .. أجر وكأنك تفر من شيطان يتبعك .. !

ووصلت إلى الطوف .. ووصل الدوقي معى في نفس الوقت .. وفي أقل من ثانية .. أقلع الطوف

وأخذ طريقه سابحا نحو منتصف مجرى النهر ..  
وغرقه التيار مبتعدا عن المدينة ..

وأخذت أفكرة في المصير التensus الذى سيلقاء  
الملك على أيدي المتفرجين الغاضبين .. ولكنى فوجئت  
بخروج الملك من مخبأ الطوف وقال لنا بثبات :  
ـ هاه .. كيف سارت الأمور معك هذه  
الليلة .. يا دوق بريديج ووتر !! ..

لقد بقى الملك مختبئا بالطوف .. ولم يذهب  
إلى المسرح فى تلك الليلة ..

ولم نشعل مصباح الطوف إلا بعد أن أصبحنا  
على بعد نحو عشرة أميال من المدينة .. وبعد أن هدأنا  
 تماما ، أودقنا نارا وطهونا العشاء .. وكان الملك  
والدوق غارقين في الضحك وهما يرويان كيف تمكنا  
من خداع كل هؤلاء الناس والضحك عليهم .. !

لقد جمع هذا الوغدان أربعمائة وخمسة وستين  
دولارا في تلك الليالي الثلاث .. ولم أر في حياتي

من قبل ، كيف يتم تجميع مثل هذا المبلغ الكبير عن طريق الاحتيال والنصب على الآخرين ..

وبعد فترة استغرقت في النوم .. ولم يوقظني جيم عندما حل موعد نوبتي ودورى في المراقبة .. وكثيرا ما كان جيم الطيب يفعل هذا ، ويقوم بالعمل وحده دون أن يقلقني ..

وقرب الفجر .. تنبهت وفتحت عيني .. فرأيت جيم يجلس حزينا وهو يدفن رأسه بين ركبتيه .. ويثن آنينا يقطع القلب .. وظاهرة بآني لم أستيقظ بعد .. وعرفت سبب حزن المسكين .. انه يفكر في زوجته وأطفاله الذين تركهم وراءه .. انه يتالم لأنه لن يراهم بعد ذلك أبدا .. ان الحنين الى العودة الى بيته كان يمزق قلبه .. فكان يقول بصوت خفيض بين حين وآخر :

- مسكينة يا صغيرتى اليزابيت .. مسكين يا صغيرى جونى .. ألن اراكما مرة أخرى .. يالها من قسوة شديدة .. ان هذا منتهى الظلم والألم .. !

كم كان جيم زنجيا طيب القلب .. !

و ظهرت بأنى قد استيقظت تماما .. و أردت  
أن أستلم منه التوجيه و دورى فى المراقبة .. وأخذت  
المح له من بعيد عن حديث يخص زوجته وأطفاله ..  
وبعد فترة حزن قصيرة .. قال جيم :

- هل تعرف يا هك لماذا حزنت هذه الليلة ..  
لقد سمعت صوت صفة على وجه أحد الأطفال بينما  
كنت جالسا بالطوف عند الشاطئ .. لقد ذكرتني  
تلك الصفة .. بأنى قد عاملت طفلتى الصغيرة  
اليزابيث بقسوة بالغة حين كانت فى الرابعة من  
عمرها .. لقد أصيّبت المسكينة بالحمى القرمزية  
ولم أكن أعلم أنه مرض خطير يصيب الأطفال ..  
وعندما مررت فترة الحمى وأخذت صحتها فى التحسن  
.. كانت تقف الطفلة المسكينة بجوار الباب المفتوح  
فقلت لها :

- أغلقى الباب وادخل ! ..

ولكنها لم تغلق الباب ولم تدخل .. بل ظلت  
واقفة قرب الباب وهي تبتسم لى فى براءة ..

ولكنى صحت بها مرة اخرى :

- ألا تسمعين .. قلت أغلقى الباب وادخل .. !  
وظلت المسكينة واقفة تبتسم .. فجن جنوبي  
وقلت لها خاصبها :

- اذن .. سوف أعلمك كيف تسمعين الكلام ..  
وقدمت .. وصفعتها على وجهها صفعة أطارتها من على  
الأرض .. فأخذت تبكي .. ودخلت الى الحجرة  
الأخرى وبقيت هناك نحو عشر دقائق .. ثم خرجت  
ورأيت الطفلة مازالت واقفة جوار الباب المفتوح  
والدموع تسيل على خديها .. ولكن فى هذه اللحظة  
هبت ريح أغلقت الباب بعنف شديد .. ولكن الطفلة  
لم تتحرك وظلت تبكي فى صمت .. يا ربى ماذا حدث  
لها .. ففتحت الباب مرة أخرى وخرجت .. ولكنى  
عدت بعد لحظة على أطراف أصابعى حتى لا تراني

الطفلة الصغيرة المسكينة .. وصرخت بأعلى صوتي ..  
بوم .. بوم .. ولكن المسكينة لم تتحرك قيد أنملة  
ولم تتنبه الى وجودى .. لقد أصيّبت المسكينة بالصمم  
.. لقد عملت الحمى القرمزية عملها .. وأصبحت  
اليزابيث الصغيرة صماء لا تسمع شيئا .. وبكماء  
لاتنطق بكلمة .. فجريت نحوها .. واحتضنتها بين  
ذراعى .. وأخذت أبيكى وأنا أطلب من الله أن يغفر لي  
قسوتى .. ولكنى يا هك لم أغفر لنفسى أبدا هذه  
القسوة .. تصور يا هك .. صماء وبكماء .. ومع ذلك  
فقد عاملتها بطريقة قاسية !

## الفصل العاشر

### أنت محتال ؟٠٠

وفي اليوم التالي .. وقبل أن يحل الظلام ..  
رسونا بالطوف على شاطئه رمل .. وكنا نرى  
بوضوح قريتين متقابلتين تقع كل واحدة منهما على  
أحد شاطئي النهر .. وبدأ الدوق والملك يفكران فيما  
يمكن أن يفعلاه في كل من هاتين القررتين ..

وفي كل مرة كنا نغادر فيها الطوف .. كان  
الدوق يقوم بتكتيف جيم بالحجال حتى يبدو منظره  
كعبد هارب مقبوض عليه ! .. ولكن في هذه الليلة ،

قال جيم للدوق أن تركه مكتفاً هكذا طول النهار شيء  
متعب ولا يتحمل ..

وعلى الفور فكر الدوق في طريقة أخرى .  
فالبس جيم ملابس « الملك لير » ، وباروكة شعر  
مستعار أبيض اللون .. وسوالف مستعارة .. وطلي  
وجهه ويديه وأذنيه ورقبته ببعض الألوان المستخدمة  
في عمل المكياج المسرحي .. حتى بدا جيم في النهاية  
في لون كثيب ، مثل لون جنة غريق غرق في النهر  
تسعة أيام كاملة ..

وطلب الدوق من جيم أن يبقى هكذا بداخل  
مخباً الطوف .. واحضر الدوق لوحاً صغيراً من الخشب  
كتب عليه : مجنون ! .. خطير جداً عندما تأتيه  
النوبة !!

وقام الدوق بتعليق هذا اللوح على عصا أقامها  
في مقدمة الطوف .. وأخبر جيم بأنه إذا جاءه أحد ..  
فعليه أن يهب واقفاً ويقفز عدة قفزات ويمثل دور

المجنون .. وأن عليه أن يعوی مثل الحيوانات  
المتوحشة .. وبهذه الطريقة المضمونة لن يقترب أى  
شخص من جيم خوفاً من خطره ..

وقال الدوق أنه سيذهب إلى أحدي هاتين  
القريتين ، وأن على الملك أن يذهب إلى القرية الأخرى ..  
وذلك حتى يستطيعا الأمر ليقررا كيفية التعامل مع  
أهل كل قرية .

وقرر الملك أن يذهب في صحبته .. وكنا قد  
اشترينا بعض الملابس الجديدة من المدينة السابقة  
فارتديناها .. وكانت ملابس الملك سوداء اللون  
وبراقة .. جعلته يبدو كما لو كان جنلماً من الطبقة  
العليا .. لم أكن أعرف من قبل كيف تقدر الملابس  
على تغيير مظاهر الناس وتغيير صفاتهم الحقيقية .

وركبنا القارب وأخذت أجذف نحو شاطئ القرية  
.. وقبل أن نقترب من القرية شاهدنا أحدي البوادر  
النهرية راسية في المحطة السابقة لمحطة القرية ..

**وهنا قال الملك :**

- ها هي فكرة جيدة .. فهذه الملابس الجديدة  
التي أرتدتها تمكنتى من تمثيل دور الجنتمان القادم  
من سان لويس أو من سينسيناتى أو من أية مدينة  
كبيرة أخرى .. ما رأيك يا هكلبرى .. أسرع بنا لكي  
نركب هذه الباخرة لمحطة واحدة حتى نصل الى القرية  
وكاننا قادمون من مكان بعيد .. !

وبينما كنت أجدف نحو الباخرة رأينا شابا  
من الفلاحين ، جالسا على الشاطئ ومعه حقيبةان كبيرة  
الحجم .. وكان الشاب يجفف عرقه المتصبب على وجهه  
من شدة الحر .. **وقال الملك للشاب :**

- الى أين أنت ذاهب .. أيها الشاب ؟  
- ذاهب الى الباخرة ياسيدى .. فأنا مسافر  
الى نيو أورلينز ..

- اذن ٠٠ اركب معنا في القارب ٠٠ سنوصلك  
إلى الباخرة ٠٠ وسيقوم خادمك بمساعدتك في حمل  
هذه الحقائب ٠٠ !

وقال الشاب شاسكرا وهو يحمل الحقيبتين  
بنفسه ويضعهما في القارب :

- ان حمل هذه الحقائب الثقيلة في الحر يعتبر  
عملاً مرهقاً ٠٠ سيدي ٠٠ عندما شاهدتكم لأول مرة  
قلت لنفسي : ما هو المستر ويلكس قد حضر بعد فوات  
الوقت المناسب ٠٠ ولكنني قلت لنفسي بعد ذلك : هنا  
غير معقول ٠٠ ان مستر ويلكس لا يمكن أن يحضر على  
قارب صغير ٠٠ قادماً من تلك المسافة البعيدة ٠٠  
فهل أنت مستر ويلكس ٠٠ ؟

فقال الملك وهو يحاوّل استدراج الشاب  
القروي :

- لا للأسف ٠٠ أنا اسمى بلودجييت ٠٠  
الكسندر بلودجييت ٠٠ وانى آسف لمستر ويلكس الذى

لم يحضر في الميعاد المناسب .. هل فاته شيء  
يا ترى ١٩٠٠

### فقال الشاب القروى :

- لا .. لم يفته الكثير .. فنصيبه في الميراث  
محفوظ .. ولكن فاته أن يلحق أخاه بيتر ليراه قبل  
أن يموت .. إن هذين الأخرين لم يرريا بعضهمامنذ  
أن كانوا صبية صغراً .. وكان بيتر أخ ثان أصم وأبكم  
اسمه وليم .. ولكن بيتر لم ير أخاه وليم طوال حياته  
.. وكان هناك أخ ثالث اسمه جورج .. كان يعيش  
مع أخيه بيتر هنا .. وكان جورج هو الأخ الوحيد  
الذى تزوج وأنجب .. ولكنه مات وماتت زوجته أيضاً  
في السنة الماضية .. والآن لم يبق من هؤلاء الأخوة  
الاثنين هما هارفى الأخ الأكبر ولليم الأخ الأصم  
الأبكم .. ولكنهم للأسف لم يصلا في الوقت المناسب  
لكرى يرريا أخاهما بيتر قبل أن يموت !

## وتساءل الملك :

- ولكن ألم يرسل أحد في طلبهما لكي يحضران  
في الوقت المناسب ..؟

## واباجب الشاب :

- نعم .. منذ شهر أو شهرين .. وذلك عندما  
بدأ بيتر يشعر بالمرض .. طلب أن يرى أخيه  
هارفي ووليم قبل أن يموت .. وعلى أيام حال فقد  
ترك بيتر خطابا إلى أخيه هارفي .. قيل أنه يخبره  
فيه بالمكان الذي خبأ فيه نقوده وثروته .. وأوصى فيه  
بتقسيم بقية أملاكه بطريقة تكفل حياة كريمة لبنات  
أخيه جورج الذي مات دون أن يترك لهن شيئا ..

## وتساءل الملك وهو يبدى اهتماما كبيرا بالموضوع :

- ولكن لماذا لم يحضر هارفي .. هل يعيش في  
مكان بعيد .. وأين ..؟

## فقال الشاب :

- أوه .. انه يعيش فى انجلترا .. فى شيفيلد .. انه يلقى مواعظه هناك .. وربما لم يصله الخطاب ..
- وكم عدد بنات جورج ؟ .. وما هى أعمارهن ..
- انهن ثلاث بنات .. مارى جين فى التاسعة عشرة .. وسوزان فى الخامسة عشرة .. وجوانا فى حوالى الرابعة عشرة .. !
- مسكنات .. كيف يتركن هكذا وحيدات فى هذا العالم البارد .. ؟
- لن يصيبحن أذى .. فلقد كان لبيتر أصدقاء كثيرون سيتولون أمر البنات ويرعننهم .. هناك الواعظ هويسون ، ولوت هوفى ، وبين روكر ، وآبنر شاكلفورد ، وليفى بل المحامى ، والدكتور روبيسون الطبيب .. وبالاضافة الى زوجات كل هؤلاء .. كما توجد هناك أيضا الأرملة بارتلى .. وهناك

أيضاً أصدقاء آخرون .. ولكن بيتر كان يفضل هؤلاء الأصدقاء الذين ذكرت لك أسماءهم عن أصدقائه الآخرين .. وقد ذكر بيتر أسماء هؤلاء الأصدقاء في الخطاب الذي أرسله إلى أخيه هارفي .. حتى يقابلهم عند حضوره من إنجلترا ..

وهكذا أخذ الملك يوجه المزيد والمزيد عن الأسئلة الدقيقة إلى الشاب القروي ، حتى أفرغ جعبه الشاب من كل ما فيها من معلومات ، وحتى تأكد من أن الشاب لم يعد لديه شيء يضيفه ..

**واخيراً قال الملك :**

- ولكن قل لي .. هل كان بيتر ويلكس غنياً ..

**فقال الشاب مؤكداً :**

- غنى جداً .. كانت لديه مجموعة من المنازل .. ومساحات من الأراضي .. ويعتقد الناس أنه قد

قام باختفاء ثلاثة آلاف أ. أو بعشرة آلاف من الدولارات  
الذهبية في مكان ما ..

- وهل سيشيرون جنازته غداً ؟ ..

- نعم .. حوالي الظهر .. !

وعندما وصلنا إلى مرسى الباخرة النهرية كانت  
على أهمية الاستعداد لمغادرة المرسى إلى المحطة التالية ،  
فلحق بها الشاب .. ولكننا لم نركبها .. وطلب مني  
الملك أن يرسو على الشاطئ .. ثم قال لي :

- والآن .. هيا أسرع باحضار الدوق إلى هنا  
.. وقل له أن يحضر معه الحقائب الجديدة التي  
اشتريناها .. وأن يرتدي ملابس جديدة ..

وعندما عدت ومعي الدوق .. أخبره الملك  
بجميع تفاصيل الحديث الذي دار بينه وبين الشاب  
القروي .. وفي فترة بعد الظهر ، وصلت باخرة  
نهرية أخرى فصعدنا إليها متوجهين إلى القرية التي  
تقع في المحطة القادمة ..

ووصلنا الى القرية .. وعلى رصيف المرسى كان هناك نحو اثنتي عشر رجلا .. فتقليم اليهم الملك وسالم : الله

**فقال أحد هؤلاء الرجال :**

- آسفين .. لا نستطيع أن نخبرك أين يعيش  
مستر بيتر ويلكس .. وكل ما نستطيع أن نخبرك به،  
هو أين كان يعيش بالأمس .. !

وعلى الفور ارتمى الورغد العجوز على صدر هذا الرجل ، وأسند رأسه على كتف الرجل .. وبدأ في البكاء والنوح .. وقال وهو يئن :

- خلاص .. هل انتهى كل شيء .. قبل أن  
أحضر في الوقت المناسب .. كنت أريد أن أراه قبل  
أن يموت .. إن هذا أمر صعب .. صعب جداً ..

والتفت الملك الى الدوق وأخذ يبكي ويعمل حركات واسارات بيديه وأصابعه حتى يفهم الناس ان الدوق هو الاخ وليم الآخرين الأصم .. وبعد أن انتهى الملك من عمل هذه الحركات والاشارات انخرط الدوق فورا في البكاء .. وبدا الناس يواسونهما ويطيبون خاطرهما .. بل وحملوا حقائبهما واتجهوا جميعا الى بيت المتوفى بيتر ويلكس الذى يقع عند سفح التل ..

وعندما وصلنا الى البيت ، تجمع ناس كثيرون .. كما خرجت البنات الثلاث الى الباب ليستقبلن عميهما الغائبين وهن فرحات بهذا اللقاء .. بل كان الناس فرحين أيضا بالثمان شمل هذه الأسرة أخيرا على هذا النحو السعيد ..

وعندئذ قام الملك بالقاء خطبة في هذا الجمع من الناس .. ملأها بالتأوهات والدموع .. والحزن الشديد لأنهما لم يحضرا في الوقت المناسب لرؤيهما أخيهما قبل أن يموت .. وذلك بعد أن قطعا رحلة

طويلة تقدر بأربعة آلاف من الأميال . . . قادمين من  
إنجلترا إلى هنا !!

وقال الملك أنه يسره هو وبنات أخيه جورج  
أن يوجه الدعوة إلى العشاء هذه الليلة لبعض الأصدقاء  
الذين ذكرهم المرحوم بيتر في خطابه ، وهم على وجه  
التحديد : مستر هوبسون ، ولوت هوفرى ، ومستر  
بن روكر ، وأبتن شاكلفورد ، وليفى بل ، ودكتور  
روبنسون ، وجميع زوجاتهـم ، وكذلك الأرملة  
بارتل !!

وكان الواعظ هوبسون ، وكذلك الدكتور  
روبنسون غير موجودين في هذا الجمع لارتباطهما  
بعض الأعمال في المدينة . . . كذلك لم يكن ليفى بل  
المحامي موجودا . . . أما بقية الأصدقاء الذين أشـ  
اليهم الملك فقد كانوا كلهم موجودين وسمعوا الدعوة  
 بأنفسهم . . . وتقدموا جميعا وأخذوا يشدون على أيدي  
الملك وأيدي الدوق !!

وبعد ذلك أخذ الملك يوجه أسئلة دقيقة عن

أحوال ومواضيعات معينة تدل على أنه على دراية تامة بهذه الأحوال والمواضيعات التي كان أخوه بيتر يبلغه بها في خطاباته . . وبطبيعة الحال فقد كان الملك يكذب ويدلس على هؤلاء الناس . . لأنه عرف كل هذه المعلومات من الشاب القروي الأهبيل المحب للكلام والذي زوده بكل هذه التفاصيل ! . .

وقامت ماري جين - وكانت جميلة جداً وذات وجه صبور - باحضار الخطاب المغلق الذي تركه عمها المرحوم بيتر إلى عمها هارفي . . وقام الملك بفض الخطاب وأخذ يقرأ محتوياته بصوت مرتفع يسمعه الجميع . .

لقد أوصى المرحوم بأن يعطي البيت ومبلغ ثلاثة آلاف من الدولارات إلى البنات الثلاث . . كما أوصى بأن تؤول طاحونة الدقيق - وهي عمل يدر كثيراً من الربح - وبقيمة البيوت الأخرى والأراضي ( وتبلغ قيمتها نحو سبعة آلاف من الدولارات ) بالإضافة إلى مبلغ آخر قدره ثلاثة آلاف من الدولارات إلى أخيه

هارفى ووليم .. وذكر المرحوم فى خطابه أيضاً أين  
أخفى دولاراته الذهبية الستة آلاف .. لقد أخفاها فى  
غرفة الخزين .. !

وهكذا ذهب الوغان الى غرفة الخزين ليبحثا عن الدولارات ، وطلبا مني أن أصحبهم وأنا أحمل شمعة مضاءة ٠٠

وعندما عثرا على الحقيبة ، فتحاها على الفور ،  
وأفرغا ما فيها من دولارات ذهبية على الأرض في كومة  
صفراء براقة . . . وأخذوا يحصيان الدولارات الذهبية  
ويعدانها عدا . . . ولكن الدولارات لم تكن ستة آلاف  
بالضبط . . . كانت ناقصة أربعينات وخمسة عشر  
دولارا ! . . .

**وقال الملك وهو يشعر بالخيرة :**

- إننا نريد أن نعد هذه الدولارات أمام الجميع .. حتى لا يكون هناك أى شك أو ريبة .. ومادام المرحوم قال انه ترك فى الحقيقة ستة آلاف .. فلابد أن نعدها ستة آلاف أمام الجميع ..

**وعندئذ قال الدوق :**

- لا تضيع الوقت .. فلنستكمل المبلغ الناقص  
من نقودنا ..

**وقال الملك فرحا :**

- هكذا فكرة جيدة ..

وأخذ كل من الملك والدوق يخرج ما في جيوبه  
من نقود حتى لم يعد لدى أي منهما دولار واحد ..  
واكتمل أخيراً مبلغ السبعة آلاف من الدولارات  
الذهبية !!

**وحملنا الحقيبة وصعدنا بها .. ولكن الدوق**  
**قال للملك :**

- لدى فكرة أخرى .. فبعد أن نهد الدولارات  
أمام الجميع .. نعلن أنها تنازلنا عن تصييرنا من هذه  
الدولارات إلى البنات .. ونعطيهن الحقيبة بأكملها !!

وعندئذ صاح الملك :

- يانها من فكرة رائعة .. !

وعندئذ وصلنا الى الطابق العلوي .. كان الجميع قد تجمعوا حول المائدة .. وأفرغ الملك الحقيقة .. وببدأ يعى الدولارات الذهبية أسماء الجميع دولارا دولارا .. ستة آلاف بال تمام والكمال .. وببدأ الملك يزهو بنفسه وهو يستعد لالقاء خطبة أخرى ..

وقال :

- والآن .. أيها الأصدقاء جميعا .. لقد كان أخونا المسكين طيباً ورحيم القلب وعطوفاً على بنات أخيه فاوسي باعطائهن ثلاثة آلاف فقط من هذه الدولارات .. لأنه لم ينس أخيه هارفي ووليم ولكنها نحن نعلن أمامكم جميعاً أننا تنازلنا عن نصيبينا من هذه الدولارات إلى بنات أخيها الصغيرات الوديعات .. والآن .. تقدمي يا ماري جين .. وأنت يا سوزان .. وأنت يا جوانا .. خذن جميع الدولارات .. خذن النقود كلها ..

## فصاحت البنات متهللات :

- يا عمنا الحبيب .. هذا كرم عظيم .. هذا  
شيء جميل !!

وهنا قام أحد الرجال وأخذ يضحك ساخرا  
في وجه الملك .. وكانت صدمة شديدة حلت بالجميع  
.. فتقدم آبنر شاكلفورد إلى هذا الرجل وسأله  
في دهشة :

- لماذا تفعل ذلك يا دكتور رو宾سون .. ألم  
تعرف بعد أن هذا الرجل هو هارفي ويلكس ؟!

وهنا ابتسם الملك ومهيد يده إلى الدكتور مصافحا :

- أهلا بأعز أصدقاء أخي المرحوم .. أهلا  
بك يا دكتور رو宾سون !!

**فقال الدكتور في حزم :**

- أبعد يدك عنى .. هل أنت شقيق بيتر  
ويلكس ؟ .. ما أنت سوى نصاب محثال !

وتعقدت الأمور .. ولكن الناس تجمعوا حول  
الدكتور .. وأخذوا يقولون له ان هارفي ويلكس قد  
أثبت باكتر من أربعين طريقة أنه هارفي ويلكس ..  
ومع ذلك فقد التفت الدكتور الى البنات الثلاث  
وقال لهن :

ـ اطردن هذا الوغد المحتال فورا .. أرجوكن  
.. اطردنه الآن ..

وعندئذ قالت ماري جين وهي تعطى حقيبة  
الدولارات الذهبية الى الملك :

ـ هذه هي اجابتي .. خذ يا عمى هذه الدولارات  
الستة آلاف .. واستثمرهم لصالحنا في أي مشروع  
او بایة طريقة تعجبك .. !

وصفق جميع الحاضرين استحساناً لوقف ماري  
جين .. ورفع الملك رأسه وابتسم وهو يشعر بالفخر  
والزهو ..

**وعندئذ قال الدكتور يائسا :**

— اذن سأرفع يدي عن هذا الموضوع وأكف عن  
التدخل فيه .. ولكن سيأتى وقت تندمون فيه جميعا  
على ما حدث فى هذا اليوم .. سترون بأنفسكم ..

**وخرج غاضبا .. !**

## الفصل الحادى عشر

### المقيبة المملوعة بالذهب !

وبعد أن انصرف المجتمعون .. سأل الملك ماري  
جين عما إذا كانت بالبيت حجرات اضافية تصلح  
لإقامة هو وأخيه .. فقالت ماري جين إن هناك بالفعل  
حجرة اضافية واحدة تصلح لإقامة العم وليم .. وأنها  
ستتنازل له عن حجرتها الخاصة ليقيم فيها على أن  
تنام هي في حجرة أختيها ..

وفى الليل .. امتلاً البيت بالضيوف من الرجل  
والنساء الذى لبوا الدعوة للعشاء .. وقد أقيمت حفلة  
كبيرة .. وتناولت عشاءٍ بالطبع ، وكانت البنات

وجميع من يعملون بالبيت يعطفون على ويكرمونى  
ويحاولون اشعارى بأنى فى بي资料

وعندما توجهت للنوم .. كنت أشعر بالعار  
والخجل من نفسي .. ولم أكن راضيا عن الجريمة التي  
يدبرها الملك والدوق ضد هؤلاء البنات الصغيرات  
المسكينات .. لذلك فقد قلت لنفسي : يجب أن أسرق  
هذه النقود بأية طريقة .. وأقوم باخفاها في مكان  
ما .. ثم أفر بالطوف إلى مكان بعيد .. وعندئذ أكتب  
خطابا إلى ماري جين لأخبرها بالمكان الذي خبأت فيه  
النقود !!

وهكذا قمت من سريري وتسللت إلى حجرة الملك  
كنت أخطو بحذر على أطراف أصابع .. وكانت  
الحجرة مظلمة لأنى لم أحمل معى شمعة .. وبعد فترة  
سمعت وقع خطواتقادمة .. فاختبأت على الفور وراء  
الستارة التي تخفي ملابس ماري جين المعلقة في تجويف  
بالحانط على شكل دولاب للملابس .. وكتمت أنفاسي ..

• ورأيت الملك والدوق وقد دخلا إلى المجرة وجلسا  
يتهامسان في الظلام • قال الملك :

- هاه • ما هذه الذي تخشاه • ؟

**فقال الدوق :**

- هذا الدكتور • ما زلت أفكر في الكلام  
الذى قاله هذا الدكتور • لذلك فاني أعتقد أن من  
الأفضل أن نهرب في الساعة الثالثة بعد منتصف  
الليل • ونسرع إلى النهر ومعنا الحقيبة المملوقة  
بالذهب • !

**فقال الملك مستنكرا :**

- ماذا تقول • هل نهرب ونترك ثمانية أو  
تسعة آلاف أخرى من الدولارات وهي قيمة الممتلكات  
التي تركها بيتر ويلكس • هل نهرب ونترك كل  
هذه الثروة ١٩ ٠٠

وأخذ الودان يناقشان الموضوع من كافة جوانبه ..  
وقال الدوق انه ينصح بالاكتفاء بالحصول على  
النقود ، ولا داعى لى بيقىا حتى يجردا البنات من كل  
ممتلكاتهن .. ولكن الملك أخذ يتكلم ويتكلم حتى أقنع  
الدوق بخطته .. واستسلم الدوق في النهاية ..  
ولكنه قال معنقا :

- أعتقد أننا يجب أن نخفى النقود في مكان  
مأمون لا تصل اليه يد ..

**وقال الملك :**

- هذا صحيح يا سعادة الدوق .. يجب أن  
نخفيها في مكان مأمون ..

قام الدوق وأخذ يتحرك على مسافة قريبة جدا  
من مخبئي خلف الستارة .. وقال انه يرى أن يخفيا  
الحقيقة داخل مرتبة محسنة بالقش كانت موجودة  
إلى جانبي .. وقاما بالفعل باخفاء الحقيقة داخل  
المرتبة ..

وبمجرد ان حسrig الملك والدوى من الحجرة  
تقدمت الى المرتبة وأخرجت الحقيقة وتوجهت الى  
حجرتى .. ورقدت على السرير ولكن بعد أن ارتديت  
كامل ملابسى .. وأخذت أنتظر ..

وبعد فترة سمعت وقع خطوات الملك والدوى  
وهما يصعدان الى غرفتيهما .. وانتظرت بعض الوقت  
حتى تأكيدت من أنهما قد استغرقا في النوم ، وعندئذ  
تسليلت خارجا من غرفتي ومعي الحقيقة ..

وهبطت الدرج بحذر شديد .. الى أن وصلت  
الى غرفة الطعام .. وكانت هناك شمعة مضاءة رأيت  
على نورها الرجال المكلفين بالسهر الى جوار التابوت  
الذى ترقد فيه جثة المتوفى .. لقد استغرق هؤلاء  
الرجال في نوم عميق وهم جالسون على الكراسي ..  
كما كانت هناك شمعة مضاءة أخرى في الحجرة  
الأمامية ، حيث يوجد التابوت وغطاوه نصف مفتوح  
.. وحاولت أن أفتح باب تلك الحجرة الذى يؤدى الى  
الخارج ولكنى لم أتمكن .. فقد كان الباب مغلقا  
بالمفتاح ..

ووجسأة سمعت وقع خطوات تهبط الدرج ..  
وأخذت أبحث بسرعة عن أي مكان أخفى فيه الحقيقة ،  
ولكنى لم أجد سوى التابوت فاخفيتها فيه .. وأسرعت  
بالاختباء خلف احدى الستائر ..

كانت ماري جين هي التى جاءت .. كانت تسير  
بخطوات بطئنة نحو التابوت .. وتوقفت أمامه ..  
ونظرت بحزن الى وجه عمها الميت .. ثم ركعت على  
ركبتيهما ، وأخرجت منديلها ، وبدأت تبكي فى  
صمت ..

وتسلىت عائدا الى غرفتى .. ورقدت على السرير  
أشعر باليأس والاحباط ، بسبب هذه الأحداث  
التي لم أكن أتوقعها والتى أدت الى انهيار كل  
خططي ..

وبقيت مستيقظا .. وحاولت اكثرب من مرة أن  
أهبط الدرج لآخر الحقيقة وأفر بها .. ولكن ذلك  
أصبح ضربا من المستحيل .. فقد استيقظ بعض

الرجال المكلفين بحراسة التابوت .. وخشيت أن  
ينكشف كل شيء ..

وفي الصباح ، لاحظت أن الغرفة التي يوجد بها  
التابوت كانت مغلقة .. وطلت مغلقة إلى أن انتصف  
النهار .. وعندئذ فتحت الغرفة .. وسمح للأصدقاء  
والمعزين بأن يدوروا ببطء حول التابوت لينظروا إلى  
وجه الميت لتوديعه الوداع الأخير .. وقد استغرقت  
هذه العملية حوالي نصف ساعة .. وبعد ذلك قام  
بعض الرجال بتغطية التابوت وثبتت غطائه  
بالمسامير ..

وساد جو حزين .. وقام الواقع سوبسون  
بالقاء احدى مواعظه .. ثم قام الملك كالعادة بالقاء  
خطبة جوفاء تضمنت الكثير من الكلام الفارغ ..  
وذهب الجميع إلى ساحة المقابر .. وتم دفن  
بيتر ويلكس في قبره .. وعدنا مرة أخرى إلى  
البيت ..

وفي المساء ، أشار الملك الى أن أهله فى إنجلترا  
سيقلقون عليه .. وأنه يجب أن يبيع الممتلكات التى  
آلت اليه والى أخيه وليم لكنه يسرعا بالمسودة الى  
إنجلترا .. وقال الملك أيضا انه سيأخذ معه البنات  
ليعشن فى رعايته هناك .. وقد فرحت البنات كثيرا  
لدى سماعهن بهذا النبأ .. وطلبن منه أن يبيع  
ممتلكاتهن أيضا قبل أن يسافرن معه الى إنجلترا ..  
لقد تأملت كثيرا لهذا المصير التensus الذى ستقع  
فيه هؤلاء البنات الصغيرات ضحية لهذا الوغد  
المحتال ..

وأعلن الملك عن بيع البيت والأرض وكافة  
الممتلكات الأخرى .. وأن موعد البيع سيكون بعد  
يومين من تشبيع الجنازة ..  
وفى الصباح الباكر لليوم المحدد للبيع ، أيقظنى  
الملك والدوقة ، وكانا فى غاية الاضطراب ..

**وقال الملك :**

- هل دخلت الى حجرتى ليلة أمس الأول !

**فقلت على الفور :**

- لا .. يا صاحب الجلالة !

- اذن .. هل رأيت أحدا يدخل الى غرفتى نى

**تلك الليلة !**

**وقلت لنفسي :** ما هى فرصتى الذهبية ..

وادعى انى أتذكر شيئا .. وقلت بعد لحظة :

- نعم .. أعتقد أنى رأيت بعض الخدم يدخلون  
إلى الغرفة عدة مرات ..

- استمر .. استمر .. ماذا فعل هؤلاء  
الخدم .. ؟

- لا ادرى .. واعتقد انهم لم يفعلوا شيئا ..

وعندئذ نظر الملك الى الدوق ونظر الدوق الى

الملك .. وأخذنا يفكران ويهرشان رأسيهما ..

**وفي النهاية قال الملك للدوق يائسا :**

- ليس أمامنا سوى أن نبتلع هذه المصيبة ..  
ولا نشير إليها بكلمة واحدة !

وأتعقد البيع في الميدان العام .. وبيع  
الممتلكات واحدة وراء أخرى .. وأثناء بيع الصفة  
الأخيرة ، وصلت احدى البواخر النهرية إلى شاطئ  
القرية ، وحدث هرج ومرج ، وفي خلال دقيقتين جاء  
بعض الرجال يصرخون في دهشة :

- لقد وصل أخوان آخران لبيتر ويلكس !!

## **الفصل الثاني عشر**

### **المشكلة الكبرى**

جاء بعض الناس ومعهم جنتلمن عجوز حسن المظهر ، ورجل آخر أصغر سنًا وذراعه اليمنى مربوطة بالضمادات .. وقال الجنتلمان العجوز :

— أنا هارفي ويلكس .. شقيق بيتن .. وهذا أخي وليم .. انه أصم أبكم .. لقد صادفنا الكثير من سوء الحظ .. فقد كسرت ذراع أخي وليم .. كما أن حقائبنا قد أُنزلت من الباخرة عن طريق الخطأ في الليلة الماضية في البلدة السابقة .. ويقولون انهم سيحضرونها الى هنا فيما بعد ..

**وقهه الملك وقال ساخرا :**

- كسرت ذراعه .. هذا أمر محتمل .. وفقدوا  
حقائبهم .. شيء معقول .. شيء مقنع .. !

وضحك الملك في سخرية . . . كما ضحك بعض الحاضرين أيضا . . . فيما عدا الدكتور روبنسون وليفي بل المحامي الذى عاد من مأموريته فى لويسفيل . . . وصاح الدكتور قائلا :

- أيها الجيران الأصدقاء .. لا أدرى ان كان  
هذا القادمان الجديدان من المحتالين أم لا .. ولكنني  
على يقين بأن هذين المحتالين [ واسرار الى الملك والدوق ]  
من النصابين .. من الواجب علينا أيها الأصدقاء  
ألا ندعهما يغادران هذا المكان الا بعد أن تقوم بالتحقيق  
في هذا الموضوع .. فلنذهب الى الفندق .. ولنجعل  
هؤلاء الرجال يواجهون بعضهم وجهاً لوجه .. لابد أن  
تعرف الحقيقة .. !

ووافق الجميع على ذلك ، وذهبنا الى الفندق  
وأشار الدكتور الى الملك والدوق وقال :

ـ اذا لم يكن هذان الرجال من المحتالين ..  
فأعتقد أنهم لا يمانعون في احضار الحقيبة المملوئة  
بالذهب الى هنا .. حتى نحتفظ بها الى أن يثبتنا حقيقة  
أمرهم .. ما رأيكم .. هل توافقونني على ذلك ؟

فوافق الجميع وأيدوا اقتراح الدكتور .. وكان  
على الملك والدوق أن يواجهها هذا المأزق الصعب ..  
وقال الملك في حزن عميق :

ـ أيها السادة .. عندما أعطتني ابنة أخي  
مارى جين الحقيبة المملوئة بالذهب .. خفت عليها  
من الضياع أو السرقة .. فأخفيتها بداخل مرتبة  
محشوة بالقش بداخل غرفتي .. لأنى لم أكن مقتنعا  
بوضعها في البنك ل أيام قليلة .. ولكن الخدم سرفو  
الحقيبة في صباح اليوم التالي ..

وبطبيعة الحال فلم يصدق أحد هذا الكلام .

**وصاح الدكتور كما صاح الكثير من الرجال :**

- كلام فارغ .. كلام فارغ ..

وبعد ذلك بدأ تحقيق عام .. وطلبوه من الملك أن يحكى قصته كما طلبوه من الجنتمان العجوز أن يحكى قصته أيضا .. وكان من الواضح تماماً أن الجنتمان العجوز يقول الصدق بينما الآخر يقول أكاذيب لا أحد يصدقها ..

**وقال الدكتور روبنسون مخاطباً أحد الرجال المجتمعين :**

- لو كنت حاضراً منذ البداية يا ليلى بل ما ..

**٩٤ ( وهنا قاطعه الملك صائحاً ) :**

- ما أنت أخيراً يا مستر ليلى بل .. المحامي الذي كان صديقاً عزيزاً لأنني بيتر .. لقد أرسل إلى أخي بعض الخطابات التي كان يحدثنى فيها عنك

ومد الملك يده الى المحامي وصافحه بحرارة ..  
وأسر اليه ببعض الكلمات بصوت منخفض ..

فقال المحامي على الفور :

- هذه طريقة معقولة وسأجريها لأنها ستكتشف  
حقيقة الأمر .. وتعتبر دليلا قاطعا ..

وطلب المحامي احضار قلم وبعض الأوراق البيضاء ..  
.. وقام الملك بكتابة بعض الكلمات .. ثم أعطى  
القلم للدوق وأفهمه بأن يكتب كلمات أخرى ..  
والتفت المحامي الى الجنتلمن العجوز وقال :

- هل يمكن أن تكتب لنا بعض الكلمات على  
هذه الورقة .. ؟

قام الجنتلمان العجوز بكتابة بعض كلمات لم  
يستطيع أحد أن يقرأها .. واندھش المحامي عندما  
رأى الورقة وحاول أن يقرأ الكلمات المكتوبة عليها ..

وأخرج المحامي من جيبه بعض الأوراق القديمة  
وقال للناس :

- هذه هي بعض الخطابات التي كان هارفي  
ويلكس قد أرسلها إلى أخيه بيتر .. وسأقارن الخط  
الذى كتبت به هذه الخطابات بالخطوط التي كتبها  
كل واحد من هؤلاء الرجال .. لاري أي الخطوط هو  
الصحيحة ..

واستراح الجميع لهذه الفكرة السديدة  
وأنسخ المحامي أولاً بالورقة التي كتبها الملك والدوق  
.. وقال المعافي بعد أن قارن الخطوط ببعضها :

- إن أي واحد منا يستطيع أن يدرك على الفور  
أن هذه الخطوط لا تتطابق مع الخط الذي كتبته به  
الرسائل .. !

وبعد كل من الملك والدوق في غاية المراج  
والارتياح بعد أن كشف المحامي أمرهما .. وقام

المحامى بعد ذلك بمشاهدة خط الجنتلمن العجوز بخط  
الرسائل ، **وقال على الفور :**

- من الواضح أيضا ان خط هذا الجنتلمن غير  
مطابق لخط الرسائل . . . بل ان هذا النيش الذى خطه  
الجنتلمان ليس كتابة على الاطلاق . . .

واندهش الجميع لهذه النتيجة غير المتوقعة  
**ولكن الجنتلمان العجوز قال بسرعة :**

- من فضلك دعنى أشرح لك الأمر . . . ان أحدا  
لا يستطيع قراءة خطى . . . ولكن أخرى بيتر كان قادرها  
على ذلك . . . وكان ينسخ رسائلى بخط يده هو حتى  
تصبح مقرودة ومفهومة . . . اذن فهذه الرسائل التى  
معك ليست مكتوبة بخطى أنا . . . وإنما هي مكتوبة  
بخطر أخرى ! . . .

وعندئذ نظر المحامى الى الرسائل التى فى يده  
**مرة أخرى ، وقال متربدا :**

- ربما كان هذا صحيحاً .. وسنحاول معرفة  
هذا الأمر بطريقة أخرى .. ولكن هناك نتيجة مؤكدة  
خرجنا بها من هذه التجربة .. [ ونظر إلى الملك  
والدوق وأشار اليهما ] .. أن هذين الرجلين ليسا  
أخوين لبتر ويلكس !

ومع ذلك فان الملك لم يستسلم لهذه النتيجة  
الواضحة ، بل احتاج قائلاً بأن هذا الامتحان لم يكن  
عادلاً .. وعندئذ قال الجنتلمن العجوز :

- لدى فكرة جديدة .. هل يوجد أحد هنا  
من الرجال الذين جهزوا جثة أخي بيتير للدفن ..

وهنا تقدم أحد الرجال وقال :

- نعم .. لقد قمت أنا وأب تيرنر بذلك ..

وأشار الجنتلمان العجوز إلى الملك وقال :

- ربما يستطيع هذا الرجل أن يقول لنا ما هي  
العلامة التي كانت موجودة على صدر أخي .. ؟

شحب لون وجه الملك .. وظل صامتا لفترة  
قصيرة .. وكل الناس تحملق في وجهه بعيون  
ناحصة .. وقلت لنفسي : لقد أسقط في يده .. ولا بد  
أنه سيسلم الآن فورا .. ومع ذلك فلم يستسلم  
الملك .. وقال وهو يتظاهر بأنه كان يذكر :

- نعم يا سيدى .. أستطيع أن أخبرك بهذه  
العلامة .. لقد كانت عبارة عن سهم صغير مطبوع  
باللون الأزرق .. سهم صغير جدا .. اذا لم تدقن  
فيه النظر ، فلن تستطيع أن تراه !!

وقلت لنفسي : يبدو أن أحدا لن يستطيع أن  
يهرم هذا الوغد العجوز الماكر الذي لا يخجل من نفسه  
أبدا

وهنا تقدم الجيتلمان العجوز من آب تيرنر وشريكه  
وقال لهما :

- لقد سمعت ما قاله هذا الرجل .. فهل  
كانت هذه العلامة مطبوعة على صدر أخي !!

**فقال الرجلان معاً :**

- لا .. لم نر مثل هذه العلامة .. !

**وقال لهما الجنتلمن العجوز :**

- عظيم .. انكم لم ترينا هذه العلامة التي قال بها هذا الرجل .. وما رأيتماه حقا هو حرف في «ب» و «و» .. وهما الحرفان الأولان من اسمه «بيتر ويلكس» .. وكان الحرفان مطبوعين بخط صغير جداً على صدر أخي .. وكانت بين الحرفين شرطة صغير تفصلهما هكذا .. [ وكتب «ب - و » ] .. وبالتأكيد فقد رأيتما هذين الحرفين .. أليس كذلك .. ؟!

**فقال الرجلان على الفور :**

- لا .. لم نر نر على صدره أية علامة أو حروف على الاطلاق .. !!

وساد الوجوم على جميع الناس .. وبداً بعضهم يقولون صائعين :

- كلهم عصابة من المحتالين النصابين .. لابد  
أن نفرقهم في النهر !!

### ولكن المحامي صالح قائلًا :

- أيها السادة .. أيها السادة .. بقى شيء واحد علينا أن نعمله أولاً .. فلنذهب إلى قبر بيتر ويلكس .. ونخرج جثته .. لنرى ما هي العلامة المطبوعة على صدره .. أو ربما لن نجد أية علامة .. وعندها نقرر أمرنا ..

### وصاح الجميع :

- تمام .. هذا هو الحل .. !

صدقوني .. لقد شعرت بخوف شديد ..  
لقد أمسكونا جميعا .. وأحاطوا بنا من كل جانب ..  
وأخذوا يتصرفون نحونا مثل القطة المتوحشة ..!  
وقد ازداد خوفى أكثر وأكثر .. عندما بدأ  
السماء الملبدة بالفيوم والسحب تبرق وترعد .. وبدا

الظلام الا من ومضات البرق .. كما بدأت الرياح تهب  
وتهز أوراق الشجر بعنف ..

وساقونا الى مساحة المقابر . . وأنا أشعر بأن هذه المشكلة هي أصعب وأخطر موقف صادفته في حياتي . . فلم يكن يفصل بيني وبين الموت مشتبهًا الا هذه العلامات على صدر الميت . . هذا ان كانت هناك علامات على وجه الاطلاق . .

وعندهما اشتهر الظلام .. أصبحت هناك فرصة  
سانحة لفرارى .. ولكن كيف أهرب في الوقت الذي  
يقبض فيه على معصمي بشدة رجل قوى اسمه  
هاينز ..

وتجمع الجميع عند القبر . . وكان معهم أكثر من  
مائة جاروف ، ولكن لم يكن معهم مصباح واحد . .  
وأرسلوا رجلا منهم ليقترب من مصباحاً من أي مكان  
قريب . . ومع ذلك فقد بدأوا يحفرون على ضوء البرق  
الذي يوضئ بين حين وآخر على صفحة السماء .

وساد المكان كله نوع من الجنون الذى يرهق  
الأعصاب .. فقد اشتد الظلام أكثر وأكثر .. ونشطت  
الماuel والجواريف وهى تحفر وتحفر .. وانهمر المطر  
كالسيل .. واشتد وميض البرق .. وارتفع صوت  
الرعد .. وفي لحظة واحدة .. كنت تستطيع أن ترى  
كل هذا الجمجم من الناس الذين يقومون بهذه العملية  
الرهيبة .. وفي اللحظة التالية حين لا تبرق السماء ،  
يصبح الظلام دامسا فلا تستطيع أن ترى شيئا على  
الاطلاق !!

وأخيرا .. أخرج الرجال التابوت من القبر  
وفكوا غطاءه .. وفي لمع البصر صاح أحدهم :  
ـ يا للسماء .. إن على صدره حفيبة مملوءة  
بالذهب !!

وفي تلك اللحظة ، ترك هاينز معصمي .. وقفز  
إلى التابوت ليلقى نظرة على هذه المفاجأة التي أذهلت  
الجميع .. وفي نفس اللحظة انطلقت هاربا بأقصى  
سرعة .. وفي أول ومضة برق تالية شاهدت قاربا

صغيراً قرب الشاطئ ، فقفزت اليه وبدأت أجده نحو  
الطفو ..

ولم أصدق أنني نجوت إلا بعد أن اعتليت ظهر  
الطفو ، وناديت على جيم بسرعة :

- هيا يا جيم .. لقد تخلصنا منهما أخيراً ..  
فلننطلق بالطفو بأقصى سرعة !

وخرج جيم من مخبأه .. وهو يمد إلى ذراعيه  
ليعبر عن سروره بعودته .. ولكنني عندما رأيته على  
ضوء البرق صدمت ، وكاد قلبي أن يتوقف عن跳动  
في صدرى ، وانكفات مذعوراً على ظهرى .. لقد نسيت  
أن جيم كان متذكرًا في ملابس « الملك لير » .. وأنه  
كان مدحوناً باللون الأزرق القاتم مثل لون الغرقى ..  
لقد كان منظره مرعباً !

والتحقتني جيم من الماء حيث سقطت .. وأبدى  
سروره بعودته سالماً .. وبتخلصنا من الملك والدوق  
.. وقلت استحثه مرة أخرى :



افزعنى منظر جيم فسقطت فى النهر !

- ليس الآن وقت الكلام .. سأحكى لك كل شيء  
فيما بعد .. أما الآن فعليينا أن ننطلق ..

وفي أقل من ثانيةين ، بدأ الطوف يسبح فوق سطح النهر .. ولكن بعد فترة قصيرة سمعت صوناً أعرفه جيدا .. وعلى ومض البرق شاهدت الملك والدوق يركبان قاربا ويجدفان نحونا .. وما أن اعتلياً ظهر الطوف ، حتى تقدم الملك وأمسكني من ياقات معلقني وأخذ يهزني بشدة ويقول :

- ترييد أن تفلت بجلك وتدعنا نواجه هذه المحنـة وحدنا .. أيها القرد !

### وقلت على الفور :

- أبداً يا صاحب الجلالة .. أبداً !  
- إذن ما الذي دفعك إلى المهرب وتركنا ..  
قل والا أخرجت روحك من بدنك .. !

## و هنا قال الدوق :

- دع الصبي فى حالة .. انك لم تبحث عنه  
لتأخذه عندما أتيحت لك فرصة الهرب .. فلماذا  
تطلب منه أن يفعل شيئاً أنت نفسك لم تفعله ؟!

و ترك الملك ياقه معطفى .. وأخذ يلعن تلك  
القرية وأهلها وكل شيء فيها .. ولكن الدوق قال له  
في غيظ :

- من الأفضل أن تلعن نفسك أولاً .. فانت  
الملوم منذ البداية .. وكل تصرفاتك وأفكارك كانت  
سيئة وغير معقولة .. انك لم تفعل شيئاً يستحق  
الثناء سوى فكرة السهم الأزرق الذى ادعىتك أنه  
مطبوع على صدر الميت .. فهذه الفكرة هي التى أنقذتنا  
.. فلو لاها لما ذهبوا بنا الى ساحة المقابر .. ولما عثروا  
على حقيبة الذهب التى أذهلتكم وخلبت لهم ..  
فاستطعنا أن نفر هاربين فى تلك اللحظة .. لقد  
كانوا سيشنقونا حتماً !!

وانقضت فترة شرب فيها الملك والدوق زجاجة  
كاملة من الخمر .. ثم بدا ينحسان .. وسرعان  
ما استغرقا في نوم عميق ..  
وعندئذ حكى لجيم كل شيء .. !

## الفصل الثالث عشر

### أين جيم !؟٠٠

وطللنا سابعين بالطوف عدة أيام متالية .  
وهكذا أخذنا نقترب من المناطق الجنوبية ذات الجو  
الحار . . وأصبحنا بعيدين تماماً عن موطننا الأصلي . .  
ولم نكن نجسر على الرسو في أحدى القرى أو المدن  
الصغيرة التي كنا نمر عليها . .

ولكن بعد أن أصبح المحتالان يشعرون بأنهما  
بعيدان تماماً عن خطر الملاحقة . . بدأ يدبران بعض  
الميل ليخدمها في خداع أهالي القرى مرة أخرى . .

قاما في احدى القرى بالقاء الخطب والمواعظ عن  
أضرار شرب الخمر .. وفى قرية أخرى ادعيا أنها  
مدرسان للرقص ومستعدان لتدريب الأهالى على قواعد  
الرقص .. ولكن معلوماتهما عن الرقص لم تكن تزيد  
عن معلومات أى حمار ، واكتشف الأهالى أمرهما  
فطردوهما من القرية ..

وفى قرية ثالثة ادعيا قدرتهما على ممارسة الطب  
وعلاج الجروح والأمراض .. ثم ادعيا أنها قادران  
على رؤية البخت والطالع .. وهكذا حاولا خداع الناس  
بكلى حيلة وضيعة .. ولكن صادفهم الكثير من سوء  
الحظ ولم يكسبا شيئا .. وفى النهاية استلقيا على ظهر  
الطوف مفلسين تماما .. لا يفعلان أى شيء سوى  
التفكير فى خدعة أو طريقة جديدة للاحتيال على  
الناس ..

وفى صباح أحد الأيام رسونا بالطوف على بعد  
نحو ميلين من قرية اسمها بايكسفيل .. وقال لنا  
الملك انه سيذهب الى تلك القرية ليرى ما اذا كان أهلها

قد سمعوا بحكاية « التحفة الملكية المقطعة النظير »  
أم لا .. وطلب منا الملك أن نظل مختبئين في هذا  
المكان حتى يعودلينا قرب الظهر : .. وقال لنا اذا لم  
يعد حتى الظهر فيجب أن نذهب الى القرية للبحث  
عنـه ..

ولقد سرت كثيراً عندما جاء وقت الظهر ولم  
يظهر للملك أى أثر .. فسوف أتمتع ببعض التغيير  
على الأقل .. وهكذا ذهبت أنا والدوق الى القرية  
لنبحث عن الملك ..

وهناك عثرنا عليه ، وكان سكرانا تماماً لدرجة  
أنه لم يعد يستطيع أن يمشي أو يتحرك .. وأخذ الدوق  
يسبه ويلعنه .. فرد الملك بالمثل ..

وانتهت فرصة الشجاع الذى نشب بينهما ..  
فانطلقت أجرى كالغزال الهارب بعد أن استبعدت  
حريتها وتخلصت من هذين الوغدين .. وأخيراً وصلت  
إلى الطوف وقد تقطعت أنفاسى ، وصحت لاهثا :

- هيا يا جيم .. لقد استعدنا حريتنا أخيراً !!

ولكنى لم أسمع ردا .. لقد اختفى جيم ! .. لم  
يعد له أى أثر ! .. فأخذت أجرى هنا وهناك وفى كل  
مكان فى الغابة القريبة من الشاطئ .. وظللت  
أنادى وأنادى .. ولكن بلا فائدة .. لقد اختفى  
صديقى العجوز .. وجلست على الأرض وأخذت  
أبكي ١ ..

ولم أطق أن أظل هكذا عاجزا عن فعل أى شئ ..  
.. فأخذت أفكر فى كيفية مواجهة تلك المصيبة ..  
وقابلت صبيا فسالته اذا كان قد شاهد زنجيا غريبا  
عن هذه المنطقة ، يرتدى كذا وكذا .. فقال الصبي :

- نعم .. انه الآن فى بيت سيلاس فلبس الذى  
يبعد نحو ميلين من هنا .. ان هذا الزنجى عبد هارب  
.. وقد قبضوا عليه .. وهناك جائزه قدرها مائتين  
دولار لمن يقوم بتسليمه ..

### فسألت الصبي :

- ولكن كيف قبضوا عليه ؟ ..

- آه .. لقد جاء رجل عجوز غريب عن هذه المنطقة .. وقال انه يعرف مكان هذا العبد الهاوب ..  
ومستعد لبيع هذه الفرصة في مقابل أربعين دولارا  
فقط لأنه مستعجل وليس لديه وقت لتسليم العبد  
لأصحابه في المنطقة التي هرب منها ..

وعدت إلى الطوف وقد أوشك قلبي أن يتحطم ..  
فبعد كل هذه الرحلة الطويلة .. وبعد كل مافعلناه  
من أجل هذين الودجين .. ينتهي كل شيء هكذا ..  
ويبيعانه إلى هؤلاء الغرباء مقابل أربعين دولارا !؟ ..

وتواترت على ذهني كل الذكريات التي عشتها  
مع جيم طوال هذه الرحلة الطويلة الحافلة بالأحداث ..  
تذكرته حينما كان أمامي ومعي طوال النهار والليل ..  
حين كنا نتمتع بضوء القمر .. وحين كانت تهب علينا  
العواصف .. وحين كان طوفنا ينزلق سابحا فوق  
سطح النهر بكل نعومة .. نعومة .. ونحن نتحدث  
ونضحك ..

تذكرته حين كان يواصل العمل بعد أن تنتهي

ثوبته حتى لا يوقظنى .. وتنذكرت حين كان يفرج  
بعودتى بعد كل مرة أتغيب فيها عن الطوف .. وعندما  
عدت اليه مرة أخرى بعد حكاية الشار .. تنذكرت  
وهو يحنو على دائمًا ويطيب خاطرى .. وحين كان  
يدعونى دائمًا بصديقه العزيز .. وحين كان يفعل كل  
شيء وأى شيء فى سبيل راحتى وسعادتى ..

وتنذكرت حين أنقذته مرة وادعيت أنه أبي وانه  
مصاب بمرض معد خطير فأقلت بذلك من القبض عليه  
وأخذ يشكرنى على هذا الجميل ، ويقول لي انتى خير  
صديق له في هذا العالم ! ..

ومكذا توالى على ذهنى الأفكار والذكريات ..  
ولكنى قلت لنفسي في النهاية : لابد أن أعود إلى عالم  
الجريمة مرة أخرى .. وأول جريمة سأرتكبها هي  
سرقة جيم من الرجل الذى يقبض الآن عليه ! ..  
ودبرت أمرى ووضعت خطة ..

وعندما حل الظلام أقلعت بالطوف إلى جزيرة  
بوسطن النهر تقطيها الغابات .. وهناك نمت

قبيل طلوع الفجر .. وتناولت افطارى .. وارتدت  
ملابسى .. ووضعت بعض الاشياء فى صرة .. وركبت  
القارب ، وأخذت أجدف نحو المكان الذى اعتقده أنه  
المكان المسمى فيليب .. وهناك أخفيت الصرة فى  
الثابة ، وملأت القارب بالصخور حتى اختفى تحت  
سطح الماء ..

وعندما وصلت الى أول الطريق ، رأيت لافتاً  
مكتوب عليها « ورشة فلبس لنشر الأخشاب » ..  
عرفت أنى فى الطريق الى المكان الصحيح .. وواصلت  
السير .. وكان الدوق هو أول شخص صادفته فى تلك  
المدينة الصغيرة .. كان يقوم بتعليق اعلان عن « التحفة  
الملكية المنقطعة النظير » وعرضها لمدة ثلاثة ليال فقط ..  
اندهش الدوق حين رأىنى وقال :

ـ هالو .. من أين أنت قادم .. وأين الطوف ..  
هل هو مخبأ فى مكان مأمون !!

**وقلت له على الفور :**

ـ هذا بالضبط ما كنت أتمنى أن أسألك عنه  
يا صاحب السعادة !

**فقال وهو يبدي مزيداً من الدهشة :**

ـ ماذا تقصد بأنك كنت ت يريد أن تسألني ؟

**قلت له :**

ـ عندما رأيت الملك سوكرانا بالأمس .. قلت  
لنفسه انه لن يفيق الا بعد ساعات نستطيع بعدها ان  
نصحبه الى الطوف .. وانتهزت الفرصة لاقضي بعض  
الوقت في هذه المدينة الصغيرة .. وبعد أن حل  
الظلام .. ذهبت الى حيث كان يرسو الطوف .. ولكنني  
لم أجده .. وقلت لنفسى لعلهم قد صادفوا بعض  
المتاعب فاضطروا الى الرحيل .. وتركوني .. وجلست  
على الأرض وأنا أبكي .. ونمت في الغابة طول الليل ..  
وهأنذا أخيراً أجده أمامى يا صاحب السعادة ..  
فأين الطوف .. وأين صديقى جيم المسكين .. !؟

## وقال الدوق :

— لا أدرى أين ذهب الطوف .. فبالأمس عدت  
مع العجوز الغبى الى حيث كان يوجد الطوف ولكننا  
لم نعثر عليه .. لقد اختفى .. وقلنا لأنفسنا ان هذا  
الوغد الصغير قد استولى على طوفنا وهرب به ..

— ولكن ياسيدى الدوق .. هل يمكننى أن  
أهرب دون أن يكون معى صديقى جيم !؟ ..

— لا أدرى .. ولكن هل تعتقد أن جيم سيفشى  
سرنا للناس .. لو فعل ذلك فسوف نسلخ جلده ..

— وكيف يفتشى سركما .. ألم يهرب منكما !؟ ..

— لا .. لم يهرب .. ولكن العجوز الغبى باعه  
بمبلغ من النقود أنفقه كله ..

## فقلت وانا ابكي بعرقة :

— باعه !؟ .. أين .. أين جيم .. أين هو  
الآن .. أريد أن أراه .. أريد أن أراه .. !

- انك لن تستطيع ان تصل اليه .. وسوف  
نبقى هنا لمدة ثلاثة أيام .. واذا وعدتني بأنك لن تفتشي  
سرنا لأهالي هذه البلدة .. وبأنك ستقتنع جيم بالا يفتشي  
سرنا أيضا .. فاني سأخبرك بمكانه ..  
- أعدك بذلك .. !

- انه الآن في حوزة مزارع فلاج اسمه ابراهام  
فوستر .. يعيش في الريف في مكان يبعد عن هنا  
بنحو أربعين ميلا .. على الطريق المؤدية الى لافاييت !

وطبعاً كنت أعرف أنه يكذب .. كان يريد أن  
يبعدني عن هذه البلدة على الأقل لمدة الأيام الثلاثة التي  
سيعرضون فيها « التحفة الملكية » .. ومع هذا فقد  
تظاهرت بأنني صدقة .. وقلت له :  
- اذن .. مأسافر اليه الآن .. !

ومشيست في الطريق لمسافة تقارب من ميل ..  
ولكنني قفلت عائداً نحو الطريق المؤدية الى بيت  
فلبس !

## الفصل الرابع عشر

### وصول توم وأخيه سيد

وعندما وصلت الى هناك ، كان المكان هادئاً ساكناً وبيدو كما لو كان في يوم عطلة . فقد ذهب العمال جميعهم الى العقول . وتسلقت السور وأخذت طريقى نحو المطبخ .. و كنت سعيد الحظ لأنى وجدت الكلمات المناسبة في الوقت المناسب .

أقبلت نحو امرأة في حوالي الخامسة والأربعين من عمرها ، ويجرى خلفها مجموعة من الأطفال الصغار .. واستقبلتني المرأة بابتسامة عريضة وهي تقول :

- هل وصلت أخيرا ٠٠ !!

وتقدمت نحوى واحتضنتنى بعطف زائد  
وهي تقول :

- إنك لاتشبه أمك كما كنت أظن ٠٠ ولكن  
هذا لا يهم ٠٠ فأنا مسرورة لرؤيتك ٠٠ تعالوا يا أولاد  
 واستقبلوا معى ابن خالتكم توم ٠٠ قولوا له مرحبا ٠٠ ٠٠ ٠٠  
 ولكن الأطفال وضعوا أصابعهم فى أفواههم ،  
 واختبأوا خلف أمهم ٠٠ وسجحتنى المرأة من يدى ،  
 واتجهت بي نحو البيت ٠٠ وسار الأطفال خلفنا ٠٠  
 وعندما أصبحنا بداخل البيت ، أجلسستنى على مقعد  
 مريح وجلست أمامى على المقعد المقابل وهى لم تزل  
 تمسك بيدي الاثنين ٠

وواصلت حديثها الفاضل :

- الآن فقط أستطيع أن أنظر اليك وأتفحصك  
 بدقة ٠٠ ما الذى أخرك ٠٠ لقد كنا ننتظر وصولك  
 ولكنك تأخرت ٠٠ هل حدث شيء للسفينة التى قدمت  
 عليها ١٩ ٠٠

**فقلت متربداً :**

- نعم .. حصل عطل بالآلات يا سيدتي !

**فقالت على الفور :**

- لا تقل يا سيدتي .. قل يا خالتى .. ياخالتك

سالى .. لقد كان عمك يذهب كل يوم لمحطة السفينة  
لعله يجده قادماً على أحدى السفن .. لقد ذهباليوم  
منذ نحو ساعة .. ولا بد أنك قابلته في الطريق ..  
انه يبدو عجوزاً وله ..

- لا .. لم أقابل أحداً ياخالتك سالى ..

وبدأت أشعر بكثير من العيرة والقلق .. وكنت  
أريد أن أنتهي بأحد الأطفال جانياً لأسأله من أنا في  
ظنهم .. ولكنني لم أجده أية فرصة مواتية .. فقد  
ووصلت مسر قلبس حديثها بصفة مستمرة ، وأخذت  
تر بت على ظهرى ، وبدأت المرحلة الحرجة في الحديث  
حين قالت :

- ولكنك لم تقل لي شيئاً عن أخرى ، ولا عن

الآخرين .. الآن سأمسك لسانى واسكت .. أخبرنى  
عن أحوالهم .. وقل لي ما قالوه لك لتقوله لي .. !

وبدأت أتلعثم ولا أدرى ما أنا بقائل .. ومع  
ذلك فقد فتحت فمى وبدأت أقول أى شيء .. ولكن  
لحسن الحظ حدث شيء أنقذنى من هذه الورطة .. فقد  
سحبتنى مسز فلبس من يدى فجأة وخبأتني خلف  
السرير .. وهمست قائلة :

- لقد وصل عمك فلبس .. لن أخبره بحضورك  
الآن .. الا بعد أن أعد له مفاجأة لطيفة ..

لقد رأيت الرجل العجوز للحظة واحدة ..  
وبدأت مسز فلبس تسأله :

- هاه .. هل وصل توم .. !؟

**فقال الرجل العجوز :**

- لا .. ولا أدرى لماذا تأخر .. لقد بدأ  
أقلق عليه .. !!

**وقالت مسرز فلبس :**

- ولكن .. لابد أنه قد وصل فعلا .. وربما  
قابلته في الطريق ولكنك لم تعرفه .. ان قلبي  
يشعرني بذلك ..

- لا .. لا يمكن أن يحدث ذلك ..

- انظر من النافذة .. هل هناك شخص قادر  
تجاه البيت !! ..

وما أن اتجه الرجل العجوز الى النافذة حتى  
جذبتني مسرز فلبس من يدي ، وأوقفتني بجانبها .  
وعندما استدار الرجل ورأني ، انفجرت مسرز فلبس  
ضاحكة بصوت مرتفع ، بينما كنت أنا قلقاً وغارقاً في  
عرقى من شدة القلق والارتباك .. وحفلق في الرجل  
العجز سيلاس فلبس واعتبرته الدهشة ، وقال :  
- من هذا !! ..

**فأجابت مسرز فلبس ضاحكة :**

- هذا توم سوير .. توم سوير بعينيه !! ..  
وهنا مادت الأرض تحت قدمي .. ولكن الرجل

العجز تعلم نحوى ، وأخذ يهز يدى بقوة مرحبا بي ،  
وأخذت مسر فلبس ترقص طربا .. وبدأ سيل من  
الأسئلة عن سيد .. وعن مارى .. وعن بقية أفراد  
العائلة ..

كنت فى غاية السرور لخروجى من هذا المأزق  
الحرج .. وشعرت وكأنى قد ولدت من جديد ..  
وحكىت لهم الكثير عن أفراد عائلتى - أقصد عائلة  
توم سوير - التى أعرف بطبيعة الحال الكثير من  
أخبارها وأحوالها بحكم صداقتنى العجيبة لتوم سوير ..  
وهكذا أخذت أتصرف على أساس أنى توم سوبر ..  
وكان ذلك أمرا سهلا للغاية .. ولكن عندما  
سمعت صوت باخرة . نهرية تأخذ طريقها نحو محطة  
القرية ، قلت لنفسي : ما العمل لو أن توم سوير كان  
قادما على ظهر هذه الباخرة ؟ .. وماذا سيكون  
موقعى لو حضر الى هنا ورأنى ونادانى باسمى الذى  
يعرفه .. اسمى الحقيقى .. لابد أن أذهب لأقابلها  
قبل أن يأتي الى هنا ، لنتدب الأمر سويا ..  
وهنا .. استأذنت منهم مدعيا بأن على أن أذهب

إلى محطة البواخر لأبحث عن حقائبي .. وهم الرجل العجوز بالقيام لصاحبتي .. ولكنني قلت له أني استطيع أن أقود الحصان الذي يجر العربة ، وطلبت منه ألا يقلق نفسه بسببي ..

وهكذا قدت العربة وحدى واتجهت صوب محطة البواخر .. وفي منتصف الطريق ، رأيت عربة أخرى قادمة من الاتجاه المقابل ، وكان توم سوير راكبا فيها .. وعندئذ صحت بأعلى صوتي :

- قف !! ..

ـ وما أن رأني توم .. حتى فغر فاه من شدة الدهشة .. ثم أخذ يبلغ رئيسه بصعوبة .. وقال معبرا عن خوفه :

- أنا لم أفعل شيئا يؤذيك أبدا يا هكلبرى ..  
أنت تعرف ذلك .. فلماذا تعود الآن لتخيفنى ؟ !! ..

ـ فقلت على الفور :

- أنا لم أمت ياتوم .. أنا مازلت حيا ..  
ـ صحيح ؟ !! .. لست شبحا ؟ !! .. ألم تقتل ؟ !! ..

- لا .. لقد خدمتكم جميعا .. تعال والمسني  
بيدك اذا لم تصدقني ..

وتقديم توم نحوى ، ولمسنى ، واقتني بما قلت .  
.. وكان فى غاية السرور لمقابلتى .. وكان يريد أن  
يعرف كل شىء فى لحظة واحدة .. وتلهف بشدة  
على سماع مغامراتى القامضة .. ولكننى قلت له أنى  
سأحکى له كل شىء فيما بعد .. وشرحـت له المشكلة  
التي أواجهها الآن أمام عائلة فلبس وطلبت منه  
المشورة فيما عسانـا أن نصنع للخروج من هذا المأزق ..

وأخذ توم يفكر ويفكر .. وقال فحاة :

- لقد وجدتها .. وجدت الحل .. عليك ان تأخذ حقيقي وتدعى أنها حقيبي .. وعدت الى البيت على مهل .. وسائلق بك بعد حوالي ربع ساعة .. وعندما أصل الى البيت .. ظاهر بأنك لا تعرفني .. !

نعت لہ :

- موافق .. ولكن انتظر لحظة .. فهناك سر لا يعرفه أحد غيري وسأخبرك به .. هناك زنجي

محبوس .. وأنا أريد أن أسرقه لاطلاق سراحه .. انه  
العبد الهاوب الذى كانت تمتلكه العجوز مسز واطسون  
.. انه جيم وأنت تعرفه ..

وهنا قال توم مندهشا :

- ماذا تقول !؟ .. ان جيم ..

فقلت على الفور :

- لا تكمل .. فاني أعرف ماذا ستقول ..  
ستقول انه عمل بغيض .. ولكن لنفرض أنه عمل  
بغيض .. ماذا يهم .. أنا نفسي انسان بغيض ..  
ولكنى سوف أسرق جيم من محبسه .. وسوف أطلق  
سراحه .. وكل ما أريده منك أن تحتفظ بهذا السر  
ولا تخبر به أحدا ..

وهنا برقت عينا توم وقال بحزم :

- سأساعدك فى سبرقته وإطلاق سراحه !

وكان هذا أغرب مما توقعت ، وكدت أكذب  
اذنى .. فمن ذا الذى يمكنه أن يصدق أن توم سوير

بنفسه سيشترك في سرقة عبد زنجي هارت ليطلق  
سراحه ٠٠ !

وعلى أية حال ، فقد وضعا حقيبة توم على  
عربته ٠٠ وسرت متمهلا نحو بيت عائلة فليس ، بينما  
اتجه هو بعربته إلى طريق آخر ٠٠

وبعد حوالي نصف ساعة ، وصلت العربة التي  
تقل توم أمام البوابة الخارجية للبيت ، وشاهدتها الحالة  
السائل من النافذة ، وترجل توم واتجه نحو مدخل  
البيت ، واندفع الجميع نحو الباب ليروا من القادم ٠٠  
وعندما اقترب توم من باب البيت ، رفع قبعته  
بتحية مؤدبة وقال :

ـ هل هذا منزل مستر آرشيبالد نيكلولز ٠٠ !

فقال مستر فليس :

ـ لا يابني ٠٠ ان منزل نيكلولز على بعد ثلاثة  
أميال من هنا ٠٠ تعال لتناول غداءك معنا وسوف  
أشجبك الى منزل نيكلولز لأذلك عليه ٠٠<sup>١</sup>  
وشكره توم على هذه الدعوة الكريمة بأدب

شديد .. ودخل الى البيت .. وقال انه غريب قادم من هيكسفيل بولاية اوهايو .. وأن اسمه وليم طومبسون .. وانحنى مرة ثانية بأدب شديد ..

ثم أخذ توم يعكى أشياء كثيرة عن هيكسفيل .. وعن كل فرد فيها .. وانهمك فى الحديث وانهمكت الأسرة فى الانصات .. وفجأة قام توم من مقعده وقبل مسز فلبس قبلة سريعة .. ثم استمر فى حديثه .. ولكن مسز فلبس هبت واقفة ، وأخذت تمسح مكان القبلة بظهر يدها ، وصرخت قائلا :

- يالله من غلام وقع !!

فتظاهر توم بالدهشة ، وقال :

- لقد أردت أن أفاجئك يا سيدتي ..

- تفاجئنى ! .. ماذا تظن عنى .. وماذا تقصد بتقبيل !؟ ..

فقال توم بتواضع :

- لا أقصد شيئا .. ولكن كنت أظن انك تحبين ذلك !

فهبت فيه مسر فلبس ، بل وأوشتكت أن ترفع  
يديها لتضربه ، ولكنها صرخت فيه قائلة :

- يالك من مجنون .. وما الذي جعلك تعتقد  
أني أحب ذلك ؟!

فقال توم متمهلا :

- لا أعرف .. ولكنهم أخبروني بذلك ..

- أخبروك بذلك ؟! .. من هم الذين أخبروك  
بذلك .. ؟!

- كلهم .. كلهم ..

- من كلهم هؤلاء .. قل لي أسماءهم .. !  
فتظاهر توم بالغضب ، وأخذ يلوى قبعته بطريقة  
عصبية وقال :

- كلهم قالوا لي : قبلها .. فيهي تحب ذلك ..  
ولكنى آسف يا سيدتى .. فلن أفعل ذلك مرة  
أخرى .. الا بناء على طلبك ..

- بناء على طلبي .. انى لم أسمع كلاما مثل ذلك  
طول حياتي !

وأخذ توم ينظر حوله الى أن التقت عيناه بي ،  
قال بصوت لطيف :

- توم !! .. هل تعتقد بعد ذلك أن خالي سالى  
ستفتح ذراعيها مرحبا بي .. وتقول « أهلا يا سيد  
سوير » !!؟

وهنا هبت الحالة سالى واقفة وقالت بفرح :

- ليغفر الله لي .. يالك من عفريت صغير ..  
لقد خدعتنى باتقان !

وتقدمت اليه لتحتضنه وتقبيله .. ولكنها اشترطت  
عليها أن تستأذن منه أولاً ليسمح لها بتقبيله ..  
فضحكت .. واستاذنت .. وغمرته بقبلاتها وحنانها ..  
ولكنها قالت فجأة :

- يالها من مفاجأة مدهشة .. الغريب أن أختى  
كتبت لي أن توم سيحضر وحده .. ولم تشر الى حضور  
سيد ..

فقال توم :

— هذا صحيح .. حتى اللحظة الأخيرة كان من المقرر أن يحضر توم وحده .. ولكن الحالة بوللي سمحت لي بالحضور معه .. وقررنا — أنا وتوم — أن نجعل وصولنا اليكم في شكل مفاجأة طريفة .. فيذهب هو أولاً ويلتقي بكم .. ثم أحضر أنا بعد ذلك وأتظاهر بأنني غريب .. ولكنك يا خالتى سالى عاملت الغريب بقسوة ..

فقالت الحالة سالى :

— لقد كنت تستحق الضرب والصلف على وجهك .. لقد تضيّقت فعلاً في البداية .. وهكذا تراصل الحديث طوال الوقت الذي تناولنا فيه طعام الغداء وطوال فترة بعد الظهر إلى أن حل المساء .. ولكن العائلة لم تشر بكلمة واحدة عن العبد الهاوب .. إلى أن جاء أحد الأولاد من أبناء مستر فلبس ، وطلب من أبيه أن يسمح له ولتوم وسيد ، بأن يذهبوا لمشاهدة « التحفة الملكية المنقطعة النظير » ..

وهنا قال هستر فلبس :

- لا .. فقد أخبرني العبد الهارب كما أخبر  
بيرتون بأمر هذا العرض الغبي الذي سيقدمه اثنان من  
النصابين .. وذهب بيرتون ليخبر الناس بأمر هذين  
النصابين .. وأعتقد أن الناس قد طردوهما الآن من  
المدينة ..

وبعد العشاء .. توجه الجميع الى غرف النوم ..  
وكانوا قد خصصوا لنا - أنا وتوم - غرفة بالطابق  
العلوي .. وما أن وصلنا اليها ، حتى تسألتنا عبر  
النافذة ، وقفزنا الى السقف المنحدر ومنه الى الأرض ،  
واتجهنا الى المدينة ، لنقوم بانذار الملك والدوق بما  
سوف يدبره الناس نحوهما ..

وأناء الطريق ، حكيت لتوم كل شيء عن الملك  
والدوق .. وعن التحفة الملكية المنقطعة النظير .. وعن  
قصة الرحلة النهرية الطويلة التي قمنا بها أنا وجيم  
على ظهر الطوف والمغامرات التي صادفناها ..

ولكن يبدو أننا وصلنا متأخرین بعد أن انقضی  
الأمر بالنسبة للملك والدوق .. فعندهما وصلنا إلى  
قلب المدينة ، شاهدنا جمیعاً غفیراً من الناس يحملون  
المشاعل .. ويصرخون مهلهلين .. ويدقون بعلب  
الصفيح ببعضها محدثین صخباً وضجة عالیة ..  
ويتفاخرون في المزامير المصنوعة من قرون البقر .. !

وفي وسط هذا الجمیع الهاجج ، كان الملك والدوق  
جالسين على عربة .. عاریین .. وقد طلی جسم کل  
منهما بالقار الأسود .. ونفیش عليها ریش أبيض ..  
لقد شعرت بالشفقة نحو هذین المسکینین .. انه لشیء  
فظییع أن یجرس الانسان على مثل هذا النحو .. أو أن  
یعامل الانسان أخاه الانسان بمثل هذه القسوة ..

وبطبيعة الحال ، فلم نستطع فعل أي شيء  
لمساعدتهما .. وعلى هذا فقد عدنا إلى البيت .. وکنت  
أشعر بكثير من الحزن ..

## الفصل الخامس عشر

### خطة لفقر نفق ..

توقفنا عن الكلام وبدأنا نفك ..

وبعد فترة صاح توم :

— يا لنا من أغبياء ياهك .. لماذا لم تأتنا هذه الفكرة من قبل .. لقد عرفت المكان الذى سجن فيه جيم ! .. انه ذلك الكوخ المجاور للمطبخ .. لم تلاحظ ذلك .. هل تذكر أننا حينما كنا نتناول طعام الغداء .. رأينا أحد الخدم يتوجه نحو هذا الكوخ ومعه بعض الطعام ..

- نعم .. اذكر ذلك ..
- طعام من هذا !! ..
- طعام للكلب .. ربما !
- كنت أعتقد أيضا أنه طعام للكلب .. ولكن الآن أجزم بأنه ليس طعاما للكلب ..
- لماذا !! ..
- لأن الطعام كان يتضمن بعض الفواكه ..
- هذا صحيح .. لقد لاحظت ذلك .. وقلت لنفسي عندئذ أن الكلاب لا تأكل الفواكه .. ومع ذلك فقد فاتت على هذه الفكرة .. أن هذا يدل على أن الإنسان يمكنه أن يرى ولا يرى في نفس الوقت !!
- لقد لاحظت أيضا أن الخادم قد فتح باب الكوخ بالفتاح حين دخل .. وأغلق الباب بالفتاح حين خرج .. وأنه أعطى الفتاح للعم سيلاس فلبس حين كنا قد فرغنا من تناول الطعام .. الأمور اذن واضحة :

فالفاكهة تعنى أن الطعام لرجل .. واغلاق باب الكوخ  
بالمفتاح يدل على أن الرجل سجين .. وجميع الأحوال  
تدل على أن هذا السجين هو جيم .. الآن يمكننا أن  
نضع خطة محكمة لسرقة هذا السجين واطلاق سراحه !

وبعد فترة من التفكير شرح لي توم جميع تفاصيل  
الخطة التي يراها مناسبة .. وهي خطة يمكن ان تؤدي  
إلى اطلاق سراح جيم .. ويسكن أن تؤدي أيضاً إلى  
صدور الحكم باعدامنا جميعاً .. ومع ذلك فقد اقتنعت  
بالخطة وتحمس لها ..

هناك حقيقة واحدة مؤكدة : وهي أن توم سوير  
انسان ذكي وحاذق .. وأنه مصمم على تنفيذ خطته  
لاطلاق سراح جيم .. ولا أدرى ما الذي يدفع غلاماً  
معترماً مثله ينتهي إلى عائلة محترمة لكن يقدم على  
مغامرة اطلاق سراح عبد هارب .. وهي عمل يقول  
الناس انه عمل شائن يجعل العار عليه وعلى عائلته ..

لم أفهم الدوافع التي جعلت توم سوير يقوم بهذا العمل . . وقد أشفقت عليه بصدق . . فأنما أعلم أن توم يعتبرني صديقا مخلصا له . . ولهذا فقد رأيت أن من واجبي أن أنبهه إلى خطورة هذا العمل ، وأطلب منه أن يبتعد عن الموضوع باكمله . . وحين همت بفعل ذلك ، استثنى توم قائلا :

- هل تظن أنني لا أعرف ما أنا مقبل عليه . .  
الم أعدك بأنني سأساعدك في سرقة جيم واطلاق سراحه ؟ . .

- نعم . .

- اذن دعنا ننفذ هذه الخطة . .  
وكان هذا هو كل ما قلناه . . ولم يعد أمامنا أن نضيف إلى هذا الموضوع كلمة واحدة . .

وعندما عدنا إلى البيت . . توجهنا مباشرة إلى الكوخ المجاور للمطبخ لنفحصه ونفحص المكان المحيط به . . ولأن الكلاب أصبحت تعرفنا ، فلم تنبغ ولم تحدث ضجة . .

فحصنا باب الكوخ وجانبيه الآخرين .. وكانت هناك نافذة مربعة الشكل بالجانب الشمالي للكوخ ولكنها مغلقة بلوح من الخشب السميك . فقلت :  
لتم :

— هذه النافذة تكفي لمرور جيم من خلالها .. اذا  
قمنا بانتزاع هذا اللوح الخشبي ..

فقال توم :

— ولكن هذا الحل سهل مثل حروف الهجاء الف  
باء .. دعنا نبحث عن حل يكون أكثر تعقيدا  
يا هكلبرى فين !

— ما رأيك اذا قمنا بنشر هذا اللوح الخشبي  
بالمنشار .. هذه هي الطريقة التي اتبعتها عندما  
هربت في المرة السابقة وادعيةت مصرعي ..

- هذه فكرة جيدة فعلا .. ومثيرة للغموض وتجر المتابع .. ولكنني أراهن أننا سجد فكرة أخرى أفضل من هذه الفكرة مرتين على الأقل .. !

ولاحظنا وجود عشة مسقوفة تقع بين الكوخ وسور البيت .. وكان سقفها مصنوعاً من الواح متباوقة من الخشب ، ولا يزيد عرض هذا السقف عن ستة أقدام .. وكان للعشة باب خشبي معلق يقع في الجانب الجنوبي ..

وأحضر توم قضيباً ثقيلاً من الحديد استعمله في خلع ترباس الباب .. وما أن دخلنا إلى العشة حتى أغلقنا الباب وأشعلنا عوداً من الشتات .. ولم يكن في داخل العشة سوى بعض الأدوات الزراعية الخاصة بالحديقة .. وتبين لنا أن جانب العشة كان ملائقاً لجانب الكوخ الذي سجن فيه جيم .. وخرجنا .. وأغلقنا باب العشة كما كان من قبل ..

وكان توم في قمة السعادة وهو يقول :

- الآن فقط يمكننا أن نبدأ العمل .. ستحفر  
نقا الى الكوخ .. وسيستغرق الحفر حوالي أسبوع  
كامل .. !

واتجهنا الى غرفتنا لكي ننام .. دخلت أنا من  
الباب الخلفي للبيت لأن العائلة لا تغلق أبواب البيت  
حتى أثناء الليل .. أما توم فقد كان الدخول من  
الباب الخلفي يعتبر أمرا سهلا بالنسبة له .. وبمحض  
عن طريقة أخرى أكثر تعقيدا .. فتسليق السقف  
المائل .. وتسليل الى الغرفة من خلال النافذة .. هذه  
هي الطريقة التي ترضيه .. !

وعندما انبلاج نور الصباح .. نزدنا الى فناء  
البيت ، وأخذنا ندلل الكلاب ونربت على شعرها لنكسب  
مزيدا من صداقتها .. وقابلنا الخادم الزنجي نات الذي  
يقوم بحمل الطعام الى جيم .. وكان يحمل في يده  
صينية صغيرة عليها بعض الخبز واللحم ، ومتخذنا  
طريقه الى الكوخ ..

كان نات ذا وجه بشوش ويضفر شعره المحمد  
عدة ضفائر مربوطة بالدوبار .. وقال لنا انه يفعل  
ذلك لتعاشي أعمال الساحرات الشريرات .. وقال لنا  
أيضا أنه أصبح يعاني في هذه الليالي من أعمال  
الساحرات الشريرات .. حيث أصبح يرى جميع أنواع  
الأشكال الغريبة ، ويسمع جميع أنواع الأصوات  
الغربية .. !

وسأله توم في بساطة :

- طعام من هذا .. ؟

فابتسم نات ابتسامة طيبة وقال :

- اذا كنتما تريدان الذهب معى لتتعرفا طعام من  
هذا .. فتعاليا .. !

وذهبنا معه نحو الكوخ .. وكنت أخشى ما سوف  
يحدث عندما يفاجأ جيم برؤيانا .. وحدث بالفعل  
ما توقعته .. فبمجرد أن شاهدنا جيم حتى صاح  
فرحا :

— ماذا ! .. هكلبرى فىن .. و سيدى مستر  
توم .. ١٩

وعندئذ قال نات مندهشا :

— ياللسماء .. هل يعرفكما يا سيدى ..  
فنظر توم الى نات نظره متعجبة ، وقال :  
— من هو الذى يعرفنا ..

فقال نات :

— هذا العبد الهاوب ..

فقال توم بشبات :

— لا .. لا أعتقد أنه يعرفنا !  
— ولكنه يا سيدى صالح فرجا ونادا كما  
باسميكما ..

فنظر اليه توم نظرة مواسية ، ومدعيا القلق على  
حالة المسكين ناب .. و قال مندهشا :

- هذا أمر عجيب يانات .. من ذا الذي صاح  
فرحا .. ومتى صاح فرحا .. وماذا قال عندما صاح  
فرحا ..

ثم نظر توم الى وسائلني :

- هل سمعت أحدا صاح فرحا !؟ ..

فقلت على الفور :

- لا .. لم أسمع أى شيء ..

وعندئذ التفت توم الى جيم ، واخذ يتفحصه  
كما لو كان يشاهده لأول مرة ، وسأله بعد فترة :  
- هل صحت فرحا !؟ ..

فقال جيم بعد أن فهم اللعبة :

- لا .. لم أقل شيئا ..

## وسائله توم :

- هل تعرفنا .. هل رأيتنا من قبل ؟ ..  
- لا ياصيدي .. لا أعرفكما .. ولا رأيتكما من  
قبل .. !

وعندئذ نظر توم الى نات وسائله بغضب :

- هاه .. والآن ما رأيك ؟

## فقال نات مستسلما بصوت مرتعش :

- لا أدرى يا سيدى .. انها أعمال الساحرات  
الملعونات .. ولكنى أرجوك يا سيدى ألا تخبر أحدا  
 بذلك .. فسيدي مستر سيلاس فلبس سيعاقبني ..  
 لأنه قال لي مرات عديدة انه لا توجد فى الدنيا ساحرات  
 شريرات مثلكم اعتقد .. !

وأعطاه توم قطعة معدنية من النقود ، ووعده  
 بأنه لن يخبر أحدا بحالته تلك .. وعندما خرج نات

من باب الكوخ ليرى القطعة المعدنية في ضوء النهار ،  
وليجز عليها بأسنانه ليتأكد من أنها غير مغشوشة ..  
تقدم توم الى جيم وهمس له :

— ظاهر دائماً بأنك لا تعرفنا .. واذا سمعت  
أصوات حفر أثناء الليل ، فاعلم أننا نحفر ثقنا يصلح  
لhero بك .. إننا ننفذ خطة لاطلاق سراحك !!

## الفصل السادس عشر

### فن اختراع المصاعب !٠٠

ما زالت أمامنا ساعة كاملة قبل أن يحل موعد الافطار .٠٠ لذلك فقد توجهنا إلى الغابة ، لأن قوم قالوا إننا سنحتاج إلى ضوء عندما نقوم بحفر النفق أثناء الليل .٠٠ وقد استبعد فكرة الاستعانة بضوء المصباح لأنه أكثر من القدر المطلوب للحفر ، كما قد يكشفنا فتفسد العملية ، بالإضافة إلى تعرضنا للمتاعب .٠٠ ولذلك فقد قمنا بجمع حزمة من « النار

الشعلبية » (١) .. التي تشيع ضوءاً ناعماً خافتًا أثناء  
الظلم .. وقمنا باخفاء ما جمعناه من هذه النار  
الشعلبية .. وجلسنا للاستريح .. وقال توم :

- المصيبة أن هذه العملية قد أصبحت سهلة  
تماماً .. بحيث يصعب تنفيذها كخطوة صعبة ! ..  
فمن الضروري مثلاً أن يكون هناك حارس تقوم  
بتخديره .. أو يكون هناك كلب نعمل على إسكاته ..  
ولكن عمليتنا للأسف سهلة جداً وخالية من التعقيدات  
والصعوبات ! .. إن رجل جيم مربوط بسلسلة مشتبة  
في رجل السرير .. ومن السهل جداً أن نقوم برفع  
رجل السرير ونفك السلسلة .. فما هذا .. أليس  
هناك شيء أكثر صعوبة؟ .. كما أن العم سيلاس  
فلبس يشق في الجميع ولا يشك في أحد .. إنه يعطي  
المفتاح ببساطة إلى نات ، دون أن يرسل وراء نات

---

(١) Fox Fire مادة شبه فوسفورية تنتج من تحلل بعض قطع  
الأخشاب وأفرع النباتات بعد تعطيلها « المترجم »

شخصا يراقبه .. لماذا أصبح كل شئ سهلا على هذا النحو .. أين الصعوبات اذن؟! .. واذا لم تكن هناك صعوبات في تنفيذ هذه العملية ، فان علينا أن نخترع هذه الصعوبات بأنفسنا .. أليس كذلك يا هك؟! .. وعلى أية حال فان علينا الآن أن نبحث عن شيء يصلح كمنشار .. !!

فقلت مندهشا :

- وماذا سنصنع بهذا المنشار؟!

فقال توم على الفور :

- تقول ماذا سنصنع بهذا المنشار .. هه .. أليس علينا أن ننشر رجل السرير حتى نفك السلسلة التي ربطت فيها رجل جيم؟!

- ولكنك قلت منذ لحظة ان فى استطاعتنا أن نرفع رجل السرير فقط ونمرر السلسلة من تحتها ونفكها .. وهذا أمر سهل جدا يا توم .. !

— لماذا تقول ذلك يا هكليبرى فين .. ألم تقرأ  
في حياتك كتابا واحدا؟ .. ان الكتب تقول ان اطلاق  
سراح سجين بمثل هذه الطريقة الصبيانية السهلة أمر  
لا يستحق العناء ولا التفكير ولا تشغيل الذهن ..  
وجميع الخبراء يقولون فى مثل هذه الحالة ، ان من  
الضرورى نشر رجل السرير بالمنشار .. وأن يتسلع  
النشارة حتى لا يعثر عليها أحد ويكتشف الأمر .. كما  
يجب أن نلقطن مكان النشر ببعض الشحم والقذارة حتى  
يصعب على العين الخبيثة ، مهما كانت خبيثة ، أن  
تكتشف أن رجل السرير منشورة .. وبذلك تتم  
الخدية .. لا بد أن ننشر أولاً رجل السرير ، حتى  
إذا حل موعد تنفيذ عملية اطلاق سراح السجين ، فلن  
يكون علينا إلا أن نضرب رجل السرير ضربة خفيفة ،  
فيسقط الجزء المنثور منها ، ونسحب السلسلة ..  
وبذلك تنتهي أول عقبة .. وليس عليك بعدئذ إلا أن  
تفتح النافذة وتمرر من خلالها العجل المجدول الذى  
ستستخدمه كسلم للهبوط إلى الأرض .. وفجأة

ستكتشف أن الجبل الذى استخدمته يقل تسعه عشر  
قدما عن الطول المطلوب ، فتضطر عندها إلى القفز الى  
الأرض ، فتنكسر رجلك .. ولكنك تحتمل الألم ،  
ويأتى خدمك المخلصون ومعهم حسان يساعدونك فى  
الصعود الى ظهره .. وعندئذ تنطلق الى عالم الحرية  
وتعود الى موطنك .. انه عمل عظيم يا هك ، وليس  
بالعمل الهين .. صدقنى .. ليتنا نجد حفرة بجوار  
الكون لنسقط فيها بعد أن نهبط بالجبل المجدول الذى  
سنستخدمه كسلم .. على أية حال فإذا كان لدينا وقت  
كاف فى ليلة الهروب .. فلا بد أن نقوم بحفر حفرة  
تصلح لذلك ..

وهنا سالت توم سؤالا ذكيا :

- لكن .. ما فائدة مثل هذه الحفرة .. ما دمنا  
سننطلق سراح جيم عن طريق حفرة نفق تحت  
الأرض .. !؟ ..

ولكنه لم يسمعني .. كان مستغرقا فى تفكير

عميق ، وتبعد عيناه سارحتين فى مكان بعيد .. وتنهد  
بعد لحظة ، وقال وهو يهز رأسه يائسا :

— لا .. لا .. هذا ليس ضروري بالمرة .. !

فتسأله :

— ما هذا الذى ليس ضروري بالمرة ؟ ..

— أن نقوم بنشر رجل جيم وقطعها !!

— يا حفيظ ! .. ان هذا ليس ضروري بالطبع ..  
ولماذا بحق السسماء تفكرون فى أن تنشر رجل جيم  
وتقطعها !! ؟

— كثير من الخبراء يقولون ذلك .. وعملوهـا  
فعلا .. فعندما تعذر فك السلسلة قاموا بقطع أيديهم  
وأفلتوا بذلك من السجن .. ولكن ما دامت السلسلة  
مربوطة فى رجل جيم وليس مربوطة فى يده ، فعندئذ  
يمكن قطع الرجل بدلا من قطع اليد .. ولكن جيم لن  
يتفهم الأسباب التى تدعونا الى قطع رجله طبقا للخطط  
المتبعة فى أوربا .. ولهذا فسوف نستبعد هذه الفكرة ،

ولكن بشرط واحد ، هو أن يستعمل جيم العجل  
المجدول كسلم للهبوط .. ولذلك فعلينا أن نقطع  
ملاءات السرير إلى أشرطة نجدها في بعضها على شكل  
سلم .. وبعد أن نصنع هذا السلم علينا أن نقوم  
بتهريبه إلى جيم حتى يكون مستعدا لاستعماله في  
الوقت المناسب .. ويمكنا أن نهرب هذا السلم بداخل  
فطيرة .. وهي الطريقة المفضلة لدى الخبراء ..  
وكثيرا ما هربوا مثل هذه الأشياء داخل الفطائر التي  
ترسل إلى المسجونين بطريقة سرية .. وأنا شخصيا  
أكلت بعض الفطائر السيئة التي يحتمل أن تكون  
مصنوعة مثل هذا الغرض .. !

- ما هذا الذي تقوله يا توم سوير .. ولماذا  
تفكر في مثل ذلك .. ان جيم لن يكون بحاجة أبدا  
إلى مثل هذا العجل المجدول على شكل سلم !

- هه .. من الأفضل لك أن تقول أنك لا تعرف  
 شيئا عن مثل هذه الأفكار .. يجب أن نقوم بتهريب  
العجل المجدول إلى جيم .. الجميع يفعلون ذلك !

- ولكن بحق السماء .. ماذا سيصنع جيم بهذا الجبل المجدول ؟ !

- تقول ماذا سيصنع به ؟ .. أن في امكانه أن يخفيه تحت السرير .. ألا يستطيع ذلك .. هذه وسيلة سهلة صنعوا الجميع من قبل .. ولنفرض أيضاً أن جيم لن يستخدم هذا الجبل المجدول .. يكفى أن يخفيه تحت السرير ، وليصبح هذا الجبل المجدول لغزاً عندما يكتشفون مكانه بعد أن يهرب .. وربما سيصبح هذا الجبل المجدول دليلاً . بالنسبة للمحققين الذين يبحثون عن الأدلة !

قلت مستسلماً :

- حسن يا توم .. ولكننا اذا مزقنا ملائات السرير فسنخلق لأنفسنا الكثير من المتاعب مع الحالة سالى .. ولدى فكرة أخرى .. سأقوم بسرقة « حبال الغسيل » التي تنشر عليها الملابس .. ما رأيك ؟ !

فواافق توم على تلك الفكرة التي أوحت اليه بفكرة  
أخرى ، فقال لي موصيا : .

ـ وعليك أيضا أن تسرق قميصا يا هك !  
ـ وماذا سنصنع بهذا القميص يا توم ؟  
ـ سنعطيه لجيم ليكتب على كمه بعض الكلمات  
والذكريات التي يصادفها أثناء سجنه . . . !

ـ ولكن جيم أمنى لا يعرف كيف يكتب . . .  
ـ هذا لا يهم . . . يمكنه أن يكتب بعض العلامات  
. . . أليس في وسعه أن يقوم بذلك . . . ولكن علينا  
أيضا أن نهرب اليه مع القميص قلما . . . قلما مصنوعا  
من يد معلقة أو من قطعة قديمة من الحديد . . . !

ـ ولماذا نستخدم معلقة أو قطعة قديمة من الحديد  
في صنع القلم . . . أليس من الأفضل والأسرع أن نصنع  
قلما من ريشة تخليها من جناح أحد الطيور !؟ . . .

ـ هاه . . . يا لك من غبي . . . ان المساجين  
يوضعون في سجون مغلقة لا تطير فيها الطيور رائحة

غادية حتى يخلعوا ريشة من أحد أجنحتها . . . أنهم دائمًا  
يصنعون أقلامهم من بقايا شمعدان نحاسي قديم أو شيء  
مثل ذلك . . . وقد يستغرق منهم هذا العمل شهوراً  
وشهوراً . . . لأنهم يبردون المعدن بعكه في الحاطن إلى  
أن يتم صنع القلم في النهاية . . . وحتى لو كانت لديهم  
ريشة من جناح أحد الطيور ، فلن يستخدموها كقلم  
للكتابة . . . لأن هذه الطريقة غير شائعة بين  
المساجين . . . !

- طيب . . . وكيف سيستخدم جيم القلم في  
الكتابة دون أن يكون لديه حبر . . . !

- بعض المساجين يصنعون حبراً من صدأ الحديد  
المخلوط بالدموع . . . ولكن مثل هذا النوع من الحبر  
مستخدم كثيراً بواسطة النساء السجينات . . . أما الخبراء  
من الرجال المسجونين فيستخدمون دماءهم كحبر  
للكتابة . . . وفي استطاعة جيم أن يفعل ذلك . . . فعندما  
تكون لديه الحاجة لارسال رسالة سرية غامضة ، ليبلغ  
فيها العالم بالمكان الذي يقع فيه سجنه ، أو أية رسالة

آخرى من هذا القبيل ، فان عليه أن يكتب هذه الرسالة  
على سطح قطعة من الصفيح ويلقىها من النافذة ..  
بعض المشهورين من المساجين كانوا يفعلون ذلك ..  
وهي طريقة جيدة في الوقت نفسه ..

- ولكن جيم ليس لديه قطع من الصفيح تصلح  
للكتابة على سطحها ..

- هذه ليست مشكلة عويصة .. يمكننا أن  
نهرب إليه بعض قطع الصفيح .. !

- ولكن ما فائدة هذه الرسائل التي سيكتبهما  
جيم على قطع الصفيح .. ؟!

- قد لا تكون هناك أية فائدة على الاطلاق .. بل  
ربما ستتضيّع وقتك كله في محاولة قراءة ما كتبه أحد  
السجناء على قطعة من الصفيح .. !

توقف توم عن الكلام عندما سمعنا صوت النفير  
المصنوع من قرن أحد الحيوانات ، معلنا حلول موعد  
تناول طعام الافطار .. فأسرعنا عائدين إلى البيت ..

وبعد ذلك قمت بسرقة ملامة وقميصا أبيض كانا  
منشورين على جبل الفسيل .. ووضعت هذه  
المسروقات في حقيبة قديمة .. ثم ذهبتنا إلى الغابة  
وأحضرنا « النار الثعلبية » ووضعنها في الحقيبة  
أيضا ..

وأخذنا نراقب المكان جيدا حتى تأكد لنا عدم  
وجود أي شخص في فناء البيت ، وعندئذ تسليت توم  
وضع الحقيبة في العشة الملاصقة للكوخ ، بينما توليت  
أنا أعمال المراقبة ..

وجاءنى توم بعد أن خرج من العشة وقال بشبات :  
ـ الآن أصبحنا مستعدين بكل شيء ، فيما عدا  
الأدوات التي سنتعملها في حفر النفق .. !

فقلت لأذكره بالأشياء والأدوات الزراعية الموجودة  
بالعشة :

ـ لا تكفينا هذه الأدوات الموجودة بالعشة ..

فضحك ساخراً وقال :

ـ يا هك فين ! .. هل سمعت من قبل أن سجيننا  
كان لديه جاروف وعتلة من الحديد .. وهل هذا  
معقول .. ان مثل هذا السجين قد يكون لديه أيضا  
مفتاح السجن .. هل هذا معقول ؟ !

ـ طيب .. لنفرض أننا لن نستخدم الجاروف  
والعتلة الحديدية .. كيف سنحفر النفق .. !

ـ سنستخدم السكاكيں ! .. اننا في حاجة الى  
سكنين .. !

ـ هذه فكرة غبية جداً يا توم .. هل سنحفر  
النفق بالسكاكيں ؟ !

ـ لا يهم اذا كانت هذه الفكرة غبية او ذكية ..  
فجميع المساجين قد استخدمو السكاكيں في حفر  
أنفاقهم .. كانوا يحذرون بالسكاكيں ليس في التربة  
الترابية الهشة فقط ، بل وفي الصخور الصلدة . أيضا  
.. وكان هذا العمل يستغرق في العادة فترات طويلة  
جداً .. هناك مثلاً ذلك السجين الذي كان محبوساً في

قلعة دى ايف بميناء مارسيليا بفرنسا .. لقد حفر  
لنفسه نفقا هرب منه .. هل تدري ما هو الزمن الذى  
استغرقه حفر هذا النفق ؟ ..

- لا أدرى .. ربما استغرق شهرا ، أو شهرين  
ونصف .. !

- هه .. لقد قضى هذا السجين سبعة وثلاثين  
عاما حتى انتهى من حفر النفق الذى امتد من فرنسا  
حتى الصين ! .. هذه هى الطريقة المثلث لحفر الانفاق  
التي يهرب منها المساجين .. !

- لنفترض .. ولكن جيم لا يعرف أحدا فى  
الصين .. !

- وهل تظن أن السجين الفرنسي كان يعرف فى  
الصين أحدا ؟ .. هذا لا يهم .. !

- وهو كذلك يا توم .. ولكنني أرجوكم أن تتذكروا  
أن جيم رجل عجوز .. ولا يمكنه البقاء حيا حتى تنتهي  
من حفر النفق بالسكاكين بعد سبعة وثلاثين عاما ..  
ليخرج بعد ذلك حررا فى الصين ..

- ليس من الضروري أن يخرج في الصين ..  
يمكنه أن يخرج من النفق في نيو أورليانز .. كما أن  
هناك شيئاً أريد أن أقوله .. فليس من الضروري أن  
نستمر في الحفر لمدة سبعة وثلاثين عاماً .. إن بوسعنا  
أن ننتهي من حفر النفق بأقصى سرعة وفي أقصر وقت  
ممكن ، ولكن علينا أن نتظاهر بيمنا وبين أنفسنا ، أننا  
قد قضينا في الحفل سبعة وثلاثين عاماً . فما رأيك ؟!

وعندئذ تنهدت قائلاً :

- هذا كلام معقول جداً .. وأنا شخصياً لن يمكنني  
أن أتظاهر بيمني وبين نفسي ، أنني قضيت في حفر النفق  
خمسين أو حتى مائة سنة .. سأذهب فوراً لاحضار  
السكيتين !

فقال توم :

- بل أحضر ثلاثة سكاكين .. إننا نريد سكيناً  
إضافية لاستخدامها كمنشار !

**فقلت وقد أوشك صبرى أن ينفد :**

- توم بحق السماء .. . وإذا كان هذا غير مخالف  
للنظام أو غير مخالف للدين .. . هناك منشار قد يم  
ضىء ملقي فوق السور .. . يمكننى أن أحضره لك اذا  
كنت تريده حقاً أى منشار .

**فقال توم بصوت يائس :**

- يبدو أنك لن تتعلم شيئاً يا هك مهما حاولت  
أن أعلمك .. . اذهب فوراً وأحضر السكاكين الثلاث كما  
قلت لك !

**وذهب بـ .. . وأحضر السكاكين !**

## الفصل السابع عشر

### الحفر ..

وبعد أن تأكّدنا من أن الجميع قد ذهبوا للنوم في تلك الليلة ، غادرنا غرفتنا من خلال النافذة ، وهبّطنا على السقف المنحدر ، ثم على عمود النور ، واتجهنا مباشرة إلى العشة . ودخلنا وأغلقنا الباب من الداخل .

وعلى الفور أخرجنا « النار الشعلبية » ، وبدأنا عملية تجهيز أرض العشة لحفر النفق الموصل إلى الكوخ . ثم بدأنا بعد ذلك عملية حفر الأرض بالسُّكاكين .

وأخذنا نحفر ونحفر بالسُّكاكين إلى أن انتصف

الليل وشعرنا بالتعب والارهاق الشديد ، وتوقفنا عن الحفر عندما صارت أيدينا تؤلمنا غاية الألم وأصبح من المستحيل مواصلة الحفر باستخدام السكاكين . . فبعد كل هذا العناء والألم ، تبين لنا أن السكاكين لا تصلح لحفر النفق بهذه الطريقة . وارتيمينا على الأرض منهكين .  
وعندئذ قلت لتون :

- هاه . . ما رأيك يا توم . . ماذا نفعل الآن ؟ !

فقال توم بعد أن فكر قليلا :

- سأخبرك . . ليس أمامنا سوى حل واحد . .  
أنه حل غير سليم وغير أخلاقي ، وكنت أريد أن أتجنبه  
وأتحاشاه . . ليس أمامنا سوى أن نستخدم الجاروف  
والعتلة الحديدية . . بشرط أن نتظاهر بيننا وبين  
أنفسنا أننا نستخدم السكاكين !

عندئذ صحت فرحا :

- هذا هو الكلام المعقول . . وأنا شخصيا لا أهتم  
بالجانب الأخلاقي لهذا الخل . . ان الجاروف والعتلة

المحديدية هما أصلح الأدوات لحفر النفق الذى سيؤدى  
إلى اطلاق سراح جيم ..

فقال توم بعزم :

ـ ان لنا بعض العذر لاستخدام العتلة المحديدية  
في الحفر مع التظاهر بأنها سكين .. والآن .. أنا لا  
أريد أن أقف هكذا وأرى جميع القواعد وهي تتحطم  
 أمامي .. اعطني السكين !!

قال توم ذلك وهو يمسك بسكينه في يده ..  
لذلك لم أجد أمامي الا سكيني فأعطيتها له .. فأخذها  
مني وألقاها على الأرض ، وقال آمراً :

ـ قلت لك اعطني السكين !!

احتربت قليلاً ولم أدر ماذا أفعل .. ولكنني فهمت  
أخيراً أن توم كان يريد أن أعطيه العتلة المحديدية ،  
وأتظاهر بأنى أعطيه السكين ، وفي الحال ، أعطيته  
العتلة التي كانت مركونة على أحد جدران العشة ..

فأمسكها في يده .. وجلس على الأرض .. وبدأ يحفر  
بهمة دون أن ينطق كلمة واحدة .

وأمسكت بالجاروف وببدأت أرفع التراب .. ثم  
تبادلنا الأدوات فأعطاني العتلة الحديدية وأعطيته  
الجاروف .. وواصلنا الحفر على هذا النحو لمدة نصف  
ساعة ثم توقفنا لأننا كنا منهكين .. وخرجنا من العشة  
وأغلقنا بابها من الخارج ، ثم توجهنا إلى البيت .

دخلت أنا من الباب الخلفي ، وصعدت درجات  
السلم حتى وصلت إلى الغرفة .. وعندي نظرت من  
النافذة ، شاهدت توم وهو يحاول أن يتسلق عمود  
النور ليقفز منه إلى السطح المائل ليدخل بعد ذلك من  
خلال النافذة .. ولكن جميع محاولاته قد باهت بالفشل ،  
لأن يديه كانتا تؤلمانه ، وسمعته يقول :

ـ لا فائدة .. يبدو أن تنفيذ هذه العملية أصبح  
صعباً ومستحيلاً .. ماذا يألك .. أليس لديك فكرة  
لتساعدني على الخروج من هذا المأزق .. !

فقلت له متربداً :

- نعم لدى فكرة سهلة ولكنها قد تكون مخالفة  
للقواعد الأخلاقية ٠٠ ما رأيك أن تصعد على درجات  
السلم ، وتنظاهر بينك وبين نفسك أنك تتسلق عمود  
النور !٩ ٠٠

واقتنع توم بهذه الفكرة ٠٠

وفى صباح اليوم التالى ، قام توم بسرقة ملعقة  
وشمعداناً صغيراً من النحاس ليصنع منها القلم الذى  
سنهر به الى جيم ، كما سرق أيضاً ست شمعات ٠٠ أما  
أنا فقد سرقت ثلاثة قطع من الصفيح ٠٠ وقال توم ان  
قطع الصفيح هذه غير كافية لكتابه الرسائل التى  
سيلقيها جيم من نافذة السجن ٠٠ فقلت له انها كافية  
للاستخدام فى هذه المهمة ، فعندما يقوم جيم بالقاء  
الرسائل المكتوبة على قطع الصفيح من النافذة ٠٠ فان  
هذه الرسائل ستتسقط على الأعشاب التى تنبت بجوار  
الكون ، وعندئذ يكون بامكاننا أن نلتقطها ونعيدها

الى ليكتب عليها من جديد .. وهكذا .. واقتضى توم  
بتلك الفكرة !

وفي الساعة العاشرة من تلك الليلة ، وبعد أن  
تأكدنا من أن الجميع قد خلدوا إلى النوم .. غادرنا  
الغرفة من خلال النافذة هابطين على السقف المائل ثم على  
عمود النور ، واتجهنا فوراً إلى العشة ، وأمسكنا  
بالجاروف والعتلة الحديدية ، وببدأنا نحفر بهمة  
شديدة لمدة ساعتين ونصف ساعة إلى أن انتهينا تماماً  
من حفر النفق .. !

وكانت فتحة النفق تقع تماماً تحت السرير الذي  
ينام عليه جيم بداخل الكوخ .. وزحفنا عبر النفق  
وأصبحنا بداخل الكوخ حيث كان جيم نائماً ..  
وأشعلنا شمعة .. وتبين لنا على الفور أن جيم يبدو في  
صحة جيدة ، فأيقظناه بلطف وبالتدريج حتى لا يفاجأ  
بوجودنا .. ولكنه أصبح في غاية السرور عندما رأانا  
أمامه .. فأخذ يشكرنا ويعرف بفضلنا بكلمات طيبة ..

وطلب منا جيم أن نبحث عن أداة لكسر السلسلة

التي تربط قدمه لينطلق هاربا دون أن يضيع الوقت . . .  
ولكن توم أقنعه بأن هذه الطريقة تخالف القواعد  
الصارمة . . . وأخذ يشرح له الخطط التي وضعها لإطلاق  
سراحه طبقا للقواعد والأصول التي يتبعها الخبراء . . .  
وأبدى له استعداده لتغيير هذه الخطط أو تعديلها متى  
كانت هناك ضرورة لذلك .

وطمأنه توم بأن كل شيء على ما يرام ، ولا داعي  
للعجلة ولا مكان للمخوف . . . وعلى هذا فقد اطمأن جيم  
وببدأ يتحدث عن ذكريات الماضي وعن المغامرات التي  
قمنا بها . . . كما شرع توم في القاء العديد من الأسئلة  
. . . وقال جيم أن العم سيلاس فلبس كان يزوره كل يوم  
أو يومين ليشترك معه في أداء الصلوة . . . وأن العادة  
سابي تحضر إليه أيضا لطمئن على راحته وتقديم اليه  
مزيدا من الطعام . . . وأنني جيم على العم والخالة ثناء  
طيبا . . . وقال انهم عطوفان ورحيمان ويستحقان كل  
شكرا وعرفان . . .

وهنا طرأت فى ذهن توم فكرة جديدة ، فقال  
فرحا :

- شىء عظيم .. لا بد أن نستخدم كلًا من العم  
والخالة فى حمل الرسائل اليك دون أن يشعر أى  
منهما بذلك .. انى أعرف تماماً كيف أتسول تنظيم  
وتنفيذ هذه الخطة !

فصحت مذعورا .

- لا يا توم .. أرجوك .. لا تفعل شيئاً مثل  
ذلك .. ان هذه أغبى فكرة سمعتها فى حياتى .. !  
ولكنه لم يهتم بما قلت وتجاهلنى .. و كانت هذه  
هي طريقة المفضلة عندما تطراً مثل هذه الأفكار على  
ذهنه ويصمم على تنفيذها ..

وأخذ توم يحكي لجيم تفاصيل خططه .. وأخبره  
بأنه سوف يرسل اليه العجل المجدول على شكل سلم  
بداخل كعكة كبيرة سيحضرها اليه الخادم نات .. وأن  
عليه أن يخرج العجل من الكعكة دون أن يلاحظ نات  
..

وقال توم أيضا انه سيرسل الى جيم بعض الاشياء  
الصغريرة بداخل جيب المحفظ الذى يرتديه العم  
سيلاس ، وأن على جيم أن يقوم بسرقة هذه الاشياء دون  
أن يلاحظ العم ذلك .. كما قال أيضا انه سيتعلق بعض  
الرسائل بأربطة المريلة التى ترتديها الحالة ، ليلتقطها  
جيم عندما تحضر الحالة لزيارته .. كما طلب من جيم  
أن يكتب مذكراته على قماش القميص وأن يستخدم دمه  
كعبر للكتابة .. إلى آخر مثل هذه الأفكار والخطط  
الغريبة ..

وبطبيعة الحال لم يقتنيع جيم بهذه الأفكار  
والخطط ، ولكنه قال لتوم انه سيعاول أن يقوم بتنفيذها  
.. وكانت لدى جيم كمية من الطباق ، فحشونا الباب  
وأخذنا ندخن ، وقضينا وقتا سعيدا ..

وبعد فترة خرجنا من الكوخ زاحفين خلال النفق ،  
واتجهنا إلى غرفتنا بالبيت .. وكان توم في قمة السعادة  
والاحساس بالراحة والفخر .. وقال لي ان مثل هذا  
العمل يعتبر من المغامرات الكبرى .. وأننا سنظل نذكره

طوال حياتنا .. وبوسعنا أن نستمر فيه لسنوات طويلة .. بل وندع مهمة تحرير جيم واطلاق سراحه لاولادنا بعد أن نموت .. وأكد توم أن جيم نفسه سيحب هذا العمل بعد أن يعتاد عليه .. كما أكد أن قصة هذه المغامرة ستتشاءم بين الناس بعد ثمانين سنة .. وعندها نصبح جميعاً من المشهورين !!

وفي صباح اليوم التالي ، ذهبنا ناحية كومة من الاخشاب كانت موضوعة بأقصى فناء البيت واختبأنا خلفها . وقام توم بتكسير الشمعدان النحاسي الى قطع صغيرة ووضعها في جيبيه مع الملعقة .. ثم توجهنا بعد ذلك الى المطبخ ..

ودون أن يشعر نات بشيء ، قام توم بوضع قطعة صغيرة من الشمعدان بداخل رغيف الخبز المخصص لجييم .. ثم ذهبنا الى الكوخ في صحبة نات الذي حمل الطعام الى جييم .. كنا فرید أن نطمئن الى كيفية سير العمل !!

وقد تم العمل بالفعل على خير وجه كان يريده

توم ، فعندما قضم جيم رغيف الخبز ، أطبت أسنانه على قطعة النحاس المخبأة بداخل الرغيف ، وأوشكت أن تتحطم .. وعندما فهم جيم أن قطعة النحاس هذه مهربة إليه ، تظاهر بأنه قضم قطعة من الحجر ، حتى لا يفهم نات أي شيء من هذه الأسرار والأشياء الغامضة .. ولكن جيم أصبح لا يضع أي طعام في فمه قبل أن يفرز الشوكة فيه مرة أو اثنتين ليتأكد من عدم وجود أي شيء آخر من تلك الأشياء المخبأة ..

وكان قد نسينا أن نغلق باب العشة في الليلة السابقة .. لذلك فقد فوجئنا بظهور كلبين يخرجان من تحت سرير جيم بعد أن تسللا إلى الكوخ عبر النفق .. ثم ظهر كلبان آخران .. ثم ثلاثة كلاب وهكذا إلى أن أصبح بداخل الكوخ أحد عشر كلبا ولم يعد هناك مجال للتنفس ..

ارتوى نات على الأرض راكعا على ركبتيه بين الكلاب وقد أصابه الذعر فأخذ يشن وينوح كما لو كان يحتضر .. وقال وهو يرتعش :

الساحرات الساحرات

وفي هذه اللحظة فتح توم باب الكوخ وألقى  
بقطعة من اللحم خارج الكوخ ، فاندفعت الكلاب كلها  
نحوها .. وخرج توم من الكوخ لحظة ، أغلق فيها باب  
العشة ، وعاد إلى الكونغ مرة أخرى ..

انحنى توم على نات وأخذ يواسيه ويطيب خاطره ،  
ويسأله في شفقة عما اذا كان قد تخيل شيئاً من  
الأشياء التي تحدثها له الساحرات ..

**وعندئذ وقف نات مذهولا وقال :**

## فال توم ناصحاً :

- أتدرى لماذا جاءتك الساحرات الشريرات فى هذا  
الوقت المبكر وانت تحمل طعام الافطار لجيم .. انهن  
بساطة يشعرن بالجوع .. وما عليك الا أن تصنع لهن  
« كعكة الساحرات » .. !

فتساہل نات حائزا :

- ولكنني يا ماستر سيد .. لا أعرف كيف تصنع  
كعكة الساحرات هذه .. لم أسمع عن شيء مثل ذلك  
من قبل ..

- لا تهتم .. سوف أصنعها لك بنفسى .. !

فال توم پشات :

- لا داعي لمثل ذلك .. سوف أصنع لك كعكة الساحرات لأنك انسان طيب .. وتعاملنا باحترام ..

ولكن هناك بعض الشروط لابد أن تنفذها بدقة .. فيجب أن تكون حريصاً وتحتفظ بهذا السر .. وعندما تراها قادمين اليك في المطبخ عليك أن تعطينا ظهرك ، وعليك أن تتظاهر بأنك لا تراها ولا ترى ما سوف نضعه بداخل الكعكة .. وعندما تعطى الكعكة لجيم ، أدر وجهك عنه وأبعد عينيك حتى لا تراه وهو يفرغ الكعكة من محتوياتها .. يجب أن تفعل كل هذه الأشياء بدقة ، والا فسوف تتعرض إلى متاعب الساحرات وغضبهن عليك .. كما أن هناك شيئاً آخر .. اياك أن تلمس الأشياء الخاصة بالساحرات التي ستتووضع في الطعام الخاص بتوم بين حين وآخر اياك أن تلمسها .. !

### قال نات موافقاً :

- كيف المسها يا مستر سيد .. هل أنا مجنون حتى أفعل شيئاً مثل ذلك .. اننى لن المس باصبى أي شيء يخص الساحرات ولو أعطونى مليون دولار !!

## الفصل الثامن عشر

### تسع ملاعق أم عشرة .. والكعكة ذات المibel المجدول ..

أعدنا لكل شيء عدته .. وتوجهنا الى كوم القاسم  
والمهملات الذى يقع خلف فناء البيت .. حيث عشرنا  
على وعاء قديم من الصفيح رأينا أنه يصلح لعمل الكعكة  
فأخذناه وذهبنا به الى غرفة المخزين وملأناه بالدقيق ..  
وعشرنا على مساميرين كبيرين قرر توم أنهما يصلحان  
للسجين .. حيث يتمكن من استخدامهما فى حفر اسمه  
وذكرياته وأحزانه على جدران السجن ..

وأسقطنا أحد المسارين بجحيب المريلة الخاصة  
بالحالة سالي حيث كانت المريلة معلقة على أحد المقاعد .  
كما شبكتنا المسار الثاني بحافة القبعة الخاصة بالعم  
سيلاس والتي كانت موضوعة على المنضدة .. وقد قمنا  
بذلك بعد أن عرفنا عن طريق الأطفال بأن العم سيلاس  
والحالة سالي سيدصلان إلى الكوخ لزيارة جيم . فانتهزنا  
هذه الفرصة لتوصيل المسارين إليه ..

وعندما كنا نتناول طعام الافطار ، وضع توم ملعقة  
في جيب معطف العم سيلاس الذي لم يشعر بذلك ..  
وكانـتـ الحـالـةـ سـالـيـ غـيرـ مـوـجـودـةـ ولـكـنـهاـ حـضـرـتـ بعدـ لـحظـةـ  
وـكـانـتـ غـاضـبـةـ مـعـمـرـةـ الـوـجـهـ مـتـعـكـرـةـ الـمـازـجـ ،ـ وـقـالـتـ للـعمـ  
سيلاـسـ فـيـ يـائـسـ :ـ

ـ لـقـدـ بـحـثـتـ عـنـهـ فـيـ كـلـ مـكـانـ ..ـ اـنـىـ أـكـادـ أـجـنـ ..ـ

ـ أـيـنـ اـخـتـفـىـ قـمـيـصـكـ الـآخـرـ ..ـ ؟ـ !ـ

فـقـالـ الـعمـ سـيـلاـسـ :

ـ هـذـاـ شـىـ غـرـيـبـ لـاـ أـسـتـطـيـعـ أـنـ أـفـهـمـ ..ـ وـلـكـنـ

ـ مـتـأـكـدـ مـنـ أـنـنـىـ قـدـ خـلـعـتـ هـذـاـ التـميـصـ ..ـ

**وقالت الحالة :**

— طبعا خلعته .. وغسلناه .. ونشرناه بالأمس  
على حبل الغسيل .. لقد رأيته بنفسه .. كذلك فقد  
اختفت احدى الملاعق .. كان لدينا عشر ملاعق ..  
انها الآن تسع ملاعق .. فلو افترضنا ان البقرة قد  
أكلت القميص وابتاعته .. فانها لا تستطيع ان تتبع  
الملعقة أيضا .. هذا شيء أكيد .. وليت الأمر قد اقتصر  
على ذلك .. وإنما هناك أشياء أخرى ..

**فقال العم سيلاس مندهشا :**

— ما هذا .. هل اختفت أشياء أخرى ..!

**وقالت الحالة على الفور :**

— اختفت سبعة شمعات .. ربما تكون قد أكلتها  
الفئران التي تمرح في البيت بدون أن تفتك في أن تقوم  
بسد جحورها .. لقد طلبت منك ذلك أكثر من مرة ..  
ومع ذلك اذا كانت الفئران قد أكلت الشمع .. فلا يمكن  
أن نتهمها باكل الملعقة .. أين اختفت الملعقة ..!

وقال العم :

- حاضر يا سالي .. سأقوم غدا بسد جميع  
الجحور والشقوق التي تعيش بداخلها الفثran ..  
وهنا دخلت الخادمة ليزا وقالت مدعورة :  
- سيدتي .. لقد اختفت احدى ملايات السرير ..

فصاحت الحالة :

- يا للسماء .. وأين اختفت هذه الملاة  
أيضا .. !

وهنا قال العم سيلاس وهو يشعر بالأسف :

- أعدك يا سالي أنني سأقوم بسد جحور الفثran  
اليوم .. ولن أؤجل هذا العمل إلى الغد ..

فصاحت به الحالة :

- الزم الصمت .. هل تظن أن الفثran قد  
أكلت ملاة السرير أيضا .. !

**ونظرت الحالة إلى الخادمة ليزا وقالت لها :**

- وأين اختفت تلك الملاعة يا ليزا .. ؟

- لا أدرى يا سيدتي .. لقد كانت معلقة بالأممه  
على جبل الغسيل .. ولكنها غير معلقة الآن !

**قالت الحالة بياس :**

- هذه هي نهاية العالم .. لا بد أن القيامة  
ستقوم الآن فورا .. ان هذه الأشياء لم يحدث مثلها  
طوال حياتي .. لقد اختفى القميص .. ثم اختفت  
الملاعة .. واختفت ملعقة وست شمعات .. !

**وأضافت الخادمة ليزا :**

- يا للمصيبة .. لقد اختفى أيضا الشمعدان  
النحاسي !

**فصرخت فيها الحالة قائلة :**

- أغربى عن وجهى والا أقيمت بك على الأرض .. !!  
وهكذا وصلت الحالة سالى الى قمة الحيرة والغضب

وفقدت أعضائها تماماً .. وأخيراً .. وضع العم سيلاس يده فجأة في جيب معطفه .. وأخرج الملعقة من جيبه وهو يشعر بالدهشة ..

**فقالت الحالة سالي على الفور :**

- تماماً مثلما توقعت .. لقد كنت تخفي الملعقة في جيبك طول الوقت .. ومن المحتمل أنك أخفيت الأشياء الأخرى أيضاً ..

**فقال العم معتلراً :**

- والله لا أعلم يا سالي كيف كان ذلك .. !

**وصاحت الحالة فيينا جميعاً :**

- اذهبوا كلّكم .. ابعدوا عنى .. ولا تعودوا مرة أخرى قبل أن يعود السلام إلى عقلي ويعود الهدوء إلى قلبي !

وخرجنا جميعاً من غرفة الطعام .. وبينما كنا نجتاز غرفة المعيشة ، مد العم سيلاس يده إلى المنضدة وأخذ قبته .. وسقط المسamar الذي كنا قد شبكتاه

بحافة القبعة .. فمد العم يده الى الارض ، والتقاط  
المسمار .. وببساطة شديدة وضعه على المنضدة !

وعندئذ قال لي توم :

- لن تكون هناك فائدة من استخدام العم سيلاس  
في نقل رسائلنا الى جيم .. انه لا يصلح لذلك كما  
رأيت .. ويجب ألا نعتمد عليه في شيء من هذا  
القبيل مرة أخرى ..

واختار توم في موضوع الملعقة .. وأخذ يفكر  
قليلًا ثم اهتدى الى فكرة .. وأخبرني بما علينا أن  
نفعله .. فذهبنا الى المطبخ .. وأخرجنا السلة التي  
تحتفظ فيها الحالة بالملاعق .. وانتظرنا ..

وبمجرد أن رأينا الحالةقادمة نحونا .. ظاهر  
توم بأنه يعد الملاعق بعد أن قام بصفها في صرف واحد  
وقدمت أنا باخفاء احدى الملاعق .. وقال توم للحالة :

- ماذا يا خالتى .. ان عدد الملاعق تسعملاعقة  
فقط وليس عشر ملاعق كما تقولين ..

**فقالت الحالة :**

— اذعيب والعب بعيدا ولا تغيرنى .. لقد عدت  
الملاعق بنفسى وووجدتها عشرة ..  
ويبدو ان الحالة قد فقدت صبرها وأعصاها مرة  
أخرى حين عدت الملاعق وووجدتتها تسعا .. فقلت وهي  
لا تصدق نفسها :

— يالها من مصيبة .. انها تسعة ملاعق فقط ..  
لماذا يا ربى تحصل مثل هذه الاشياء الغريبة .. سأقوم  
بعد الملاعق مرة أخرى ..

وهنا وضعت الملعقة في السلة بسرعة بدون أن  
تلحظ الحالة حركة يدي .. وعدت الملاعق بعنابة ..  
واحدة بعد أخرى .. فووجدتتها عشرة .. فقلت وهي  
تشعر بشيء من الراحة :

— الحمد لله .. انها عشر ملاعق الآن .. !

**وعندئذ قال توم :**

— لا أعتقد ذلك يا خالتى .. انها تسعة ملاعق  
نقط !

- كفى غباء .. لقد رأيتني وأنا أعدها ..  
- نعم رأيتك وأنت تدعين تسح ملاعق وليس  
عشرًا كما تقولين ..

- أذن سأعدها مرة أخرى .. !

وبسرعة التقطت من السلة ملعقة قبل أن تبدأ  
الحالة في عددها .. وقامت الحالة بعد الملاعق ببطء ..  
ملعقة ملعقة .. فوجدها تسعا .. ففقدت أعصابها  
وأخذت ترتعش وقد أمشكت على الجنون ..

وأخذت تعد الملاعق مرات ومرات .. حتى احتلطر  
عليها الأمر في النهاية ، لدرجة أنها أخطأت وقامت بعد  
السلة نفسها واعتبرتها ماعقة .. وهكذا عدت الحالة  
الملاعق ست مرات .. فوجدها تسع ملاعق في ثلاثة  
مرات ، وعشرون ملاعق في المرات الثلاث الأخرى ..

وأخيراً أمشكت الحالة بسلة الملاعق والقتها على  
الأرض ، وطربتنا من المطبخ بعد أن قال لنا لا تريها  
وجهينا قبل الظهر ، والا فانها ستقوم بسلح جلودنا ..  
وفى أثناء ثورتها ، أسقطنا الملعقة فى جيب

هريتها .. ونحن على يقين أن جيم سيرأخذ الملعقة  
والمسمار عندما تزوره الحالة قبل الظهر .. وهذا ما حدث  
بالفعل .. !

وفي تلك الليلة وضعنا ملاعة السرير مرة أخرى  
على حبل الغسيل .. وسرقنا ملاعة أخرى من الدولاب  
ثم أخذنا نعيده الملاعة الى الدولاب ونأخذ الملاعة المنشورة  
على حبل الغسيل لعدة أيام تالية ، حتى اختلط الأم  
 تماماً بالنسبة للخالة ، وأصبحت لا تعرف على وجه  
اليقين عدد الملاعات التي تمتلكها .. بل وأعلنت بصراحة  
انها لن تهتم بعدد الملاعات أيا كان .. ولا كيف تختفي  
الملاعات ثم تظهر .. وقالت انها بذلك تنقد حياتها  
بدلاً من أن تموت من شدة الحسراة والخيرة ..

وهكذا أصبح الموقف سليماً في النهاية ، بالنسبة  
القميص والملاعة والملعقة والشماعات السست .. وكان  
يضل ذلك راجعاً الى البقرة والفتىان والى الحيلة التي  
معناها في خلط عدد الملاعق والملاعات .. أما بالنسبة  
ل الشمعدان النحاسي ، فلم يكن موضوعه ذا أهمية  
وصرعان ما نسي الجميع أمره ..

أما المشكلة الحقيقة ، فقد صادفتنا عند قيامنا  
بصنع « كعكة الساحرات » التي كنا نريد تهريب الجبل  
المجدول عن شكل سلم بداخلها .. لقد استغرق صنعها  
عدة أيام ، وبذلنا فيه مزيداً من الجهد .. لقد اضطررنا  
للذهاب إلى غرفة الخزين ثلاث مرات متتالية لتحصل  
على عبوات من الدقيق .. وقد احترقت العجينة في  
كل مرة محدثة دخاناً أسود يكاد يعم العيون ..  
كنا نريد أن يكون السطح العلوي للكعكة محمراً بلون  
داكن جداً - حتى يخفى الجبل المجدول المخبأ بداخل  
الكعكة .. وفي كل مرة كانت الكعكة نفسها تحترق  
هي وسطحها العلوي طبعاً ..

وأخيراً عثرنا على الطريقة الصحيحة لصنع كعكة  
ذات سطح داكن اللون ، وتكون كافية في الوقت نفسه  
لإخفاء الجبل المجدول .. وقمنا بزيارة جيم في الليلة  
التالية وأخذنا معنا ملاعة السرير .. وأخذنا نمزق  
الملاعة إلى شرائط طويلة جدّلناها في شكل ضفيرة  
متينة .. وقبل أن تشرق شمس الصباح ، كنا قد  
صنعنا جبلاً مجدولاً قوياً يمكن أن يستخدم في الشنق

من شدة متأنته وطوله .. وظاهرة هنا وبيننا وبين أنفسنا  
بأن صناعة هذا الجبل المجنول قد استغرقت منا تسعه  
أشهر كاملة !

وكنا قد قررنا أن نقوم بطبعي الكعكة في الغابة  
بعيدا عن الأنظار .. لذلك فقد حملنا معنا معداتنا  
وذهبنا إلى الغابة في صباح اليوم التالي ..

وما أن شرعنا في عمل كعكة الساحرات بالطريقة  
الصحيحة ، حتى تبين لنا أن الجبل المجدول الذي  
صنعناه يكفي وحده لصناعة أربعين كعكة .. وما يتبقى  
منه بعد ذلك يكفي لعمل كميات هائلة من الشوربة.  
وما يمكن أن تخيله من أطعمة أخرى .. وعلى هذا  
فقد قررنا أن نكتفى بقطعة صغيرة من هذا الجبل  
ونرمي أغلبها ! ..

وكنا قد استولينا على « مدفأة السرير » الخاصة  
بالعم سيلاس .. وهي عبارة عن كانون مصنوع من  
النحاس له غطاء ، كان العم يستعملها لتدفئة السرير

في الليل الباردة .. وكانت هذه المدفأة خير وعاء  
يصلح لصنع الكعكة ..

وملأنا المدفأة التحاسية بعجينة الكعكة ووضعنا  
بداخلها قطعة الجبل المجدول ، وغطيناها وأشعلنا  
النار تحتها ، ووضعنا فوق الغطاء أيضا بعض الأعشاب  
المشتعلة لنضمن تحمير السطح العلوى للكعكة  
بلون داكن ..

وبعد نحو خمس عشرة دقيقة من الطهي ومراقبة  
النار .. نبحثنا في صناعة كعكة الساحرات .. وكان  
منظرها الخارجي معمولا إلى حد بعيد ..

وهكذا حملنا الكعكة إلى البيت .. وأدار نات  
عينيه عندما دخلنا إلى المطبخ ، ووضعنا كعكة  
الساحرات ضمن محتويات صينية الطعام التي ستتقدم  
إلى جيم في الروبيبة التالية .. كما وضعنا أيضًا قطع  
الصفيف الثلاث التي سيقوم جيم بالكتابة عليها ..

وبعد أن قدم نات صينية الطعام إلى جيم ، تحاشى  
النظر إليه .. وقام جيم بتكسير الكعكة بنفسه ..

· وخرج منها قطعة العجل المجدول ، وخبأها يداهـ  
· قش المرتبة الموضوعة على السرير .. ثم قام جيـم بعد  
· ذلك بنبش بعض العلامات على قطع الصفيح ، وألقاها  
· من نافذة الكوخ !!

## الفصل التاسع عشر

### القيام ببعض الأعمال الفظيعة !

وكانت صناعة الأقلام التي سيكتب بها جيم رسائله  
تعتبر عملاً صعباً وشنيعاً للغاية . . . وكذلك كانت  
صناعة المنشار . . .

وقال لنا جيم ان كتابة ذكرياته وأحزانه على  
جدران الكوخ ستعتبر بالنسبة له أصعب الأعمال  
قاطبة . . . ولكن توم أصر على ذلك ، وقال ان كل  
سجين لابد أن يترك مذكراته مدونة ومحفورة على  
جدران السجن . . . وقام توم بكتابه بعض النماذج التي  
يدونها المساجين ، وأخذ يقرأها لنا . . .

● هنا تحطم قلب سجين نبيل .. نساء  
أصدقاؤه ونساء العالم .. !

● هنا عاش سجين كسير القلب .. ألقوا  
به في غيابه هذا السجن العفن لمدة سبع وثلاثين  
سنة !

● هنا مات سجين غريب ، بلا بيت ولا  
أصدقاء ، وتجري في عروقه دماء ملكية ، بعد استمر  
لسبع وثلاثين سنة يعاني المر والهوان .. .  
كان صوت توم يرتعش وهو يقرأ لنا هذه  
النماذج التي كتبها .. وكان ينفعل بشدة حتى خشينا  
أنه قد أصبح بانهيار عصبي .. .

وبعد أن انتهى توم من قراءة تلك النماذج ..  
احتscar في اختيار النموذج الذي سيكتبه جيم على  
جدران سجنه .. لقد كانت كل النماذج جيدة وصالحة ،  
ولذلك فقد قرر توم أن يقوم جيم بكتابتها جميعا ..!  
واعتراض جيم قائلاً بأن كتابة كل هذه النماذج  
على الجدران الخشبية للكوخ قد يستغرق منه أكثر

من عام كامل .. خصوصا وأنه سيستعمل مسمارا  
في حفر الكلمات على ألواح الخشب .. بالإضافة إلى  
أنه لا يعرف الكتابة أصلا ..

ولكن توم طمأنه .. وقال له انه سيكتب الكلمات  
بالقلم ، وأن على جيم أن يحفر الخطوط بالمسمار ..  
وفجأة قال توم :

- ولكن المساجين لا يحفرون ذكرياتهم وأحزانهم  
على الألواح الخشبية .. ان جدران السجون لا تصنع  
من الخشب ، ولكنها تبنى من الصخور والأحجار ..  
لابد اذن أن تقوم باحضار احدى الصخور التي تصلح  
لهذا الغرض !

وأصيب جيم بالذعر .. وقال ان الكتابة على  
الصخر أسوأ بكثير من الكتابة على ألواح الخشب ..  
 وأنه سيقضى بقية عمره حتى ينتهي من كتابة كل هذه  
النماذج .. ولكن توم طمأنه مرة أخرى .. وقال انه  
سيسمح لي بأن أساعد جيم في كتابة ذكرياته  
وأحزانه ..

وأخذ توم يراقبنا - أنا وجيم - ونحن نصنع بعض الأقلام التي سيسخدمها جيم في الكتابة على الصخر . . . وكنا نصنع هذه الأقلام من قطع الشمعدان النحاسي التي جهزها توم بعد تكسير الشمعدان . . . وكنا نعاني صعوبة بالغة في عمل سنون لتلك الأقلام . . .

وقال توم بعد أن برق في ذهنه فكرة جديدة :

- لقد جاءتني فكرة عظيمة سنضرب بها عصفورين بحجر واحد . . . هناك رحى صخرية موجودة بطاحونة الحبوب . . . علينا أن نسرقها فوراً ونحضرها إلى هنا لأنها تحقق لنا غرضين هامين . . . حيث يقوم جيم بحفر ذكرياته على سطحها ، وحيث يمكن أن نستخدمها في بري الأقلام وعمل سنون الأقلام . . . كما يمكن أن نسن بها حواف المنشار . . .

وهكذا ذهبت مع توم لاحضار الرحى الصخرية من الطاحونة . . . وقد عانينا صعوبات عظمى في زحمة الرحى الصخرية الثقيلة من مكانها ، ومحاولة



الرحي الصخرية في طريقها الى الكوخ ..

دحرجتها أو تحريركها .. بل لقد كادت أن تدهمنا  
الرحي وتسقط فوقنا ..

وعندما وصلنا إلى منتصف الطريق إلى الكوخ ؛  
سقطنا منهكين من شدة التعب ، وكان العرق يتتساقط  
منا بزيارة .. ولم نجد أمامنا وسيلة سوى استدعاء  
جيم وابراجه من الكوخ ليساعدنا في هذا العمل  
الشاق !

وقام جيم من فوق سريره .. وفك السلسلة  
من رجل السرير ولفها حول رقبته .. ثم ساعدناه  
في الزحف عبر النفق الذي حفرناه ، وخرجنا به حتى  
موقع الرحي الصخرية .. وساعدت جيم في تحريك  
الرحي ودحرجتها .. بينما وقف توم يلقي اليائسا  
بتعليماته وأوامره .. لقد كان توم أقدر انسان شاهدته  
في حياتي على اصدار الأوامر والتعليمات !

وعندما وصلنا بالرحي الصخرية إلى العشرة  
التي يبدأ عندها النفق الذي حفرناه .. تبين لنا أن  
فتحة النفق ضيقة ولا تتسع لمرور الرحي وعندئذ

تقى جيم وأمسك بالعلة الحديدية ، وحضر لتوسيع  
فتحة النفق حتى أدخلنا الرحى من خلالها ٠٠

وقام توم بكتابه التماذج الخاصة بذكريات  
السجين جيم وأحزانه على سطح الرحى ، وطلب من  
جيم أن يحفر العروض والكلمات باستخدام المسamar  
ومطرقة صغيرة من الحديد ٠٠ وأن يستمر في الحفر  
باحفاء الرحى تحت مرتبة السرير المحسنة بالقشر  
حتى يذوى ضوء الشمعة ٠٠ وعندئذ عليه أن يقوم  
وي躺 عليها ٠

وفي النهاية ساعدنا جيم في ربط السلسلة  
برجل السرير كما كانت من قبل ، وتأهينا للانصراف  
٠٠ ولكن فكرة جديدة برقت في ذهن توم ، فصاح  
فاثلا :

- جيم ٠٠ هل لديك هنا بعض العناكب ٠٠
- الحمد لله ٠٠ ليس لدى عنكبوت واحد  
يا مستر توم !

- هذا لايهم .. سنقوم باحضار بعض العناكب !

- لا .. أرجوك يامستير توم .. انى أخاف من العناكب الى درجة الموت .. وأخاف منها أكثر مما أخاف من الحيات ذوات الأجراس !

وهنا طرأت في ذهن توم فكرة جديدة ، فقال  
بعد لحظة تأمل :

- هذه فكرة جيدة يا جيم .. لكن أين ستحتفظ بها يا جيم !؟

- احتفل بماذا يا مستر توم !!

- بالحية ذات الجرس !

- ولكن لماذا تخاف من الحية ذات الجرس الى  
هذا الحد .. وعلى أية حال يمكنك أن تتخلص من

كل هذا الخوف بعد فترة عندما تعتاد عليها .. إنك تستطيع أن تستأنسها ..

- استأنسها ؟ .. هذا مستحيل !

- لا .. إنه أمر في منتهى السهولة .. جميع الحيوانات يمكن أن تستأنس وتصبح وديعة إذا عاملتها بشفقة وحنان .. ولا يمكن أن يؤذى الحيوان شخصاً يعطف عليه ويعامله برقة .. إن أي كتاب تفتحه تجد فيه هذه المعلومات .. وأنا متأكد من أن الحية ذات الجرس ستحبك وتنام معك على سريرك .. بل وستلتف حول رقبتك لتداعبك .. وستضع رأسها بداخل فمك !

- أرجوك يا مISTER توم .. لا تقل مثل هذا الكلام أرجوك .. أنا لا أريد أن تضع الحية رأسها في فمي .. ولا أريد أن تنام معى على سريري !

وهنا قبل توم توسله وقال :

- طيب .. دعنا من الحية ذات الجرس ..

ما رأيك في ثعابين الأعشاب .. إنها لا تضر لأنها  
خالية من السم .. ويمكنك أن تحفظ هنا بمجموعة  
من هذه الثعابين .. وتعلق في ذيولها بعض الأزرار ..  
وتتظاهر بينك وبين نفسك أنها حبات من ذوات  
الجرس .. واعتقد أن مثل هذا التظاهر يجوز في  
بعض الأحيان ..

- إنني لا أحب جميع أنواع الثعابين يا ماستر توم ..  
وأستطيع أن أعيش هاننا بدونها .. لم أكن  
أتصور أن حياة السجين يمكن أن تصبح صعبة وقظيفة  
على مثل هذا النحو ..

- إنها حياة صعبة بالفعل .. خصوصاً إذا  
طبقنا جميع القواعد .. قل لي .. هل لديك فثran  
في هذا الكوخ !؟

- لا ياسيدى .. لم أشاهد في هذا الكوخ فأرا  
واحداً ..

- إذن قسوف تحضر اليك بعض الفثran !

- ولكن يا جيم .. لابد أن تكون هناك بعض الفتن .. لا يمكن تصور أن هناك سجيننا بدون فتتان .. فالمساجين دائماً يتعاشرون مع الفتن ، ويعطّفون عليها ، ويقومون بتدريبها على عمل بعض الخداع والأشياء الأخرى .. وفي النهاية يصبحون أصدقاء للفتن ، وتصبح الفتن أصدقاء لهم .

وتنهد جيم مستسلما . . ومرت لحظات كان  
توم يفكر خلالها . . وعندما انتهى من تفكيره قال :  
ـ هناك شيء آخر كدت أنساه . . هل تستطيع  
أن تزرع زهرة في هذا الكوخ . . ؟

فقال جيم :

- يمكن استنبات أحد الأعشاب البرية الموجودة بكثرة خارج هذا الكوخ .. ولكن هذا عمن لا يستحق العناء ولا الجهد الذي سيبذل فيه ..

## وقال توم مفترضا :

- لا .. من الضروري ان تكون هناك زهرة ..  
و سنحضر اليك أحد أعواد النبات لتزرعه هنا في هذا  
الركن من الكوخ .. وليس من اللائق أن تسميه  
عشبا بريا .. بل من الأفضل أن تسميه « بهجة  
السجين » .. ويجب عليك أن ترعاه الى أن يكتمل  
نموه ويزدهر .. وعليك أن ترويه بدموع عينيك !!

- ولماذا أرويه بدموع يامستر توم .. لدى  
الكثير من الماء .. ويمكننى أن أستقيه بسهولة ..

- هذا ضد القواعد .. وجميع المساجين يرثون  
زهورهم الخاصة بدموع .. انهم يفعلون ذلك دائما ..

- ولكنى لا أستطيع أن أذرف الدموع هكذا  
بسهولة .. بل انى لم أبك فى حياتى سوى مرات  
قليلة جدا .. فكيف أروى الزهرة بدموعى !؟

وشعرت بأن توم قد انهزم أمام هذا المنطق ..  
ولكن توم لا يغلب أبدا .. فظل يفكر للحظة بسيطة ..

وقال بعدها أن جيم يستطيع أن يندرف الدمع بسهولة  
إذا شم بصلة .. ووعده بأنه سيتسلل في الصباح  
إلى المطبخ ويسرق بصلة كبيرة سيهربها له بداخل  
ابريق القهوة !

واعتراض جيم على ذلك قائلاً بأن وضع البصلة  
بداخل الابريق سيفسد طعم القهوة .. واعتراض  
أيضاً على قيامنا من قبل بتهرير الطباق بداخل ابريق  
القهوة .. لأن ذلك قد أفسد الطباق وجعله غير صالح  
للتدخين .. كما اعتراض كذلك على كثرة الواجبات  
التي أصبحت ملقاة على عاتقه .. فعليه أن يقوم  
برعاية هذا العشب البري حتى يزدهر .. وأن يعقد  
صدقة مع الفتران ويعطف عليها ويسليها .. وأن  
يتعايش أيضاً مع الحيات والثعابين والعنакب وغيرها  
من الحشرات الأخرى .. وفوق هذا كلّه عليه أن يقوم  
بحفر الرحي الصخرية ليكتب ذكرياته وأحزانه على  
سطحها بواسطة المسamar .. وهذه كلّها واجبات ثقيلة  
ومسئوليات صعبة لا يستطيع أن يتحملها ..

وهنا فقد توم صبره ، وعاتب جيم قائلاً بأن  
أمامه أعظم الفرص لكي يصبح من أشهر المساجين في  
هذا العالم ، ولكنه يريد أن يضيعها بهذه الاعتراضات  
غير المعقولة ..

واعتذر جيم لتسوم .. ووعده بأنه لن يعترض  
مرة أخرى على أي شيء ..  
وعندئذ خرجنا أنا وتوم من الكوخ .. وتوجهنا  
إلى البيت !!

## الفصل العشرون

### الفتران والثعابين والرسائل المجهولة !

وفي الصباح ذهبنا الى القرية ، واشترينا مصيدة للفتران مصنوعة من السلك .. ووضعناها في مواجهة أحد الجحور الكبيرة بالبيت .. وفي خلال ساعة واحدة اصطدنا خمسة عشر فاراً من أحسن الفتران ..

ووضعنا كل هذه الفتران في قفص خباناه تحت سرير الخالة سالي .. ولكن أحد أبنائهما الصغار تسلل تحت السرير وفتح باب القفص ليرى ما اذا كانت الفتران ستفر من القفص أم تبقى فيه ..

وعدنا الى البيت على صراخ الخالة سالي ..  
ووجدناها واقفة فوق السرير ، وتصرخ بأعلى صوتها ..  
والفتران تجري تحت قدميها وفوق السرير وفي كل  
جوانب الغرفة .. وضررتنا الخالة بعضاً كانت في  
يدها .. فجرينا الى الخارج .. وقضينا نحو ساعتين  
حتى اصطدنا خمسة عشر أو ستة عشر فأرا آخرين !

كذلك فقد اصطدنا مجموعة كبيرة من العناكب  
ومختلف الحشرات والمخلوقات الأخرى .. كما  
اصطدنا نحو دستين من ثعابين الأعشاب وثعابين  
البيوت وضعناها في كيس خباناه بغرفتنا ..

وبعد أن انتهينا من تناسول العشاء في تلك  
الليلة ، وتوجهنا إلى غرفتنا ، فوجئنا بأن جميع  
الثعابين قد هربت من الكيس ، لأننا فيما يبدوا لم  
نكن قد أحكمنا إغلاق الكيس الذي يحتويها .. غير  
أننا لم نهتم كثيراً بهروب الثعابين فهي ما زالت في  
البيت وربما أخذت تتجول هنا وهناك في بعض

الحجرات ، لذلك فان من السهل أن نقوم بجمعها مرة أخرى .

ولكن الشعابين انتشرت في معظم أنحاء البيت ..  
وكانت تظهر من مخايبتها بين حين وآخر .. كنت تراها  
مثلا وهي تتسلل اليك من بين الشقوق أو من عوارض  
النواخذ .. أو تجدها فجأة قد سقطت في طبقك وأنت  
جالس الى المائدة تتناول طعامك .. أو تزحف بنعومة  
على قفاك وتدخل الى ظهرك من خلال فتحة قميصك !!

ومع ذلك فقد كانت جميع الشعابين طيبة وغير  
مؤذية ، بالإضافة الى أنها كانت جميلة وهي تهادى  
بیننا بأجسامها ذات الخطوط الملونة !

ولكن الحالة سالي كانت تخاف من جميع أنواع  
الشعابين .. لافرق بين المؤذية منها أو غير المؤذية ،  
أو الملونة منها أو غير الملونة .. كانت الشعابين لديها  
سواء .. وكانت تصاب برعوب قاتل حين ترى ثعبانا  
يزحف نحوها ، أو حتى يزحف بعيدا عنها .. أما اذا  
تجاسر ثعبان وزحف على ذراعها أو على صدرها ، فان

الخالة كانت تلقى باى شىء يكون فى يدها .. وتهب مذعورة ، وتنتفض بشدة ، وتصرخ باعلى صوتها .. فى الحقيقة لم ار فى حياتى امرأة مثلها .. !

أما المصيبة الكبرى ، فكانت تحدث حين تجد  
الحالة أحد النعابين وقد تمدد على سريرها .. فعندها  
كانت تطلق صراغها ، وكان البيت قد شب فيه  
حريق هائل ١٠٠

وطلت الحاله تخاف من سيرة الشعابين حتى بعد  
أن اختفى آخر ثعبان كان بالبيت وحين كنا نراها  
جالسة تستريح أو لتفكر في شيء ، كنا نعيث في  
رقبتها بطرف ريشة لأحد الطيور تمررها بلطف على  
قفامها أو على طرف أذنها ، وعندئذ كانت تتنفس  
منعورة كان الشيطان نفسه قد مسها .. وتبعدوا كما  
لو كانت تريد أن تقفز بجسمها خارجة من ملابسها !!  
وقد أفهمنى قوم أن جميع النساء يتصرفن على مثل  
هذا النحو .. وأنهن قد خلقن هكذا ربما لسبب  
أو لاآخر !!

وكانت الخالة تضرينا بالعصا في كل مرة يظهر فيها أحد الثعابين في أي مكان باليبيت .. وكانت تقول لنا في كل مرة ، ان الضرب بالعصا لن يعتبر شيئا عاودنا جمع الثعابين مرة أخرى ..

غير أننا لم نهتم كثيرا بعصا الخالة ، فقد كانت غير مؤلمة ، كما كانت الخالة تضرينا برقة .. أما اهتمامنا كله ، فقد انصرف نحو تجميع الثعابين الهاوبة بالإضافة الى تجميع ثعابين جديدة ..

وبعد أن جهزنا كل شيء .. وأصبح لدينا كل ما نطلب من الثعابين والفتران والعناكب والحشرات والمخلوقات الأخرى .. ذهبنا الى جيم ، وأطلقناها جميعا بداخل الكوخ .. وعلى الفور بدأت تمرح في جميع الانحاء وجميع الأركان ..

كان جيم لا يحب العناكب .. كما كانت العناكب لا تحبه .. أما بالنسبة للفتران والثعابين والرحي الصخرية ، فقد قال لنا توم أنها تملأ عليه الكوخ ،

لدرجة أنه أصبح لا يجد مكاناً للنوم .. وقال لنا جيم انه اذا خرج من هذا الكوخ بعد أن نطلق سراحه ، فلن يصبح سجيننا مرة أخرى ، حتى ولو أعطوه مرتبًا مقابل ذلك !!

وفي خلال الأسابيع الثلاثة التالية .. كان كل شيء يسير على مايرام وبشكل مقبول .. فقد هربنا القميص الى جيم بداخل كعكة .. وذلك حتى يتمكن جيم من كتابة أو نقش بعض العلامات بدمه على قماش القميص .. ونبهنا عليه بأنه اذا عضه فأر من الفتران وسائل منه الدم ، فان عليه أن يرمي سن القلم في دمه ويكتب على القماش بهذا العبر الطازج !!

وفي خلال نفس الفترة أيضاً انتهينا من صنع جميع الأقلام وتوضيب سنتونها ، كما دونا جميع الذكريات والأحزان على سطح الرحاية الصخرية .. كما قمنا بنشر رجل سرير جيم وقسمناها الى نصفين وقد ابتلعنا كل النشرة التي تختلفت عن عملية النشر .. فأصبنا جميعاً بالمغص وووجع البطن حتى كدنا

نشر بالقبراب الموت .. ولكن ذلك لم يحدث كما كان متوقعاً .

وفي النهاية أصبحنا كلنا متعبين منهوكى القوى .. وكان جيم أكثرنا تعباً وإنهاكاً !

وكان العم سيلاس فلبس قد كتب عدة خطابات للمزارعة المجاورة لنيو أورلينز ليحضرها لاستلام عبدهم الهاوب .. ولكن العم لم يصله أى رد على خطاباته بسبب بسيط .. فليست هناك مزرعة اسمها المزارعه المجاورة لنيو أورلينز !

لذلك فقد قرر العم سيلاس أن يكتب إعلاناً ينشره في الجرائد التي تصدر في نيو أورلينز ، والجرائد التي تصدر أيضاً في سان لويس .. وقد أصبحت بصدمة حين سمعت العم يذكر جرائد سان لويس ، فمعنى ذلك أن جميع جهودنا ستضيع في لمح البصر .. وقلت لتون : لم يعد لدينا أى وقت تضييعه ، ويجب أن نتصرف فوراً ..

وقال توم موافقا :

- نعم .. لقد حان الآن وقت ارسال الرسائل  
المجهولة !

فتساءلت مذهائة :

- وما هي هذه الرسائل المجهولة .. ؟

فقال توم ببساطة :

- هي رسائل تحذير بدون توقيع .. تكتب  
بطريقة او باخرى .. وترسل او تسلم بعدة طرق  
غامضة .. وفي أحياناً كثيرة يكون هناك شخص ما ،  
يقوم بابلاغ حاكم القلعة بالأخبار الازمة .. ان لويس  
السادس عشر نفسه حين غادر قصر التوينيرى ، أعطى  
احدى رسائله المجهولة لاحدى الفتية التي قامت  
بنقلها .. انها طريقة جيدة لارسال تلك الرسائل  
المجهولة الخالية من التوقيع .. سوف تتبع تلك  
الطريقة في ارسال رسائلنا .. كما ان هناك

شيئا آخر في غاية الأهمية .. فمن المعتاد غالبا أن تقوم أم السجين بزيارته بين حين وآخر .. وفي احدى هذه الزيارات تقوم الأم باعطاء ملابسها للسجين ليتنكر بها حين يهرب ، وتقوم هي بارتداء ملابس السجين وتحل مكانه .. لا بد أن تستخدم هذه الطريقة أيضا !!

- أرجو أن تسمعني يا توم .. لماذا بحق الله نقوم بتحذير الناس مما سنفعله .. لماذا لأن دعهم يكتشفون الأمر بأنفسهم .. وهذا هو شغفهم !!

- نعم أعرف ذلك .. ولكنك لا تستطيع أن تعتمد عليهم في مثل هذه الأمور .. انهم في كثير من الأحيان يكونون أغبياء أو يشقون بأنفسهم لدرجة أنهم لا يلاحظون شيئا .. ولذلك فإن من واجبنا أن نتباهي ونحذرهم والا فإن جميع الجهد التي بذلناها ستضيع هباء ولن يلحظها أحد .. وبذلك تصبح جميع أعمالنا بلا قيمة !

- بالنسبة لي .. فان هذا الأمر لا يهم !

واشماز توم من قوى .. وقال باستهتار :

- ولكن بالنسبة لي .. فان هذا الأمر في غاية الأهمية .. !

فقلت وأنا أضع هذا للخلاف :

- وهو كذلك ياتوم .. إننا لن نختلف أبداً ..  
أنا موافق على كل أمر يروقك .. ولكن قل لي .. من  
أين سنحضر الفتاة الخادمة التي ستقوم بتوصيل  
الرسائل المجهولة .. ؟!

- هذا موضوع في غاية البساطة .. ستقوم أنت  
بأداء دور الفتاة الخادمة ..  
- أنا !!

- نعم .. وكل ما عليك أن تتسلل إلى غرفة  
الخادمة ليزا بعد أن يتصف الليل .. وتسرق ملابسها  
لترتديها وتمثل بها الدور المطلوب .. !

- ولكن أرجو أن تلاحظ يا توم أن هذه العملية ستؤدي إلى متاعب كثيرة في صباح اليوم التالي .. ومن المحتمل إلا يكون الذي ليزا الخادمة أية ملابس أخرى غير تلك التي سأسرقها .. فماذا ستكون النتيجة ؟

- أني أعرف ذلك تماما .. أنتا لن تحتاج هذه الملابس لأكثر من ربع ساعة فقط .. مجرد أن ترتديها، وتذهب فورا لوضع الرسالة المجهولة الأولى تحت عقب الباب ، ثم تعود فورا لتعيد ملابس الخادمة ليزا في مكانها .. هذا هو كل المطلوب .. !

- وهو كذلك .. ولكن ما أهمية قيامي بتوصيل الرسالة المجهولة وأنا أرتدي ملابس الخادمة ؟ .. أني أستطيع أن أؤدي هذه المهمة بملابس العادية .. ما الفرق ؟ ..

- اذا ذهبت لتوصيل الرسالة المجهولة وأنت تلبس ملابسك العادية .. فانك لن تبدو مثل الفتاة الخادمة .. هذا هو الفرق !

- ولكن ياتوم .. هذا لا يهم مادمت ساقوم باداء  
هذه المهمة سرا ودون أن يراني أحد .. أو يعرف أحد  
ان كنت أرتدى ملابس الخادمة أم لا .. !

- اسمع ياهك .. ان علينا أن نؤدي واجباتنا  
دون أن نضع فى الاعتبار ما اذا كان الآخرون يروننا  
أو لا يرون شيئا على الاطلاق .. !

- طيب ياتوم .. وهو كذلك .. ساقوم أنا  
بدور الفتاة الخادمة .. ولكن من سيفقوم بدور  
أم السجين .. ١٩

- بسيطة .. ساقوم أنا بدور أم السجين  
وسأسرق رداء من ملابس الخالة سالي .. !

- معنى ذلك أنك ستعطى ملابس الخالة جيم ليتنكر  
بها ويهرب وتبقى أنت سجيننا بالكونغ .. !

- لا .. من ذا الذى قال ذلك .. سأخذ ملابس  
جيم بعد أن يخلعها .. وأحشوها بالقش وأمددها على  
السرير فتبدو مثل الشخص النائم .. وبعد أن يرتدى

جيئ ملابس أم السجين سيكون في استطاعتنا عندئذ  
أن نهرب جميا ، وننطلق الى آفاق الحرية ..

وهكذا لم نضيع الوقت .. وكتب توم رسالة  
مجهلة .. وقامت بسرقة ملابس ليزا وأرتدتها ..  
وأخذت الرسالة ، ومررتها الى داخل البيت من تحت  
عقب الباب الأمامي .. وكانت الرسالة تقول :

« احلوا وكونوا متنبهين .. ان المتاعب قادمة  
.. افتحوا عيونكم جيدا .. »

« الصديق المجهول »

وفي الليلة التالية .. أرسلنا رسالة مجهلة  
أخرى دسستها من تحت عتبة الباب الأمامي ..  
وكانت هذه الرسالة عبارة عن رسم لجمجمة وعظمتين  
متقطعتين كشعار القراءنة .. وقد رسم توم هذا  
الشعار بالدم ..

وفي الليلة الثالثة أرسلنا رسالة أخرى تتضمن  
رسمًا لتابت من توابيت الموتى ..

وقد قلبت هذه الرسائل جميع أحوال العائلة  
رأسا على عقب .. ولم أر في حياتي عائلة بأكملها  
أصبحت تخاف وتنصب عرقا من شدة الرعب هكذا  
.. كانوا كلهم مذعورين وكان البيت قد امتلاه  
آخره بجميع أنواع العفاريت والأشباح ..

وأنباء تناول العشاء ، سمعناهم يقولون بأنهم  
قد وضعوا خادما لحراسة الباب الأمامي للبيت وخادما  
آخر لحراسة الباب الخلفي ..

و قبل طلوع الفجر .. كنا قد أعددنا رسالة  
مجهلة مطولة .. وقفز توم من نافذة الغرفة إلى  
السقف المائل ، ثم إلى عمود النور ثم إلى الأرض ..  
وتسدل ليستطلع الأمر .. فوجد أن حارس الباب  
الخلفي للبيت قد استغرق في النوم .. وانهزم توم  
هذه الفرصة ، وقام بتعليق الرسالة المجهولة على ظهر  
الحارس ! ..

وكان نص هذه الرسالة الخطيرة كما يلي :

« ان عصابة متواحشة من قاطعى الرقاب ستقوم بسرقة العبد الهاوب هذه الليلة .. وقد قامت هذه العصابة بتخويفكم وملأت قلوبكم بالرعب حتى تلزموا البيت ولا تخرجوا الى مطاردتها أثناء قيامها بسرقة العبد الهاوب .. وأنا عضو بهذه العصابة ولكنني متدين وأردت أن أتوب عن فعل الأشياء الشريرة وأعود الى الحياة الطيبة .. ولهذا .. فهاندا افши لكم كل أسرار العصابة وكل خططها .. انهم سيعجّلُون من ناحية شمال السور .. وسيكون معهم مفتاح مزيف سيفتحون به باب الكوخ ويستولون على العبد الهاوب ويهرّبون .. وقد كلفتني العصابة بأن اقف في مكان ما فوق السور لأراقب المكان أثناء قيام العصابة بعملية السرقة ، وكلفوني بأن انفع في نفير من الصفيح لأحدزهم اذا تعرضوا لاي خطر .. ولكن لأجل خاطركم فلن انفع في النفير .. وعندما تدخل العصابة الى الكوخ لتفك السلسلة التي ربط فيها العبد الهاوب .. ساقوم بمامأة مثل الغروف .. ولتكن هذه علامة اتفق عليها معكم .. ويمكنكم بمجرد سماع تلك المأمة

أن تهجموا على أفراد العصابة وهم بداخل الكوح  
وتقتلوهم عن آخرهم .. عليكم أن تنقتوها تعليمات  
هذه حرفا حرفا .. والا فان كل شيء سينهار وتحدث  
متاعب لاحد لها .. وأنا لا أريد منكم مكافأة على ذلك  
.. يكفينى انى ارضيت ضميرى وفعلت شيئاً  
طيباً .. ! » « الصديق المجهول »

## الفصل العادى والعشرون

### جيم ° ° هانتذا حر من جديد !

تناولنا افطارا طيبا فى الصباح ° ° وأخذنا معنا  
طعام الغداء ° ° وتظاهرنا بأننا سنذهب لصيد السمك °  
ولكن ما أن وصلنا الى المكان الذى خبأت فيه قاربى  
الخفيف بين أعشاب شاطئ النهر ، حتى ركبنا القارب  
واتجهنا فورا الى المكان الذى أخفيت فيه الطوف ° °

وعندما وجدنا الطوف سليما وفى حالة جيدة ،  
اطمأن قلبانا ° ° وقضينا وقتا سعيدا ممتعا ° °

ولكن عندما عدنا قرب المساء لتناول طعام

العشاء ، وجدنا البيت كله مقلوبا .. و كان الجميع  
في حالة من الاضطراب يفوق الوصف .. وب مجرد  
أن انتهينا من تناول الطعام ، حتى أرسلونا فورا إلى  
غرفة النوم .. ولم يقل لنا أحد ولو كلمة واحدة عن  
الرسالة المجهولة الأخيرة .. وبطبيعة الحال فقد كنا في  
غنى عن ذلك .. لأننا نعرف ما جاء بتلك الرسالة أكثر  
من أي شخص آخر ..

وعندما أصبحنا في منتصف درجات السلم .  
أدانت الخالة سالي ظهرها لنا ، فتسليتنا فورا إلى  
دولاب الخزين وأخذنا بعض الطعام استعدادا للمغامرة  
التي سنقوم بها هذه الليلة . وحملنا الطعام معنا إلى  
غرفتنا .. ونسنا نوما متقطعا حتى أصبحت الساعة  
الحادية عشرة والنصف قبيل منتصف الليل .. وعندئذ  
ارتدى توم ملابس الخالة التي سرقها من قبل .  
وفحص الطعام الذي سيحمله معه عندما يقوم بدور  
أم السجين . وقال توم :

- أين الزبد ..؟!

فقلت :

- لقد وضعتم قطعة من الزبد على رغيف  
الخبز ..

- لا .. ليس هناك زبد ..

- ولنفترض انه ليس هناك زبد .. فما اهمية  
ذلك .. ان فى استطاعتك ان تقوم بدورك بدون  
زبد ..

- ويمكننى ايضا ان اقوم بدورى بالزبد ..  
هيا اذهب الى الدولاب وخذ بعض الزبد .. ثم عليك  
ان تتسلل عبر النافذة وتهبط على عمود النور وتلتحق  
بى فى الكوخ .. وسأذهب أنا الى هناك الآن لاحشو  
ملابس جيم بالخش وكن مستعدا للمامأة مثل الخروف  
عندما أعطيك اشارة بذلك ..

وتسللت ببطء الى حيث يوجد دولاب الخزين  
وتناولت قطعة من الخبز وضعتم عليها قطعة كبيرة  
من الزبد .. وأطفأت الشماعة التى كنت أحملها  
لتتساعدنى على الرؤية فى الظلام .. وتسللت بهدوء

مرة أخرى آخذها طريقي إلى الطابق السفلي .. ولكنني  
فجأة رأيت المخالة سالى قادمة وهي تمسك في يدها  
شمعة مضاءة ..

وعلى الفور وضعت الخبز والزبد في القبعة ،  
ووضعت القبعة فوق رأسى .. وفي نفس اللحظة  
شاهدتني المخالة على ضوء شمعتها .. فقالت لي  
مندهشة :

- ماذا تفعل بغرفة الخزين في هذا الوقت من  
الليل .. !؟

- لا أدرى يا سيدتى .. لا أدرى !

- لاتدرى !؟ .. هه .. اذهب الآن وانتظرنى  
في غرفة الجلوس .. لا بد أن أعرف ماذا كنت تفعل  
في غرفة الخزين .. !

وذهبت إلى غرفة الملوس كما قالت .. وهنالك  
فوجئت بوجود جمهسورة غافر .. خمسة عشر من  
المزارعين .. وكل واحد منهم يمسك بندقية ! ..  
وطبعا لم أستطع أن أرفع قبعتي تحيية لهم .. !

كان هؤلاء المزارعون قلقين رغم ظاهرهم بالهدوء ..  
وكنت أود أن تحضر الخالة فوراً لتنتهي من أمرى ..  
إذ كان على أن أذهب إلى الكوخ باقصى سرعة لأخبار  
توم بما يحدث ، ولكن قوم بتهريب جيم ونتمكن  
جميعاً من الأفلات من هذا الجيش القادم ..

وجاءت الخالة .. وببدأت تسألنى عدة أسئلة ..  
ولكنى تلعثمت ولم أستطع الرد بطريقة مقنعة .. لقد  
كنت مضطرباً غایة الإضطراب لأنى لاحظت أن المزارعين  
قد بدأوا يفقدون صبرهم وأخذوا يتململون وكأنهم  
يريدون أن يدخلوا المعركة فوراً .. فالساعة الآن  
تقرب من منتصف الليل .. وهو الوقت المحدد لقيام  
عصابة قاطعوا الرقاب بسرقة العبد الهاوب ..

وقال أحد المزارعين بعد أن نفذ صبره تماماً ..  
أنه سيذهب الآن إلى الكوخ وسيختبئ بداخله ليقوم  
بقتل العصابة بمجرد مجيئهم إلى الكوخ ومحاولتهم  
فتح بابه .. وقال مزارعون آخرون أن من الأفضل  
أن ينتظروا جميعاً حتى يسمعوا مامأة الخروف

باعتبارها الاشارة التي سيعطيهم ايها الصديق المجهول  
ليشرعوا فورا في الهجوم على العصابة ..

كل هذا كان يحدث أمامي بينما كانت الخالة  
تواصل سؤالاً تلو سؤال .. وأنا غارق في  
خوفى ومضطرب غاية الاضطراب .. وبذات الزبد  
تسينج فوق رأسي .. وسالت على خدى ..  
وفجأة شحب وجه الخالة وأصبح في لون الملاعة  
البيضاء .. وقالت وهي تشعر بذعر هائل :

- ويلاه .. ماذا حدث للغلام .. انه يعاني  
من حمى شديدة في مخه .. ان مخه قد بدأ يسيل  
من رأسه !!

وانتبه الجميع إلى صياح الخالة ، والتفوا حولي  
ينظرون ماذا حدث .. وتقدمت خالتى ورفعت القبعة  
عن رأسي فسقط الخبز وبقايا قطعة الزبد .. وعندئذ  
احتضنتني الخالة وأخذت تربت على ظهرى ،  
وقالت بعطف :

- يا بنى العزيز .. أمن أجمل هذا تسللت

الى غرفة الخزين .. لقد قلقت عليك حين رأيت هذا  
الزبد يسيل من رأسك .. لقد اعتتقدت ان مخك قد  
انفجر وبدأ يسيل على وجهك .. والآن .. فلتتصعد  
 الى غرفتك لتنام في هدوء ولا تجعلنى أرى وجهك الا في  
 صباح الغد !

وفي ثانية واحدة صعدت الى غرفتي .. وفي  
 الثانية التالية ، كنت أهبط على عمود النور ، وانطلقت  
 بأقصى سرعة تجاه العشة ومنها تسللت عبر النفق الى  
 داخل الكوخ ..

وبصعوبة بالغة بدأت التقط أنفاسى .. وقلت لтом  
 بأن علينا الآن أن ننادر الكوخ بأقصى سرعة حيث  
 لم يعد أمامنا سوى دقيقة واحدة .. وأن البيت مملوء  
 بالرجال الذين يحملون البنادق .. وهمقادمون نحونا  
 بين لحظة وأخرى ..

وهنا برقت عينا توم وقال بفخر :  
 - حقا ! .. هل وصل الأمر الى هذا الحد !  
 لقد كان باستطاعتي أن أدب بعض الأشياء الأخرى

حتى يصل عدد هؤلاء الرجال ذوى البنادق الى نحو  
مائتين .. على أية حال ففى المرة القادمة سأحاول  
ذلك ..

فقطاعته متلهفا :

- أسرع أسرع ياتوم .. ليس هناك وقت  
لذلك .. أين جيم ..
- ها هو بجوارك .. لقد ارتدى الملابس التي  
اتفقنا عليها .. وكل شئ الآن جاهز .. وسنذهب  
جميعا عبر النفق .. وب مجرد خروجنا سأعطيهم اشارة  
مامأة الخروف التى ينتظرونها لبدء الهجوم ..  
ولكننا تسمىنا جميعا فى مكاننا بعد أن سمعنا  
خطوات الرجال بقرب الكوخ ، وبدأوا يفتحون قفله ..  
وسمعنا أحد الرجال يقول :
- لقد جتنا مبكرين قبل وصول العصابة ..  
فقفل الباب ما زال مغلقا .. والآن ساقتحم الباب  
ليختبئ بعضكم بداخل الكوخ .. وفي الظلام ..

انتظارا لوصول العصابة .. وعندما تبدأ العصابة في الدخول من باب الكوخ أطلقوا عليهم النار فورا وأردوهم قتلى .. وسيبقى بعض الرجال في الخارج للمراقبة ، أو للهجوم على العصابة فور وصولها .

وفي لحظة كان الرجال قد دخلوا الى الكوخ ومعهم بنادقهم .. ولكنهم لم يرونا في الظلام .. واختبأنا جميعا تحت السرير .. ثم تسللنا بهدوء وصمت تمام عبر النفق وأصبحنا الآن بداخل العشة .. ولكننا توقيتنا تماما عن الحركة حين سمعنا وقع أقدام بالقرب من باب العشة الخارجي .. وانتظرنا لحظات قلقة بينما كانت الأقدام تقترب وتبتعد ثم تقترب مرة أخرى .. وقال توم في همس انه سيعطينا اشاره الخروج في الوقت المناسب .. ويجب أن تكون مستعدين تماما .. وأن يخرج جيم أولا ، ثم أتبعه أنا ، ثم يلحق بنا توم في النهاية .. وأخذ توم يتصنّت الى وقع الأقدام ويقدر الموقف .. وأخيراً اعطانا الاشاره .. وفي لمح البصر أصبحنا جميعا خارج العشة .. وانطلقنا فوق السور وتسلقناه .. ولكن ملابس توم

اشتبكت في أحد المسامير ، فجذبها توم بقوة ، فحدثت جلبة وفرقة مسموعة . وعندئذ صاح أحد الرجال :

- من هنـاك .. أجب ولا أطلقـت عليك النار !!

وبطبيعة الحال لم يجب أحد .. بل انطلقـنا فارين بسرعة البرق .. وانهمرت علينا طلقات الرصاصـ التي كانت تـنز بـجوار آذانـا .. وسمعـنا بعض الرجال يصيـحون في سكون اللـيل :

- هـاهم أفراد العصابة .. انـهم يتـجهـون صوب النـهر .. فـلـتـلـعـقـ بهـم يـارـجال .. وأـطـلـقـواـ الكلـابـ فيـ أـثـرـهـمـ !

وانطلقـواـ جـمـيعـاـ وـرـاءـناـ .. وـقـبـلـ أنـ نـصلـ إـلـىـ الطـاحـونـةـ ، كـانـواـ قدـ اـقـتـرـبـواـ مـنـاـ إـلـىـ درـجـةـ خـطـيرـةـ .. فـرـأـوـغـنـاهـمـ وـاخـتـبـأـنـاـ بـدـاخـلـ الأـعـشـابـ إـلـىـ أـنـ تـجاـزوـنـاـ .. ثـمـ جـسـاتـ بـعـدـهـمـ الكلـابـ .. وـكـانـتـ لـحـسـنـ الـحـظـ كلـابـنـاـ .. وـشـعـرـنـاـ كـانـ الكلـابـ كـانـ تـحـيـيـنـاـ بـسـرـعـةـ ،

ثم انطلقت وراء الرجال حيث الصياح والاضطراب على  
أشده ..

وما أن ابتعد الرجال عنا قليلا حتى انطلقنا  
وراءهم إلى أن وصلنا إلى مبنى الطاحونة ، وهناك  
عرجنا إلى الغابة حيث كنت أخفى قاربي .. فرمينا  
أنفسنا فيه وببدأنا نجذف بأقصى همة إلى أن أصبحنا  
في منتصف النهر .. ثم اتجهنا إلى الجزيرة حيث  
أخفينا الطوف .. وكانت تتطرق إلى أسماعنا بين حين  
وآخر ، أصوات الرجال whom يتصايرون على الشاطئ ،  
الآخر .. وظلت أصواتهم تخفت رويدا رويدا إلى أن  
اختفت تماما وعندئذ قلت لجيم وأناأشعر بفرح  
عارم :

- جيم .. هانتذا حر من جديد !

فقال جيم معبرا عن عرفانه بالجميل :  
- يا لها من مغامرة رائعة .. لقد خططت  
باحكام .. ونفذت بدقة وسلامة .. إن أحدا لا يمكنه

ان يصدق او يتصور آية مغامرة أخرى أكثر صعوبة  
وأشد تعقيدا من تلك المغامرة !

لقد كنا جمِيعاً نشعر بقمة السرور والفرح .  
ولكن توم كان أكثرنا سروراً وفرحاً .. فقد أصيب  
برصاصة في رجله !!

وما أن سمعنا أنا وجيم بهذا الخبر المفاجئ ،  
حتى تلاشى على الفور سرورنا وفرحنا .. لقد كان  
جرح توم ينزف دماً ، ويؤله بشدة .. فقمنا بتمزيق  
أحد قمصان الدوق على شكل أشرطة وربطنا الجرح  
حتى يتوقف النزيف .. وقال توم لاهثاً :

- اعطوني الأربطة لأضمد هذا الجرح بنفسي ..  
اما انتم فلا تضيعوا الوقت .. ولنهرب جميعاً من  
هذا المكان فوراً .. هيا .. ليفك أحدكمـا رباطـ  
الطرف .. وليمسك الآخر بمجداف التوجيه ..  
هيا يا أولاد .. لا تضيعوا الوقت عيشاً .. فلننطلق  
بالطرف بأقصى سرعة .. لقد نفذنا الخطبة باحكامـ  
يا أولاد .. لقد كان بوسعنا أن نضع خطـة لتهـريبـ

لويس السادس عشر ملك فرنسا ٠٠ لو أن أحدا طلب  
منا القيام بذلك !!

وبينما كان توم يصدر أوامره هكذا ٠٠ تحدثنا  
أنا وجيم في الأمر وأخذنا نفكر فيما يجب أن نفعله  
لإنقاذ توم ٠٠ وقال جيم في النهاية :

- لن أتزحزح عن هذا المكان ولو بوصة واحدة  
قبل أن يحضر الطبيب ليعالج رجل توم ٠٠ حتى  
ولو بقيت سجيننا في هذا المكان لمدة أربعين سنة  
أخرى !

لقد كان جيم شهما ويملك قلبا من ذهب ٠٠  
وقد توقعت منه أن يتخد هذا الموقف النبيل .. وأخرت  
توم لأنى سأذهب إلى القرية لاحضار الطبيب ٠٠  
فرضت توم ذلك وفضا قاطعا وحاول أن يقوم بنفسه  
بفك وباط العوف ، ولكننا منعناه من ذلك ٠٠

وعندما رأى توم وقد قفزت إلى القارب وأوشكت  
أن انطلق به تجاه القرية استسلم للأمر وبدا ينصحني  
 قائلا :

- طيب .. عندما تصل الى القرية لتحضر  
الطيب .. فعليك أن تربط منديلا حول عينيه ..  
وضع في يده حقيبة مملوءة بالذهب .. وتعال به  
خلال طريق غير مباشر .. واختر طريقا متعرجا بين  
الجزر .. وعليك أن تقوم بتفتيش الطيب جيدا ..  
وخذ منه قطعة الطباشير إذا كانت معه آية قطعة ..  
ولا ترد قطعة الطباشير اليه مرة أخرى الا بعد أن يعود  
إلى القرية مرة أخرى .. فمن المحتمل أن يستخدم  
الطباشير في عمل علامة على الطوف ويغشى أسرارنا ..  
فهذه هي الطريقة التي يستخدمها الجميع دائمًا .. !

فوافقته على كل ذلك .. وذهبت لاحضار  
الطيب .. واختبأ جيم عندما رأى الطيب قادما .. !

## الفصل الثاني والعشرون

### ماذا جرى لهذا الولد؟

كان الطبيب العجوز ذا مظهر طيب .. وعندما ذهبت اليه في منزله لاستئنفاد به .. ادعى له أن أخي قد ركل بندقيته أثناء النوم بينما كان مستغرقا في أحد الأحلام .. فانطلقت رصاصة وأصابته في رجله .. وعلى الفور أعد الطبيب حقيقته ، وأشعل مصباحاً ليضيء له الطريق .. وذهبنا معا إلى شاطئ النهر ..

ولكن ما أن رأى الطبيب قاربى الخفيف ، حتى  
تراجع وقال أنه قارب صغير جداً .. وحاولنا البحث  
عن قارب آخر ، ولكن جميع التوارب كانت مربوطة  
بالسلسل .. فاضطر الطبيب إلى أن يركب قاربى  
مشترطاً ألا يركب معه ، لأن هذا القارب الصغير فى  
اعتقاده لا يصلح لرکوبنا معاً .. فوصفت له الطريق  
وكيفية الوصول إلى الطوف الراسى على شاطئِ الجزيرة  
.. فانطلق الطبيب بعد أن طلب مني أن انتظره هنا  
على شاطئِ النهر ..

واختبأت خلف كومة من الأخشاب .. وسرعان  
ما استفرقت في النوم .. ولم أستيقظ إلا بعد أن  
لفتح وجهي حرارة الشمس .. وعلى الفور اتجهت رأساً  
إلى بيت الطبيب لاطمئن منه على الحالة ، ولكنهم  
أخبروني هناك بأن الطبيب لم يعد حتى الآن ..  
فازداد قلقى على قوم .. وقررت أن أذهب فوراً إلى  
الجزيرة وبأى شكل ..

وفي الطريق رأى العم سيلاس فصاح مناديا :

- توم .. أين كنت طوال هذا الوقت أيها

الشقي ..

- لقد ذهبت مع أخي سيد لمطاردة العبد الهاوب  
ليلة أمس !

- أين ذهبتما إذن ؟ .. إن الحالة سالي في غاية  
القلق ..

- لا داعي للقلق فنحن بخير .. لقد انطلقنا  
مع الرجال والكلاب لمطاردة العبد الهاوب ، ولكننا تهنا  
وضللنا الطريق .. واعتقدنا أن الرجال قد عبروا  
النهر لواصلة المطاردة ، فذهبنا في أثراهم ، ولكننا  
لم نجدهم على الشاطئ الآخر ، فنمنا هناك حتى  
الصباح ، وعدنا إلى هنا منذ نحو ساعة لنعرف الأخبار  
.. وقد ذهب أخي سيد إلى مكتب البريد ليسمع

الأخبار بنفسه .. أما أنا فاني أبحث عن طعام لي وله  
.. وسوف نعود إلى البيت معاً !

وذهب مع العم سيلاس إلى مكتب البريد  
للاحضار « سيد » .. ولكننا لم نجده طبعاً .. واستلم  
العم من مكتب البريد خطاباً خاصاً .. وانتظرنا حضور  
« سيد » مدة طويلة .. وبعدئذ قرر العم سيلاس أن  
نذهب إلى البيت عسى أن يحضر سيد فيما بعد ..  
وذلك حتى تطمئن الحالة سالى على أنها مازلتنا بخير ..

والحقيقة أن الحالة قد فرحت كثيراً عندما  
شاهدتني قادماً نحوها .. وقلت لها إن الضجة التي  
أحدثها المزارعون ليلة أمس قد أيقظتنا أنا وأخي  
« سيد » من النوم .. فهبطنا على عمود النور لنرى  
ما يحدث .. وحكيت لها نفس القصة التي اخترعها  
وقصصتها من قبل على العم سيلاس ..

وقالت الخالة الطيبة أنها سامحتنا وغفت  
عنا .. ولكنها أبدت قلقها لعدم عودة سيد حتى  
الآن ..

ومر بعض الوقت وازداد قلق الخالة .. وقالت  
بعد أن نفدت صبرها :

- ولكن بحق السماء .. لقد أوشكت الشمس  
على المغيب ولم يعود سيد حتى الآن .. ماذا جرى لهذا  
الولد !! ..

قلت لأطمئنها :

- دعيني أذهب لاحضاره ..

فقالت على الفور :

- لا .. لن تذهب أنت .. وإذا لم يحضر سيد  
في موعد العشاء .. فسيذهب العم سيلاس للبحث  
عنـه !

وجاء موعد المشاء ولم يحضر توم - أو سيد كما  
يعتقدون - وخرج العم سيلاس للبحث عنه .. وعاد  
في الساعة العاشرة متumba وقلقا .. وقال انه بحث  
عنه في كل مكان فلم يعثر له على أثر .. وازداد  
بالتالي قلق الخالة سالي وعلت وجهها مسحة من الحزن  
ولكن العم سيلاس أخذ يطمئنها قائلاً بأن سيد  
سيعود حتماً في صباح اليوم التالي ..

وأقتنعت الخالة بهذه الفكرة بصعوبة .. ومع  
ذلك فقد أصرت على أن تقضي الليل كله ساحرة بجوار  
النافذة .. وأن يبقى المصباح مضاء حتى ينير له الطريق  
عندما يحضر ..

وأخذت الحالة بيدي وصعدت بي إلى غرفة  
نومي ، وأرقدتني على السرير ، وقبلتني ، وأخذت  
تربيت على كتفى بكل ما في قلبها الطيب من حنان  
ورقة .. لدرجة أنني قد شعرت بالخجل من نفسي  
ولم استطع أن أرفع عيني للنظر في وجهها ..

و قبل أن تبارح الخالة غرفتي ، قالت لي بعنان وبصوت طيب :

ـ لن نغلق أبواب البيت بعد الآن ياتوم ..  
ولا داعي أن تهرب من النافذة هابطا على عمود النور ..  
أرجو ألا تفعل ذلك مرة أخرى .. لأجل خاطري ٤٠٠

ويعلم الله أني كنت أريد أن أفعل ذلك مرة أخرى لأطمئن على توم .. وأنى لن أفعل ذلك مرة أخرى ولو عرضوا على ممالك الأرض ..

وبعد انصراف الخالة ، لم يغمض لى جفن وظللت حائرا بين حالة من اليقظة وحالة من النعاس المتقطع ..  
وحائرا بين الأخذ بنصيحة الخالة الطيبة وواحتى نحو توم ..

ولم تثن متواليتين أثناء الليل .. تسللت عبر النافذة وهبطت على عمود النور .. ولكنى كنت أرى الخالة مازالت ساحرة على ضوء الشمعة بجوار النافذة

٠٠ تطل بعينيها على الطريق ٠٠ وكانت عيناهما  
مغروقتين بالدموع ٠٠

وفى المرة الثالثة قرب الفجر ٠٠ كان ضوء  
الشمعة قد خبا ٠٠ وكانت الخالة لم تزل جالسة  
جوار النافذة ٠٠ ولكنها أستندت وجهها بين يديها ٠٠  
واستغرقت فى النوم ٠٠ !

### الفصل الثالث والعشرون

## اعادة توم وجيم الى البيت !٠٠

وفي الصباح المبكر وقبل موعد الأفطار ٠٠ ذهب  
العم للبحث عن توم أو لمعرفة أخباره ، ولكنه عاد خائبا ،  
وازداد بالتالي قلق الحالة ، وتضاعفت أحزانها فجلست  
تنتهي في صمت ٠٠ .

وبعد فترة قال العم سيلاس :

— ألم أعطك الخطاب الذى استلمته أمس من مكتب  
البريد ٩٠٠

فقالت الحالة وهي تتنهد في حزن :

- لا .. لم تعطني أى خطاب ..

فقام العم سبيلاس ، وذهب إلى أحدى المجرات وأحضر الخطاب وقدمه لها .. وما أن نظرت الحالة إلى هذا الخطاب حتى صاحت قائلة :

- أنه من اختي بوللي .. أنه من سان بطرسبورج !

وشرعت على الفور في فتح الخطاب ولكنها توقفت فجأة ، فقد حدث شيء غريب .. رأينا توم سوير محمولاً على نقابة ، ويمشي بجواره الطبيب العجوز ، ومن خلفه كان جيم مرتدياً ملابس الحالة ، وكانت يداه مقيدتين خلف ظهره ، وحولهم مجموعة كبيرة من الناس .. !!!

فزعت الحالة وهبت واقفة ، وسقط الخطاب من يدها ، وارتمت على توم سوير وأخذت تولول :

- لقد مات .. مات .. كنت أعرف من قبل أنه مات !!

وهنا حرك توم رأسه بضعف .. وتمتم ببعض

هممـات غير مفهومـة ولكنـها تدلـ على أنهـ في غيرـ وعيـه  
٠٠ فصـاحتـ الخـالـةـ فـرـحةـ مـهـلـلـةـ :

- انهـ حـيـ ٠٠ انهـ حـيـ الـحـمـدـ لـلـهـ ٠٠ يـكـفيـنـيـ  
هـذـاـ !!

وـانـدـفـعـتـ الخـالـةـ دـاخـلـ الـبـيـتـ لـتـعـدـ السـرـيرـ الذـىـ  
سـيـرـقـدـ عـلـيـهـ تـوـمـ ٠٠ وـأـخـذـتـ تـلـقـىـ أـوـامـرـهـ وـتـعـلـيمـاتـهـ  
ذـاتـ الـيـمـينـ وـذـاتـ الـيـسـارـ ٠٠ وـتـصـدـرـ التـنـبـيـهـاتـ إـلـىـ  
الـخـدـمـ ،ـ وـإـلـىـ كـلـ شـخـصـ آـخـرـ بـالـبـيـتـ ٠٠ وـانـتـهـرـتـ هـذـهـ  
الـفـرـصـةـ ،ـ وـأـخـفـيـتـ الـخـطـابـ ٠٠ !

وـحـلـ تـوـمـ إـلـىـ دـاخـلـ الـبـيـتـ ،ـ وـتـبـعـهـ الطـبـيـبـ  
الـمـجـوزـ وـالـعـمـ سـيـلاـسـ ٠٠ أـمـاـ أـنـاـ فـذـهـبـتـ لـأـرـىـ مـاـذـاـ  
سيـكـونـ مـصـيـرـ جـيـمـ ٠٠

كانـ الرـجـالـ يـلـعـنـونـ جـيـمـ وـيـشـتـمـونـهـ بـوـقاـحةـ ٠٠  
وـلـمـ يـقـلـ جـيـمـ شـيـثـاـ وـلـزـمـ الصـمتـ ٠٠ بلـ وـتـظـاهـرـ بـأـنـهـ  
لـاـ يـعـرـفـنـىـ حـيـنـ اـقـرـبـتـ مـنـهـ ٠٠ وـأـدـخـلـهـ الرـجـالـ إـلـىـ نـفـسـ  
الـكـوـخـ الذـىـ كـانـ مـسـجـونـاـ فـيـهـ مـنـ قـبـلـ ٠٠ وـخـلـعـواـ عـنـهـ

ملابس الحالة التي كان متذمراً فيها .. والبسه ملابسه  
القديمة .

وفجأة ظهر الطبيب العجوز جوار باب الكوخ وقال  
للرجال :

- لا تعاملونه بمثل هذه القسوة أيها الرجال ..  
انه صديق طيب ومخلص .. !

### وبداً الطبيب يشرح الأمر للرجال قائلاً :

- عندما وصلت الى مكان الولد المصاب ، وفحست  
جرحه .. تبين لي أن الرصاصة قد استقرت في رجله  
.. وكان لا بد أن أجري له عملية جراحية في أسرع  
وقت ممكن .. ولكنني لم استطع فعل أي شيء لأنني كنت  
في حاجة الى شخص يعاونني عند اجراء العملية ..  
وكان من المستحيل أن أترك الولد المصاب في تلك  
الحالة السيئة لأذهب لطلب المساعدة من أقرب مكان ..  
واحترت فعلاً في هذا الأمر .. وأخيراً قلت للولد  
المصاب يائساً : لابد أن أذهب للبحث عن معاونة ..

لا بد أن يكون معي شخص يعاوننى ! .. وفجأة ظهر  
هذا الصديق الطيب الذى كان مختبئاً بين الأعشاب ..  
وتبينت على الفور أنه عبد هارب ولكنه تقدم لمعاونتى على  
خير وجه .. وقد أدى عمله بمنتهى الاخلاص والتفانى  
.. وظل ساهرا طوال الليل ومستيقظا طوال النهار  
لمراقبة الولد المصاب ورعايته وتمريضه .. لقد كان له  
فضل كبير فى معاونتى لإنقاذ حياة المصاب .. ولقد  
كان فى استطاعته أن يفر ويواصل هربه ، ولكنه ضحى  
بحريته ليبقى معي .. وفي هذا الصباح كان هذا  
الصديق الطيب نائما حين اقترب منا قارب كبير فيه  
مجموعة من الرجال .. فخشيت أن أصبح مستثولاً عن  
التستر على عبد هارب ، فأفهمت الرجال بذلك ، فهمجموا  
عليه بفتنة وكتفوا يديه خلف ظهره .. فاستسلم لهم  
بكل طيبة ولم تبدر منه أية بادرة أو مقاومة .. وأركبه  
الرجال فى قاربهم .. ثم قاموا بربط الطsof الى  
القارب .. وسحبونا .. وكنت أنا بجوار المصاب على  
سطح الطوف .. صدقونى .. إن هذا الرجل صديق

طيب ومحلص وله قلب من ذهب .. صدقوني يا سادة  
ان أي رجل مثله يعتبر جوهرة ثمينة !!

وقد شكرت للطبيب هذا الدور الطيب الذى أداه  
خدمة لجيم .. وقد سعدت فعلا لأن رأى الطبيب فى جيم  
كان مطابقا تماما لرأيى .. فمنذ أن شاهدت جيم لأول  
مرة .. عرفت أنه صديق طيب ومحلص .. وأسعدنى  
أكثر وأكثر ان الرجال الذين كانوا يلعنون جيم منذ  
لحظة ، أصبحوا الآن يشكرونـه .. ويقولون انه قام بعمل  
يستحق عليه مكافأة ..

وفى صباح اليوم التالى ، سمعت أن حالة توم قد  
تحسنـت قليلا .. وكانت الحالة سالى قد لازمته وبذلت  
كل عناء ورعاـية طوال النهار وطوال الليل .. وعندما  
ذهبت الحالة ل تستريح قليلا ، تسللت الى حجرة توم  
للتتفاهم معه على اختراع قصة تبدو معقولة لتبرير كل  
هذه الأحداث التى وقعت .. ولكنـى رأيت توم ما زال  
مستغرقا فى النوم .. وكان وجهـه يبدو شاحبا ولكنه

استعاد حرارته الطبيعية .. وجلست صامتا بجوار  
سريره ، منتظر لحظة استيقاظه ..

وبعد حوالى نصف ساعة دخلت الغالة سالى الى  
الغرفة ، وأفهمتني بهمس أنه الآن يتحسن .. وأنها  
تعتقد انه سيستعيد وعيه تماما عندما يستيقظ ..  
وجلست بجانبى تنتظر ..

وأخيرا فتح توم عينيه .. وما أن رأنا حتى قال  
مندهشا :

- هاللو .. لماذا أنا فى البيت مرة أخرى ..  
كيف كان ذلك .. وأين الطوف !!؟ ..

فقلت له باختصار :

- كل شئ على ما يرام !

فتساءل في لهفة :

- وجيم !! ..

- على ما يرام !

- عظيم .. عظيم جدا .. لقد عدنا جميعا سالمين  
.. ألم تخبر خالتى بما حدث !!  
وأوشكت أن أقول «نعم» .. ولكن الخالة سرعان  
ما تدخلت في الموضوع ، وقالت لتوم متسائلة :  
- ما هذا الذى حدث يا سيد !!

فقال توم بثبات كعادته :  
- هذه الأشياء كلها .. !  
- وما هي هذه الأشياء كلها يا سيد ؟

فقال توم بثبات أكثر :  
- الخطة التى دبرناها - أنا وتوم لا طلاق سراح  
جيم !!

فقالت الخالة ملعمورة :  
- يا ربى .. عن أي شيء يتحدث الولد .. لقد  
فقد وعيه مرة أخرى وبدا يخرف .. !

**وقال توم :**

- لا يا خالتى .. لقد وضعنا خطة محكمة أنا  
وتوم .. خطة عظيمة لاطلاق سراح جيم .. ولقد نفذناها  
أيضا بطريقة عظيمة .. !

وببدأ توم في سرد القصة من أولها إلى آخرها ..  
وأخذ يحكى ويحكى .. وقد جلست الخالة مبهورة  
وتکاد لا تصدق أذنيها وهي تستمع إلى كل التفاصيل ..  
أما أنا فقد لزمن الصمت تماما ولم أنطق بكلمة ..  
**وقال توم لخالته :**

- لقد كان عملا شاقا يا خالتى .. لقد استغرق  
جهدنا لأسابيع طويلة .. وكنا نعمل لساعات وساعات  
كل ليلة بعد أن تستغرقوا في النوم .. وكان علينا  
أن نسرق الشماعات الست .. والملاءة .. والقميص ..  
ورداء من ملابسك .. والملاعق .. والأطباق ..  
والسكاكين .. ومدفأة السرير النحاسية .. والرحي  
الصخرية .. وعبوات الدقيق .. وأشياء أخرى كثيرة  
لا يمكن أن تتصورى يا خالتى مدى المتعة التي

وجدناها في هذا العمل .. لقد كان علينا أيضاً أن نرسم صوراً للجمجمة والعظمتين المتقاطعتين .. وصورة لتابوت الميت .. ونكتب الرسائل المجهولة التي كانت ترسلها عصابة قاطعى الرقاب .. وكان علينا أن نتسلق عمود النور عند النزول من غرفتنا وعند الصعود إليها .. وقمنا بحفر نفق بين العشة والكونخ .. وصنعنا حبلاً مجدولاً على شكل سلم وهربناه إلى جيم بداخل كعكة .. كما كنا نهرب بعض الملاعق والأشياء الصغيرة إلى جيم عن طريقك .. كنا نضع هذه الأشياء في جيب مريلتك .. !

فصاحت أطالة وهي لا تصدق نفسها :

- في جيب مريلتي أنا !!

وواصل توم حكايته :

- لقد ملأنا الكونخ بالفثاران والثعابين لتؤنس جيم في وحدته بداخل سجنه .. ولكنك يا خالتي

احتجزت توم لفترة طويلة في تلك الليلة بعد أن اكتشفت الخبز والزبد الذي كان يخفيه بداخل قبعته . . . وبسبب ذلك أوشكت الخطة على الانهيار تماماً بعد كل هذا العناء والتعب . . . فقد وصل المزارعون ومعهم بنا دقهم إلى الكسوخ قبل أن نتمكن من الفرار . . . فاضطررنا إلى عمل كل شيء بسرعة واستعجال . . . وانطلقنا كلمع البرى . . . وانطلق المزارعون خلفنا وأطلقوا علينا النار . . . فأخذت نصيبي . . . ومع ذلك ظللنا نراوغهم حتى تجاوزونا وأفلتنا منهم . . . وحين أطلقوا علينا الكلاب . . . كانت الكلاب كسلابنا ، فلم تمسك بنا . . . وعندئذ قفزنا إلى القارب وجدفنا نحو شاطئ الجزيرة حيث أخفينا الطوف . . . وانتهت العملية بسلام وأصبح جيم رجل حراً . . . لقد وضعنا هذه الخطة ونفذناها بأنفسنا . . . لقد كانت مغامرة عظيمة . . . بل هي العظمة نفسها يا خالتي !!

**وقالت الحالة وهي تشهد في عمق :**

**- هل فعلتم كل هذا أيها العفاريت الصغار . . .**

انى لم أسمع شيئاً مثل هذا طول حياتي منذ أن ولدت حتى الآن .. هل أنت الذين أوقعوا في قلوبنا الرعب والفرج حتى أوشكنا أن نموت .. سوف أعرف كيف أعقابكم على ذلك بعد شفائك يا سيد .. سوف أسلخ جلودكم وأنتم أحيا ! .. والآن .. عليك أن تنسى كل متعاتك في هذه المغامرة .. واياك أن تتدخل في شئونه .. مرة أخرى ..

فقال توم على الفور وهو يشعر بكثير من الدهشة :

ـ شئون من ؟ .. !

وقالت الحاله :

ـ شئون من ؟ .. شئون هذا العبد الهارب !

فنظر الى توم بحزن وقال :

ـ توم .. ألم تخبرني بأنه على ما يرام .. ألم

يطلق سراحه بعد ؟ .. !

## ولكن الحالة سارعت بالقول :

- هذا العبد الهارب .. لقد قبضوا عليه سليمان  
وفي صحة جيدة ، وحبسوه بنفس الكوخ الذي كان  
سجيننا فيه من قبل .. ولن نقدم اليه سوى الخبر  
والماء .. !

فهب توم من سريره وقد برقت عيناه غضباً وأخذ  
يصيح قائلاً :

- لا حق لكم في معاملته بهذه الطريقة .. اذهبووا  
فوراً وأطلقوا سراحه ولا تضيئوا دقيقة واحدة ..  
اطلقو سراحه لأنّه انسان حر .. حر مثل أي مخلوق  
يسير على الأرض !

## وتساءلت الحالة في دهشة :

- ماذا نقصد بهذا الكلام .. ؟

- أقصد كل كلمة قلتها يا خالتى .. وإذا لم  
تذعيبوا الآن فوراً لطلاق سراحه فسأذهب أنا لأفعل هذا  
بنفسي .. لقد عرفت جيم طوال حياتى .. وكان يعمل

لدى العجوز مسز وطسون التي شعرت بتأنيب الضمير  
بعد أن رحل .. وكانت تؤنن نفسها لأنها فكرت في  
بيعه .. وقد ماتت مسز وطسون منذ شهرين .. ولكنها  
أعتقدت قبل موتها .. وهو الآن حر مثلنا .. !

### وقالت الحالة :

- ولكن بحق الشيطان .. هل دبرت كل هذه  
الخطط وقمت بكل هذه الأعمال لاطلاق سراح رجل  
حر !! ..

- نعم يا خالتى .. هذا هو السؤال .. لقد كنت  
أريد « المغامرة » .. كنت أريد .. كنت أريد .. رباه  
من أرى .. خالتى بوللى !! ..

وفي نفس اللحظة كانت الحالة بوللى واقفة بالغرفة  
.. وقد فوجئت الحالة سالى بوجودها فهبت واقفة  
واحتضنتها وأخذت تبكي من شدة الفرحة بلقاء اختها على  
هذا النحو المفاجئ .. وفي لمح البصر ، أخفقت نفسى  
واختبأت تحت السرير .. !



وقال توم : اطلقوا سراحه فورا ٠٠ !

لقد أصبح الأمر محاجاً بالنسبة لي وبالنسبة  
لتوم .. بل وبالنسبة لنا جميعاً .. لقد عقدت الأمور  
 تماماً وكل شيء سينكشف .. ووقفت الحالة بوللي بجوار  
سرير توم وقالت :  
- طبعاً .. تريه أن تدير وجهك على يا توم .. !!

فقالت الحالة سالي بسرعة :

- يا خبر ! .. هل تغير الولد الى هذا الحد ..  
هذا ليس توم يا اختي .. هذا سيد .. أما توم ..  
توم .. ولد يا توم .. أين ذهب .. لقد كان هنا منذ  
دقيقة .. !!

فقالت الحالة بوللي :

- تقصددين هكلبرى فين .. أخرج ياهك من تحت  
السوير .. !!

وخرجت .. وشعرت أن الأرض تميده تحت  
قدمي .. !!

وأخذت الحالة بوللي تحكى لهم من أنا .. وكانت

- لا تقل مسز فلبيس .. بل قل الحالة سالى كما  
كنت تدعونى من قبل .. لقد اعتدت على ذلك ولا داعي  
للتفير ..

وشرجت لهم أيضا الأسباب التي جعلتنا ندعى أن  
توم هو سيد . وأن انتحل أنا اسم توم .

وقالت الحالة بوللى أن جميع ما ذكره توم عن مسر.  
وطسون صحيح . . وأنها اعتقت جيم قبل أن تموت . .  
وأن جميع المغامرات والأعمال الغريبة التي قام بها توم  
كانت لاطلاق سراح رجل مطلق السراح . . !

وقالت الحالة بوللي أيضاً أنها عندما استلمت خطاب اختها سالي الذي تخبرها فيه بوصول توم ومعه سيد .. أصيبت بالدهشة .. واضطررت إلى السفر لاكثر

من ألف ميل حتى تحضر بنفسها لترى أى حيل أو خدع  
يرتكبها توم ضد خالته .. خصوصا بعد أن قامت  
بارسال رسالتين لم تلتقي عنهما رد .. وهنا قالت  
**الخالة سالي :**

- انى لم أستلم منك أية رسالة ..

**فقالت الخالة بوللى :**

- لقد ارسلت اليك رسالتين، متعاقبتين ..  
لأسالك فيهما ماذا تقصدين بوجود سيد عندك ..

**وقالت الخالة سالي مرة اخرى :**

- لا .. لم تصلكني منها رسالة واحدة ..  
وهنا التفتت الخالة بوللى الى توم وصاحت فيه :  
- أين هاتين الرسائلتين يا توم .. ؟

**فقال توم متظاهرا باندهشة :**

- أية رسالتين .. !؟  
- أين الرسائلتين .. والا ..

- طيب طيب .. لقد حفظتهما في الصندوق دون أن أفتح آية واحدة منها .. لأنني كنت أعرف أن هذه الرسائل ستجلب المتاعب .. وستوقف المغامرات ..

- إنك تستحق العقاب على ذلك .. وعلى آية حال فقد أرسلت رسالة ثالثة لعله ..

### فقطعتها الحالة سالي قائلة :

- نعم لقد وصلت هذه الرسالة بالأمس .. ولكنني لم أقرأها بعد ..

وب مجرد أن اختلست بتوم وأصبحنا وحدينا ، سأله عما كان يدخره من خطط اذا كانت عملية الهروب قد تجحت وابحرنا بالطوف في مجرى النهر .. وقال توم انه كان قد وضع خطة للتوجه بالطوف حتى مصب النهر .. على أن نقوم خلال الطريق بعدة مغامرات .. وعندئذ كان سيخبر جيم بأنه قد أصبح حرًا منذ أن اعتقه مسرز وطsson قبل موتها .. ثم نقوم بالعودة الى بلدنا على باخرة نهرية .. وعندما نصل الى هناك سنقيم

حفلة يدور فيها رقص الزنوج وتعزف فيها الموسيقى  
النحاسية .. ونرف جيم بالمشاعل في البلدة كلها ..  
وسيصبح جيم بطلا .. وستصبح نحن أبطالا أيضا ..  
وذهبنا جميعا إلى الكوخ وأخرجنا جيم وأفهمناه  
بأنه قد أصبح الآن حرا .. وقد شكره الجميع ..  
الحالة بوللي .. والحالة سالي .. والعم سيلاس .. على  
ما قام به من معاونة الطبيب ورعايته توم أثناء اصابته ..  
وقدموا إليه طعاما طيبا ، وطلبوه منه أن يتصرف  
براحته ..

وعندما ذهب جيم ليطمئن على توم .. أعطاه توم .. أربعين دولارا كأجر له على تحمله السجن بالطريقة  
وبالخطة التي كانت موضوعة .. وشعر جيم بغایة  
السرور وقمة السعادة .. !

وأخذ توم يتحدث ويتحدث .. ثم قال فجأة :  
فلنخرج معا في احدى الليالي .. ونصطحب  
معنا كل ما نحتاجه .. لنقضى أسابيع كاملة في  
المغامرات مع ذوى البشرة الحمراء !

### فقلت على الفور :

- أنت تعرف يا توم أن ذلك يرافقني تماماً ..  
ولكنني لا أملك نقوداً كافية لدفع التكاليف .. فمن  
المحتمل أن يكون أبي قد استولى على كل أموالي من  
القاضي تانشر ..

### فقال توم على الفور :

- انه لم يفعل ذلك ولم يحصل على دولار واحد ..  
ما زالت هناك ستة آلاف من الدولارات وربما أزيد  
من ذلك .. ان أباك لم يظهر في البلدة بعد رحيلك ..

### وهنا قال جيم :

- بل ولن يظهر بعد ذلك أبداً في أي مكان آخر ..

### فسألته :

- ماذا تقصد بذلك يا جيم ؟ ..

### فأجاب :

- هل تذكر البيت الخشبي الذي كان طافياً فوق

سطح النهر في تلك الليلة .. هل تذكر الشخص الميت  
الذى وجدناه مقتولا هناك ففطيت وجهه بقطعة من  
القماش .. ان هذا الشخص كان أباك .. ويسنك  
الآن أن تحصل على نقودك كاملة !

وبعد فترة استعاد توم كامل قسوه وأصبح فى  
صحة جيدة .. وكان يعلق الرصاصة التى أصابته فى  
سلسلة ساعة يلفها حول رقبته .. وكثيرا ما يقوم  
بالنظر فى تلك الرصاصة ليعرف الوقت !

•  
• والآن ..

لم يعد هناك شيء لاكتبه وأضيفه .. ولو كنت  
اعلم مدى العناء الذى يعانيه الانسان لكتى يكتب كتابا  
مثل هذا لما أقدمت على الكتابة منذ البداية ..

ويبدو أننى سأقوم بمحاجمة عظيمة مع ذوى البشرة  
الحمراء .. وكان من الأفضل أن أذكرها فى هذا  
الكتاب أيضا .. ولكن الخالة سالي تبنتنى .. وتولت  
رعايتها وتربيتها .. فهل سيتحقق ذلك ؟!

# فهرس

## صفحة

٩	المؤلف : . . . . .
١٣	الفصل الأول : عصابة توم سوير . . .
٢٩	الفصل الثاني : هك يعيش مع أبيه .
٤٣	الفصل الثالث : هك يتمكن من الهرب .
٥٣	الفصل الرابع : في جزيرة جاكسون .
٧١	الفصل الخامس : استيقظ يا جيم .. انهم يبحثون عنا . . . . .

الفصل السادس : كيف ضحكت عليهم يا هك ؟ . . . . .	٨٣
الفصل السابع : التأر . . . . .	٩٩
الفصل الثامن : اثنان من الأوغاد . . . . .	١٢٧
الفصل التاسع : الوغدان على المسرح . . . . .	١٤١
الفصل العاشر : أنت محظى . . . . .	١٦١
الفصل الحادى عشر : الحقيرة المملوءة بالذهب	١٨١
الفصل الثانى عشر : المشكلة الكبرى . . . . .	١٩١
الفصل الثالث عشر : أين جيم . . . . .	٢٠٩
الفصل الرابع عشر : وصول توم وأخيه سيد	٢١٩
الفصل الخامس عشر : خطة لفر نفق . . . . .	٢٣٥
الفصل السادس عشر : فن اختراع المصاعد	٢٤٧

٢٦٣	الفصل السابع عشر : المفر . . . .
٤٧٧	الفصل الثامن عشر : تسعة ملاعق أم عشرة والكمكة ذات الجبل المجدول . . .
٢٩١	الفصل التاسع عشر : القيام ببعض الأعمال الفظيعة . . . . .
٣٠٥	الفصل العشرون : القرآن والشعابين والرسائل المجهولة . . . . .
٣٢١	الفصل الحادى والعشرون : جيم .. هانتدا من جديد . . . . .
٣٣٥	الفصل الثانى والعشرون : ماذا جرى لهذا الولد؟ . . . . .
٣٤٣	الفصل الثالث والعشرون : اعادة توم وجيم الى البيت . . . . .
٣٦٣	
٣٦٧	

مطبوع الحسينية للطباعة والتوزيع للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٧/٧٩٠٢

---

I. S. B. N 977 - 01 - 5284 - 6



# مكتبة الأسرة

■ مارك توين

ولد «مارك توين» في ولاية  
ميسيسيبي بالولايات المتحدة الأمريكية  
عام ١٨٣٥، وعاش حياة بائسة في  
فترقة الطفولة، فلم ينل إلا حظاً  
متواضعاً من التعليم.

اشتغل في صباه عاماً في  
طبعه، ثم اشتغل ملحاً على البوارخ  
النهرية العاملة في نهر المisisipi  
ثم ترك كل هذه الأعمال وانصرف  
للكتابة الأدبية.

ويعتبر «  
الأدب الساخر»



بص呜رمي خمسون قرفاً  
بعناية

مهبط الماء على البدر

مطباع  
الهيئة المصرية العامة للكتاب



٠٦٣٤٨٦٣